مفاتيح تدبر القرآن
والنجاح في الحياة

مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة

سِرُّ النجَاحِ في الحَياةِ :
القرآنْ/ بدعاءٍ/ دوماً/ كثيراً/ جهراً

تأليف
د. خالد بن عبد الكريم اللاحم

طبعة رجب ١٤٤٣هـ

ح - خالد عبد الكريم محمد اللاحم ، ١٤٤٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
اللاحم ، خالد عبدالكريم محمد
مفاتح تدبر القران والنجاح في الحياة / .خالد عبدالكريم محمد اللاحم - ط ١ -. .الرياض ، ١٤٤٣ هـ
١٣٥ ص ؛ ١٧×٢٤ سم
ردمك: ١- ٩٢١- ٠٤٠٦٠٣-٩٧٨
١ -القرآن – مباحث عامة أ.العنوان
ديوي ٢٢٩ ٨١١٣ / ١٤٤٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مسائل بين يدي الكتاب

• المسألة الأولى: الطريق إلى النجاح في الحياة

إِنَّ الْوَسِيلَةَ الْأُولَى لِإِصْلَاحِ النَّفْسِ وَتَزْكِيَةِ الْقَلْبِ وَالْوِقَايَةِ مِنَ الْمُشْكِلَاتِ وَعِلَاجِهَا هِيَ الْعِلْمُ.

وَوَسِيلَتُهُ الْأُولَى الْقِرَاءَةُ وَالْكِتَابُ؛ لِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا أَرَادَ هِدَايَةَ الْخَلْقِ وَإِخْرَاجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ كِتَابًا يُقْرَأُ، وَأَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنْهُ بَدَأَتْ بِكَلِمَةٍ عَظِيمَةٍ، هِيَ مِفْتَاحُ الْإِصْلَاحِ لِكُلِّ النَّاسِ مَهْمَا اخْتَلَفَتِ الْأَزْمَانُ وَتَبَايَنَتِ الْبُلْدَانُ؛ إِنَّهَا: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾، وَعَلَيْهِ فَمَنْ أَرَادَ النَّجَاحَ وَأَرَادَ الزَّكَاةَ وَالصَّلَاحَ فَلَا طَرِيقَ لَهُ سِوَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ: قِرَاءَةً، وَحِفْظًا، وَفِقْهًا.

إِنَّ الْإِحَالَةَ عَلَى كِتَابٍ يُقْرَأُ وَيُفْهَمُ وَيُطَبَّقُ هِيَ الطَّرِيقَةُ الْعَمَلِيَّةُ لِتَحْقِيقِ التَّطْوِيرِ وَالرُّقِيِّ وَالنَّجَاحِ فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ.

إِنَّ الْقِرَاءَةَ حَيَاةُ الْإِنْسَانِ، فَمَنْ يَقْرَأْ كَثِيراً يَحْيَا كَبِيراً، وَمَنْ يَقْرَأْ أَكْثَرَ يَكُونُ أَكْبَرَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْقَى فَعَلَيْهِ أَنْ يَقْرَأَ.

وَلَكِنْ لَيْسَتْ أَيَّ قِرَاءَةٍ، بَلِ الْقِرَاءَةُ التَّرْبَوِيَّةُ، الَّتِي يَتِمُّ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى تَوْصِيفُهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، مِنْ خِلَالِ عَرْضِ الْمَفَاتِيحِ الْعَشَرَةِ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

• المسألة الثانية: سبب الفشل في الحياة

يُبَيِّنُ اللهُ -تَعَالَى بِإِيجَازٍ وَوُضُوحٍ- أَنَّ سَبَبَ فَشَلِ النَّاسِ فِي الْحَيَاةِ هُوَ ضَعْفُ الْإِرَادَةِ النَّاتِجُ عَنِ النِّسْيَانِ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ**

نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى: **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾**، فَالْإِنْسَانُ فِي حَالِ الشِّدَّةِ وَالْكُرْبَةِ يَحْصُلُ عِنْدَهُ الْعِلْمُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيَحْصُلُ مِنْهُ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ، وَيُوجَدُ عِنْدَهُ الْحِرْصُ عَلَى الْخَيْرِ وَالنَّفْعِ بِتِلْقَائِيَّةٍ وَسُهُولَةٍ، لَكِنْ مَا إِنْ يَزُلْ هَذَا الْمُؤَثِّرُ الْمُؤَقَّتُ حَتَّى يَتَلَاشَى هَذَا الْعِلْمُ، فَيَنْسَى الْإِنْسَانُ وَيَعُودَ إِلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ، وَيَعُودَ إِلَى مَا يَضُرُّهُ مِمَّا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ، وَيَصْعُبَ عَلَيْهِ مَا لَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ، مِمَّا فِيهِ نَفْعُهُ وَهُوَ بِأَمَسِّ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

الْفَشَلُ سَبَبُهُ ضَعْفُ الْإِرَادَةِ، وَضَعْفُ الْإِرَادَةِ سَبَبُهُ النِّسْيَان.

الْإِرَادَةُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ؛ هِيَ: الْحُبُّ، أَوِ الْخَوْفُ، أَوِ الرَّجَاءُ، فَمَتَى وُجِدَ أَحَدُهَا وُجِدَتِ الْإِرَادَةُ، وَمَتَى تَخَلَّفَتْ جَمِيعُهَا تَخَلَّفَتِ الْإِرَادَةُ، فَإِذَا أَرَدْنَا قُوَّةَ الْعَزِيمَةِ وَعُلُوَّ الْهِمَّةِ فَإِنَّ هَذَا يَحْصُلُ بِتَقْوِيَةِ هَذِهِ الْجَوَانِبِ النَّفْسِيَّةِ الثَّلَاثَةِ لِكُلِّ مَا يُرَادُ تَنْفِيذُهُ وَتَحْقِيقُهُ.

وَالْعِلْمُ دَرَجَاتٌ وَمَرَاتِبُ؛ فَلَا يَكْفِي -مَثَلاً- الْعِلْمُ بِأَنَّ هَذَا الشَّيْءَ ضَارٌّ لِيُوجَدَ الْخَوْفُ مِنْهُ وَالِابْتِعَادُ عَنْهُ، أَوْ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ نَافِعٌ لِتَحْصُلَ الرَّغْبَةُ فِيهِ، بَلْ يَجِبُ الْعِلْمُ التَّفْصِيلِيُّ الْقَوِيُّ الْحَاضِرُ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ:

١- كُلُّ الْمُدَخِّنِينَ -بِلَا اسْتِثْنَاءٍ- يَعْلَمُونَ أَنَّ التَّدْخِينَ ضَارٌّ بِصِحَّتِهِمْ، وَأَنَّهُ خَطَرٌ عَلَى حَيَاتِهِمْ؛ لَكِنَّهُ عِلْمٌ سَطْحِيٌّ ضَعِيفٌ هَشٌّ، لَا يُقَاوِمُ الرَّغْبَةَ الْجَامِحَةَ فِي اسْتِعْمَالِهِ.

٢- كُلُّ طَالِبٍ يَعْلَمُ أَنَّ أَمَامَهُ امْتِحَاناً، وَأَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى اسْتِذْكَارِ دُرُوسِهِ لِكَيْ يَنْجَحَ وَيَتَفَوَّقَ، وَمَعَ هَذَا يَحْصُلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمُ الْإِهْمَالُ وَالتَّقْصِيرُ.

٣- كُلُّ مُسْلِمٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَمُوتُ وَأَنَّهُ مُحَاسَبٌ عَلَى أَعْمَالِهِ، لَكِنَّهُ عِلْمٌ سَطْحِيٌّ ضَعِيفٌ مَهْزُوزٌ، لَا يَكْفِي لِوُجُودِ الْإِرَادَةِ لِفِعْلِ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ.

وَقُلْ مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ فِي جَمِيعِ أُمُورِ الْحَيَاةِ.

فَالْمُتَأَمِّلُ فِي وَاقِعِ النَّاسِ، وَالْمُحَلِّلُ لِشَخْصِيَّاتِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ يُلَاحِظُ أَنَّهُ مَا مِنْ مُشْكِلَةٍ

إِلَّا وَأَسَاسُهَا ضَعْفُ الْإِرَادَةِ، ضَعْفُ الرَّغْبَةِ أَوِ الرَّهْبَةِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ تُوجَدِ الْإِرَادَةُ فَلَنْ يَتَنَاوَلَ الْمَرِيضُ الدَّوَاءَ حَتَّى لَوْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ، بَيْنَمَا لَوْ وُجِدَتِ الْقَنَاعَةُ وَالرَّغْبَةُ فَإِنَّكَ تَرَاهُ يَبْذُلُ جُهْدَهُ لِتَحْصِيلِهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَنَاوُلِهِ.

• المسألة الثالثة: معركة الحياة

يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ لِلشَّيْطَانِ أَثَراً عَلَى إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ، فَهُوَ يُثَبِّطُهُ عَنِ الْخَيْرِ، وَعَمَّا يَنْفَعُهُ، وَيَدْفَعُهُ إِلَى الشَّرِّ، وَمَا يَضُرُّهُ، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ فَإِنَّ مُهِمَّةَ مُعَالَجَةِ الْإِرَادَةِ تَحْتَاجُ إِلَى جُهْدٍ مُضَاعَفٍ إِذَا عَلِمْتَ بِوُجُودِ مَنْ يُعَاكِسُكَ فِيهَا، فَالشَّيْطَانُ يُمْكِنُهُ -بِوَاسِطَةِ سِلَاحِ الْوَسْوَسَةِ- أَنْ يُؤَثِّرَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ الْإِنْسَانِ وَسُلُوكِهِ فَيَأْمُرَهُ وَيَنْهَاهُ، وَيُزَيِّنَ لَهُ، وَيُثَبِّطَهُ، وَيُحَرِّكَ جَمِيعَ جَوَارِحِهِ مِنْ خِلَالِ مَرْكَزِ التَّحَكُّمِ (الْقَلْبِ)، فَيُمْكِنُهُ مَثَلاً أَنْ يُزَيِّنَ لَهُ مَا يَكُونُ سَبَباً فِي مَرَضِهِ النَّفْسِيِّ أَوِ الْبَدَنِيِّ، أَوْ حَتَّى مَوْتِهِ.

إِنَّ الصِّرَاعَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَالْإِنْسَانِ بَدَأَ مُنْذُ بِدَايَةِ خَلْقِ آدَمَ **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾**، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾**، فَالشَّيْطَانُ عَدُوٌّ لِلْإِنْسَانِ يُوَسْوِسُ لَهُ عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ، لَا يَمَلُّ وَلَا يَفْتُرُ، يَتَمَنَّى لَهُ الشَّرَّ وَيَحْسُدُهُ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**.

إِذَنْ أَنْتَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَمَامَ عَدُوٍّ حَقِيقِيٍّ، أَكَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَكَ عَدَاوَتَهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ الْمُبِينِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾** وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾**

وَقَدْ قَطَعَ الشَّيْطَانُ عَلَى نَفْسِهِ الْعَهْدَ فِي حَسَدِ بَنِي آدَمَ وَمُحَاوَلَةِ حِرْمَانِهِمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

إِذَنْ مَا الَّذِي يَحْمِينَا مِنْ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ؟ وَمَا سِلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي مَعْرَكَةِ الْحَيَاةِ؟ الْجَوَابُ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾؛ فَسِلَاحُ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ هُوَ الْهُدَى الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رُسُلِهِ، هُوَ هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا، لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ وَيُحَقِّقَ بِهِ النَّصْرَ، لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ بِالْأَسْبَابِ، وَاقْتَدَى بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ، وَهُوَ مَا سَيَتِمُّ بَيَانُهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، أَمَّا مَنْ فَرَّطَ وَقَصَّرَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ، وَلْيَعْلَمْ مِنْ أَيْنَ أُتِيَ، وَمَا سَبَبُ نَقْصِهِ وَفَشَلِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

• المسألة الرابعة: القيام بالقرآن الطريق إلى الإيمان

لَوْ تَأَمَّلْنَا فِي حَالِ الصَّالِحِينَ لَوَجَدْنَا أَنَّ الْقَاسِمَ الْمُشْتَرَكَ بَيْنَهُمْ هُوَ الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ وَفِي صَلَاةِ اللَّيْلِ خَاصَّةً، وَالْعَمَلُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ عِنْدَهُمُ الَّذِي لَا يَرَوْنَ التَّهَاوُنَ بِهِ فِي أَيِّ حَالٍ هُوَ الْحِزْبُ الْيَوْمِيُّ مِنَ الْقُرْآنِ، أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»، إِنَّهُ الْحِرْصُ عَلَى عَدَمِ فَوَاتِهِ مَهْمَا حَالَتْ دُونَهُ الْحَوَائِلُ، أَوِ اعْتَرَضَتْهُ الْعَوَارِضُ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ -يَقِينًا- أَنَّ هَذَا هُوَ غِذَاءُ الْقَلْبِ الَّذِي لَا يَحْيَا بِدُونِهِ، إِنَّهُمْ يَحْرِصُونَ عَلَى غِذَاءِ الْقَلْبِ قَبْلَ غِذَاءِ الْبَدَنِ، وَيَشْعُرُونَ بِالنَّقْصِ مَتَى حَصَلَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، بِعَكْسِ الْمُفَرِّطِينَ الَّذِينَ لَا يَشْعُرُونَ إِلَّا بِجُوعِ أَبْدَانِهِمْ وَعَطَشِهَا، أَوْ مَرَضِهَا وَأَلَمِهَا، أَمَّا أَلَمُ الْقُلُوبِ وَعَطَشُهَا وَجُوعُهَا فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى الْإِحْسَاسِ بِهِ.

إِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ هِيَ أَقْوَى وَسِيلَةٍ لِبَقَاءِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ غَضّـًا طَرِيّـًا نَدِيّـًا فِي الْقَلْبِ.

إِنَّهَا الْمُنْطَلَقُ لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ آخَرَ مِنْ صِيَامٍ، أَوْ صَدَقَةٍ، أَوْ جِهَادٍ، وَبِرٍّ وَصِلَةٍ.

إِنَّ تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ يُحَقِّقُ لَكَ التَّوْحِيدَ وَالْإِخْلَاصَ وَالِاسْتِكَانَةَ وَالتَّضَرُّعَ وَالْعُبُودِيَّةَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

كُلَّمَا قَرَأْتَ فِي الْقُرْآنِ الدَّعْوَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَاعْلَمْ أَنَّهَا الدَّعْوَةُ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، إِنَّهَا الدَّعْوَةُ إِلَى الْقِرَاءَةِ بِقَلْبٍ لِكُلِّ نَصٍّ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَحَيْثُ رَأَيْتَ الْوَعْدَ بِالثَّوَابِ الْعَظِيمِ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحـًا فَاعْلَمْ أَنَّهُ وَعْدٌ وَثَوَابٌ وَجَزَاءٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ وَحَفِظَهُمَا حِفْظـًا تَرْبَوِيّـًا، وَقَرَأَهُمَا بِقَلْبٍ؛ لِأَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ هِيَ الطَّرِيقُ وَالسَّبِيلُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

• المسألة الخامسة: القيام بالقرآن الطريق إلى القوة

لَمَّا أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْلِيفَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَاجِبِ التَّبْلِيغِ وَالدَّعْوَةِ وَهُوَ حِمْلٌ ثَقِيلٌ جِدّاً؛ وَجَّهَهُ إِلَى مَا يُعِينُهُ عَلَيْهِ؛ وَهُوَ الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئـًا وَأَقْوَمُ قِيلاً * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحـًا طَوِيلاً**﴾.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنْ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ: «يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟» قَالَ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ؛ فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ حَوْلاً وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ؛ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعـًا بَعْدَ

فَرِيضَةٍ».

فَلِمَاذَا هَذَا الْقِيَامُ؟ وَبِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ وَالْكَمِّيَّةِ، وَبِهَذِهِ الْمُدَّةِ، سَنَةً كَامِلَةً؟ إِنَّهُ الْإِعْدَادُ وَالتَّكْوِينُ وَالصِّنَاعَةُ لِأُولَئِكَ النَّفَرِ الَّذِينَ كُلِّفُوا بِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ وَحَمْلِ الرِّسَالَةِ.

إِنَّ الْجِيلَ الَّذِي يُحَقِّقُ النَّصْرَ لِلْأُمَّةِ جَاءَ وَصْفُهُ فِي آخِرِ آيَةٍ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾، فَمَتَى تَوَفَّرَ هَذَا الْجِيلُ فِي الْأُمَّةِ تَحَقَّقَ لَهَا بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى النَّصْرُ وَالتَّمْكِينُ، وَكَانَتْ أُمَّةً قَوِيَّةً تَهَابُهَا كُلُّ الْأُمَمِ، وَتُذْعِنُ وَتَخْضَعُ لَهَا.

• المسألة السادسة: القرآن كتاب النجاح والسعادة

لَقَدْ كَثُرَ فِي زَمَانِنَا هَذَا الْحَدِيثُ عَنِ النَّجَاحِ، وَالسَّعَادَةِ، وَالتَّفَوُّقِ، وَالْقُوَّةِ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الْمُؤَلَّفَاتُ، وَكُلٌّ يَرَى أَنَّ فِي كِتَابِهِ أَوْ بَرْنَامَجِهِ الدَّوَاءَ الشَّافِيَ، وَالْعِلَاجَ النَّاجِعَ، وَأَنَّهُ الْكِتَابُ الَّذِي لَا تَحْتَاجُ مَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَالْحَقُّ أَنَّ هَذَا الْوَصْفَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلَّا كِتَابٌ وَاحِدٌ؛ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَلِعِلَاجِ هَذِهِ الْمُشْكِلَةِ -أَعْنِي انْصِرَافَ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَاشْتِغَالَ بَعْضِهِمْ بِتِلْكَ الْمُؤَلَّفَاتِ بَحْثًا عَنِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ- يَجِيءُ هَذَا الْكِتَابُ لِيُسْهِمَ فِي تَبْيِينِ الْحَقَائِقِ وَتَوْضِيحِ الدَّقَائِقِ، وَرَسْمِ الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ لِلْمَنْهَجِ السَّلِيمِ، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَّبِعَهُ الْمُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ.

• المسألة السابعة: مدارسة القرآن تزيد الإيمان

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ.

فَمَهْمَا كَانَتْ مَرْتَبَةُ الْمُؤْمِنِ فِي الْإِيمَانِ، وَمَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ إِيمَانِهِ فَإِنَّ مُدَارَسَتَهُ لِلْقُرْآنِ تَزِيدُ إِيمَانَهُ إِيمَانًا، وَتَرْفَعُ مَقَامَهُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَهَذَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَجْوَدُ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَيَتَضَاعَفُ هَذَا الْجُودُ بِسَبَبِ مُدَارَسَتِهِ لِلْقُرْآنِ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكُلَّمَا قَوِيَ ارْتِبَاطُ الْمُؤْمِنِ بِالْقُرْآنِ كُلَّمَا عَلَا وَارْتَفَعَ، وَزَادَ يَقِينُهُ وَثِقَتُهُ بِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

• المسألة الثامنة: بداية الانطلاق

إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِكِتَابِ رَبِّهِ فَتَيَقَّنَ أَنَّ نَجَاحَهُ وَنَجَاتَهُ وَسَعَادَتَهُ وَقُوَّتَهُ فِي قِرَاءَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ تَكُونُ هَذِهِ الْبِدَايَةَ لِلِانْطِلَاقِ فِي مَرَاقِي النَّجَاحِ، وَسُلَّمِ الْفَلَاحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الْقَنَاعَةُ بِأَنَّ النَّجَاحَ وَالنَّجَاةَ وَالسَّعَادَةَ وَالْقُوَّةَ وَالشِّفَاءَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ أَوَّلُ عَمَلٍ نَبْدَأُ بِهِ فِي تَرْبِيَةِ الْإِنْسَانِ وَصِنَاعَتِهِ وَإِعْدَادِهِ وَتَكْوِينِهِ، فَإِذَا نَجَحْنَا فِيهِ تَمَّ لَنَا النَّجَاحُ فِي جَمِيعِ الْمَرَاحِلِ التَّالِيَةِ لِلْبِنَاءِ وَالتَّكْوِينِ، **وَإِنْ** فَشِلْنَا فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ عِشْنَا فِي نَقْصٍ وَقُصُورٍ تَرْبَوِيٍّ شَدِيدٍ.

وَقَدْ أَكْثَرَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ مُعَالَجَةَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَكَرَّرَ ذِكْرَهَا كَثِيراً، فَعَلَيْهَا يَعْتَمِدُ النَّجَاحُ أَوِ الْفَشَلُ، وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مَوْضُوعٌ كَبِيرٌ يَجِبُ عَلَى الْمُرَبِّينَ الْعِنَايَةُ بِهِ، وَمَضْمُونُهُ الْإِيمَانُ بِالْقُرْآنِ، فَإِذَا حَقَّقْنَا الْإِيمَانَ بِالْقُرْآنِ تَحَقَّقَ لَنَا الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ إِيمَانٍ.

• المسألة التاسعة: الطريق إلى كنوز القرآن

هَذَا الْكِتَابُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْوَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي تُمَكِّنُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الِانْتِفَاعِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَذِهِ الْقَوَاعِدُ هِيَ الَّتِي كَانَ يَسْلُكُهَا سَلَفُنَا الصَّالِحُ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَبِسَبَبِ غَفْلَةِ الْكَثِيرِ عَنْهَا أَوْ بَعْضِهَا أَصْبَحُوا لَا يَتَأَثَّرُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِظَاتِ، وَالْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ.

وَمَنْ أَخَذَ بِهَذِهِ الْوَسَائِلِ فَإِنَّهُ سَيَجِدُ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى أَنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ تَتَدَفَّقُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا يَمْضِي عَلَيْهِ وَقْتٌ طَوِيلٌ لَا يَسْتَطِيعُ تَجَاوُزَ آيَةٍ وَاحِدَةٍ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْمَعَانِي الَّتِي تُفْتَحُ عَلَيْهِ،

وَقَدْ حَصَلَ هَذَا لِلسَّلَفِ مِنْ قَبْلِنَا، وَالْأَخْبَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ مَشْهُورَةٌ.

• المسألة العاشرة: القرآن ظاهر وباطن

الْقُرْآنُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، ظَاهِرٌ يَرَاهُ كُلُّ النَّاسِ وَهُوَ صُوَرُ الْحُرُوفِ وَالسُّطُورِ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَى صَفَحَاتِ الْمُصْحَفِ الَّذِي يُبَاعُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَرَاهُ كُلُّ النَّاسِ، مُسْلِمٌ وَكَافِرٌ، مُؤْمِنٌ وَمُنَافِقٌ، بَرٌّ وَفَاجِرٌ، صَغِيرٌ وَكَبِيرٌ، وَلَهُ بَاطِنٌ لَا يَرَاهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، وَآمَنُوا بِضَرُورَةِ قِرَاءَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهِ فَغَاصُوا فِي أَعْمَاقِ مَعَانِيهِ.

إِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْبَحْرِ لَهُ ظَاهِرٌ هُوَ مِثْلُ سَطْحِ الْبَحْرِ، وَلَهُ بَاطِنٌ هُوَ مِثْلُ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، فَبَعْضُهُمْ قَدْ يَسْبَحُ عَلَى ظَهْرِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنَ إِلَى الْعَقَبَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْنَ الْكُنُوزُ الَّتِي تُحَقِّقُ الثَّرَاءَ فِي الْحَيَاةِ؟ لَمْ أَجِدْهَا! فَنَقُولُ: الْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى غَوَّاصٍ وَأَدَوَاتِ غَوْصٍ، وَلَا يَصِلُ إِلَيْهَا مَنِ اكْتَفَى بِالسِّبَاحَةِ عَلَى ظَهْرِ الْبَحْرِ حَتَّى لَوْ أَفْنَى عُمُرَهُ كُلَّهُ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ التُّسْتَرِيُّ: «لَوْ أُعْطِيَ الْعَبْدُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَلْفَ فَهْمٍ لَمْ يَبْلُغْ نِهَايَةَ مَا أَوْدَعَ اللهُ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، لِأَنَّهُ كَلَامُ اللهِ، وَكَلَامُهُ صِفَتُهُ، وَكَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ نِهَايَةٌ، فَكَذَلِكَ لَا نِهَايَةَ لِفَهْمِ كَلَامِهِ... وَإِنَّمَا يَفْهَمُ كُلٌّ بِمِقْدَارِ مَا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَكَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَلَا يَبْلُغُ إِلَى نِهَايَةِ فَهْمِهِ فُهُومٌ مُحْدَثَةٌ مَخْلُوقَةٌ» ا هـ.

وَهَذَا كَلَامٌ صَحِيحٌ، وَالتَّجْرِبَةُ وَالْوَاقِعُ يَشْهَدَانِ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي فَهْمِهِمْ وَإِدْرَاكِهِمْ لِآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَنْزِيلِهَا عَلَى أُمُورِ حَيَاتِهِمْ.

• المسألة الحادية عشرة: التدريب والمجاهدة

إِنَّ فَهْمَ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرَهُ مَوَاهِبُ مِنَ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ، يُعْطِيهَا لِمَنْ صَدَقَ فِي طَلَبِهَا وَسَلَكَ الْأَسْبَابَ الْمُوصِلَةَ إِلَيْهَا بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ، أَمَّا الْمُتَّكِئُ عَلَى أَرِيكَتِهِ، الْمُشْتَغِلُ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَيُرِيدُ فَهْمَ الْقُرْآنِ فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، وَلَوْ تَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِيَّ.

مَادَّةُ هَذَا الْكِتَابِ لَيْسَتْ مَجْمُوعَةَ نَظَرِيَّاتٍ أَوْ فَرْضِيَّاتٍ تُوضَعُ كَحُلُولٍ لِلْمُشْكِلَةِ الْمُرَادِ

عِلَاجُهَا، إِنَّمَا هِيَ خُطُوَاتٌ عَمَلِيَّةٌ، تَحْتَاجُ إِلَى تَدَرُّجٍ وَتَكْرَارٍ حَتَّى يَصِلَ الْمُتَعَلِّمُ فِيهَا إِلَى مَا وُصِفَ مِنْ نَتَائِجَ وَثِمَارٍ.

قَالَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ: «كَابَدْتُ الْقُرْآنَ عِشْرِينَ سَنَةً، ثُمَّ تَنَعَّمْتُ بِهِ عِشْرِينَ سَنَةً» ا هـ. وَمَا قَالَهُ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ حَقٌّ، فَقِفْ بِالْبَابِ حَتَّى يُفْتَحَ لَكَ؛ إِنْ كُنْتَ تُدْرِكُ عَظَمَةَ مَا تَطْلُبُ فَإِنَّهُ مَتَى فُتِحَ لَكَ سَتَدْخُلُ إِلَى عَالَمٍ لَا تَسْتَطِيعُ الْكَلِمَاتُ أَنْ تَصِفَهُ وَلَا الْعِبَارَاتُ أَنْ تُصَوِّرَ حَقِيقَتَهُ.

أَمَّا إِنِ اسْتَعْجَلْتَ وَانْصَرَفْتَ فَسَتَحْرِمُ نَفْسَكَ مِنْ كَنْزٍ عَظِيمٍ وَفُرْصَةٍ قَدْ لَا تُدْرِكُهَا فِيمَا تَبَقَّى مِنْ عُمُرِكَ.

تَذَكَّرْ أَنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾.

إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ طَوْقُ النَّجَاةِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجُحْفَةِ فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: فَأَبْشِرُوا؛ فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ وَلَا تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَداً».

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾ فَمَتَى أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ فِي رَحْمَةِ اللهِ، وَأَنْ تُهْدَى إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَجَاهِدْ نَفْسَكَ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَفَرِّغْ وَقْتَكَ وَجُهْدَكَ، وَرَكِّزِ اهْتِمَامَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ.

• المسألة الثانية عشرة: أتفسير أم تدبر

كُنْتُ أُحَاوِلُ كِتَابَةَ تَفْسِيرٍ تَرْبَوِيٍّ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُرَكِّزُ فِي مَضْمُونِهِ عَلَى مَا يُقَوِّي الْإِيمَانَ وَيَزِيدُ الْخُشُوعَ دُونَ اسْتِطْرَادٍ أَوْ خُرُوجٍ عَنْ هَذَا الْمَسَارِ، وَتَمَّتْ كِتَابَةُ الْمَرْحَلَةِ النَّظَرِيَّةِ

لِلتَّفْسِيرِ، وَبَعْدَ مُحَاوَلَةِ كِتَابَةِ الْقِسْمِ التَّطْبِيقِيِّ، تَبَيَّنَ لِي أَنِّي مَهْمَا كَتَبْتُ، أَوْ كَتَبَ غَيْرِي فِي هَذَا الْمَيْدَانِ فَلَنْ يُحَقِّقَ الْمَطْلُوبَ، تَبَيَّنَ أَنَّ مَا أَبْحَثُ عَنْهُ هُوَ مَنْهَجٌ وَقَوَاعِدُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتَّأَثُّرِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ مُبَاشَرَةً، فَتَأَمَّلْتُ حَالَ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَدَرَسْتُ مَنْهَجَهُمْ فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَهُ، وَقَارَنْتُ بَيْنَ حَالِنَا وَحَالِهِمْ؛ فَكَانَتْ مَادَّةُ هَذَا الْكِتَابِ وَمُحْتَوَاهُ.

• المسألة الثالثة عشرة: محور هذا الكتاب

نَحْنُ نُؤْمِنُ وَنُصَدِّقُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، وَنُؤْمِنُ بِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾، فَهَذَا هُوَ الْقُرْآنُ، وَنَحْنُ نَقْرَؤُهُ، وَلَكِنْ مَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنْ تَأْثِيرٍ فَإِنَّنَا لَا نَجِدُهُ! فَلِمَاذَا؟

الْقُرْآنُ هُوَ الْقُرْآنُ، وَقَدْ وَصَلَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلَيْنَا مَحْفُوظًا تَامًّا مَصُونًا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصِ.

أَيْنَ الْخَلَلُ؟ وَأَيْنَ الْمُشْكِلَةُ؟

فِي كُلِّ تَأْثِيرٍ عِنْدَنَا ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ: الْمُؤَثِّرُ، وَالْمُتَأَثِّرُ، وَالْمُوَصِّلُ.

فَالْمُؤَثِّرُ -وَهُوَ الْقُرْآنُ- أَثَرُهُ ثَابِتٌ لَا نَشُكُّ فِيهِ.

بَقِيَ الِاحْتِمَالُ فِي الْأَمْرَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ: الْمُوَصِّلِ، وَالْمُتَأَثِّرِ.

الْمُوَصِّلُ: هُوَ الْقِرَاءَةُ وَالتَّدَبُّرُ.

وَالْمُتَأَثِّرُ: هُوَ قَلْبُ الْقَارِئِ.

وَالْكِتَابُ يُحَاوِلُ اسْتِكْشَافَ الْخَلَلِ فِي الْجِهَتَيْنِ، وَيُبَيِّنُ الْمَنْهَجَ الصَّحِيحَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، الَّذِي سَنَّهُ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَرَجَ عَلَيْهِ سَلَفُنَا الصَّالِحُ.

أَيْضًا: حَالَةُ الْفَتْحِ وَالْفَهْمِ فِي وَقْتٍ، وَإِغْلَاقُهُ فِي وَقْتٍ آخَرَ -وَقَدْ تَسْمَعُ الشَّكْوَى مِنْ هَذِهِ الْحَالِ عِنْدَ عَدَدٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ- تَقْرَأُ الْآيَةَ فِي وَقْتٍ فَتَتَأَثَّرُ بِهَا وَتُفْتَحُ لَكَ فِيهَا مَعَانٍ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهَا بَعْدَ فَتْرَةٍ فَتَقِفُ أَمَامَهَا لَا تَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي وَلَا تُحِسُّ بِذَلِكَ الْأَثَرِ الَّذِي حَصَلَ سَابِقًا! فَمَا السِّرُّ؟ وَمَا الْأَسْبَابُ؟

هَذَا مَا تُحَاوِلُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ أَنْ تُجِيبَ عَنْهُ، وَتُشَخِّصَهُ، وَتَصِفَ لَهُ الْعِلَاجَ الْمُنَاسِبَ، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

• المسألة الرابعة عشرة: المفاتيح أسباب والنتائج بيد الله وحده

إِنَّ مِمَّا يَتَأَكَّدُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ عَدَمَ قَصْرِ وَحَصْرِ النَّجَاحِ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ عَلَى هَذِهِ الْمَفَاتِيحِ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَسْبَابٌ، وَالنَّتَائِجُ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى، يُعْطِيهَا مَنْ شَاءَ وَيَمْنَعُهَا مَنْ شَاءَ، وَمَا أَقُولُهُ مَا هُوَ إِلَّا وَسَائِلُ بِحَسَبِ الِاسْتِقْرَاءِ مِنَ النُّصُوصِ وَحَالِ السَّلَفِ، وَهِيَ أَسْبَابٌ يَسْلُكُهَا كُلُّ مُرِيدٍ لِلِانْتِفَاعِ بِالْقُرْآنِ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ وَأَعْمَقَ وَأَشْمَلَ، وَهِيَ أَسْبَابٌ نُذَكِّرُ بِهَا مَنْ حُرِمَ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَهُوَ يُرِيدُهُ؛ نَقُولُ لَهُ: اسْلُكْ هَذِهِ الْأَسْبَابَ لَعَلَّ اللهَ إِذَا رَأَى مُجَاهَدَتَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَعَلِمَ مِنْكَ صِدْقَكَ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ خَزَائِنَ كِتَابِهِ تَتَنَعَّمُ فِيهَا فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الْآخِرَةِ.

• المسألة الخامسة عشرة: لكل مفتاح وظيفة

فَلَا يَعْنِي -مَثَلًا- إِذَا قُلْنَا: مِنْ مَفَاتِيحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ: أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي لَيْلٍ؛ أَنَّ قِرَاءَةَ النَّهَارِ لَا تُفِيدُ وَمُلْغَاةٌ، وَإِذَا قُلْنَا: أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي صَلَاةٍ؛ أَنَّ الْقِرَاءَةَ خَارِجَ الصَّلَاةِ لَا تُحَقِّقُ التَّدَبُّرَ، فَالْحَصْرُ وَالْقَصْرُ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ فَلِكُلِّ مِفْتَاحٍ وَظِيفَةٌ مَتَى وُجِدَ فُتِحَ لَكَ دَرَجَةٌ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَمَتَى اجْتَمَعَتْ كُلُّ الْمَفَاتِيحِ وَبِأَعْلَى مُسْتَوًى كَانَ التَّدَبُّرُ أَعْلَى وَأَقْوَى، وَإِذَا تَخَلَّفَ بَعْضُهَا نَقَصَ التَّدَبُّرُ بِحَسَبِ هَذَا النَّقْصِ.

• المسألة السادسة عشرة: نعيم القرآن

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾، وَيَقُولُ تَعَالَى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾، هَذِهِ الْآيَاتُ -وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ- دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ نِعْمَةٌ، وَأَعْظِمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ، وَكُلُّ نِعْمَةٍ يَتْبَعُهَا نَعِيمٌ وَتَنَعُّمٌ لِمَنْ عَرَفَ أَنَّهَا حَقًّا نِعْمَةٌ، فَالتَّلَذُّذُ بِالْقُرْآنِ لِمَنْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُهُ لَا يُعَادِلُهُ أَيُّ لَذَّةٍ أَوْ مُتْعَةٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

• المسألة السابعة عشرة: المفاتيح العشرة

مَفَاتِيحُ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ عَشَرَةٌ، مَجْمُوعَةٌ فِي قَوْلِكَ: (لإصلاح ترتج).

(ل) لُبٌّ؛ وَهُوَ الْقَلْبُ: وَالْمَعْنَى أَنَّ حُبَّ الْقُرْآنِ هُوَ الْمِفْتَاحُ الْأَوَّلُ لِلتَّدَبُّرِ، فَالْقَلْبُ هُوَ آلَةُ فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَالْقَلْبُ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى يُقَلِّبُهُ كَيْفَ شَاءَ، وَالْعَبْدُ مُفْتَقِرٌ إِلَى رَبِّهِ لِيَفْتَحَ قَلْبَهُ لِلْقُرْآنِ فَيَطَّلِعَ عَلَى خَزَائِنِهِ وَكُنُوزِهِ.

(أ) أَهْدَافٌ، أَوْ أَهَمِّيَّةٌ: أَيِ اسْتِحْضَارُ أَهْدَافِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ أَيْ: لِمَاذَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

(ص) صَلَاةٌ: أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي صَلَاةٍ.

(ل) لَيْلٌ: أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ وَالصَّلَاةُ فِي لَيْلٍ؛ أَيْ: وَقْتَ الصَّفَاءِ وَالتَّرْكِيزِ.

(أ) أُسْبُوعٌ: أَنْ يُكَرِّرَ مَا يَقْرَؤُهُ مِنَ الْقُرْآنِ كُلَّ أُسْبُوعٍ، حَتَّى لَوْ لِجُزْءٍ مِنْهُ.

(ح) حِفْظًا: أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ حِفْظًا عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ؛ بِحَيْثُ يَحْصُلُ التَّرْكِيزُ التَّامُّ وَانْطِبَاعُ الْآيَاتِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ.

(ت) تَكْرَارٌ: تَكْرَارُ الْآيَاتِ وَتَرْدِيدُهَا لِتَحْقِيقِ مَزِيدٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْفِقْهِ وَالتَّدَبُّرِ.

(ر) رَبْطٌ: رَبْطُ الْآيَاتِ بِوَاقِعِكَ الْيَوْمِيِّ وَبِنَظْرَتِكَ لِلْحَيَاةِ.

(ت) تَرْتِيلٌ: التَّرْتِيلُ وَالتَّرَسُّلُ فِي الْقِرَاءَةِ، وَعَدَمُ الْعَجَلَةِ؛ إِذِ الْمَقْصُودُ هُوَ الْفَهْمُ وَلَيْسَ الْكَمَّ، وَهَذِهِ مُشْكِلَةُ الْكَثِيرِينَ، وَهُمْ بِهَذَا الِاسْتِعْجَالِ يُفَوِّتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ خَيْراً عَظِيماً.

(ج) جَهْراً: الْجَهْرُ بِالْقِرَاءَةِ؛ لِيَقْوَى التَّرْكِيزُ وَيَكُونَ التَّوْصِيلُ بِجِهَتَيْنِ بَدَلاً مِنْ وَاحِدَةٍ؛ أَيِ الصُّورَةِ وَالصَّوْتِ.

فَهَذِهِ وَسَائِلُ **وَأَدَوَاتٌ** يُكْمِلُ بَعْضُهَا بَعْضاً فِي تَحْقِيقِ وَتَحْصِيلِ مُسْتَوىً أَعْلَى وَأَرْفَعَ فِي تَدَبُّرِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالِانْتِفَاعِ وَالتَّأَثُّرِ بِهَا، هَذِهِ الْمَفَاتِيحُ هِيَ الَّتِي تَفْتَحُ الطَّرِيقَ لِلْقُرْآنِ لِيَصِلَ إِلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ وَرُوحِهِ.

• المسألة الثامنة عشرة: خلاصة الكتاب

يَتَكَوَّنُ الْكِتَابُ مِنْ تَمْهِيدٍ وَعَشَرَةِ مَفَاتِيحَ:

التَّمْهِيدُ: فِي مَعْنَى التَّدَبُّرِ وَعَلَامَاتِهِ، وَبَيَانِ خَطَأٍ فِي مَفْهُومِهِ.

وَالْمِفْتَاحُ الْأَوَّلُ: خُلَاصَتُهُ أَنَّ الْقَلْبَ آلَةُ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ وَالْإِدْرَاكِ، وَأَنَّ الْقَلْبَ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى يُقَلِّبُهُ كَيْفَ شَاءَ، يَفْتَحُهُ مَتَى شَاءَ، وَيُقْفِلُهُ مَتَى شَاءَ، وَفَتْحُ الْقَلْبِ لِلْقُرْآنِ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ: **الْأَوَّلُ**: دَوَامُ التَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ تَعَالَى وَسُؤَالُهُ ذَلِكَ، وَالثَّانِي: الْقِرَاءَةُ الْمُكَثَّفَةُ عَنْ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ، وَحَالِ السَّلَفِ مَعَهُ.

وَالْمِفْتَاحُ الثَّانِي: مَضْمُونُهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نَعْرِفَ قِيمَةَ الْقُرْآنِ وَعَظَمَتَهُ، وَأَنْ نَسْتَحْضِرَ الْأَهْدَافَ وَالْمَقَاصِدَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا نَقْرَؤُهُ.

وَالْمَفَاتِيحُ مِنَ الثَّالِثِ إِلَى الْعَاشِرِ: الْحَدِيثُ فِيهَا عَنْ إِجَابَةِ سُؤَالٍ مُهِمٍّ: كَيْفَ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ؟ وَكَيْفَ هُنَا مُتَوَجِّهَةٌ إِلَى: الْأَحْوَالِ وَالْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي تُحَقِّقُ أَعْلَى قَدْرٍ مِنَ التَّرْكِيزِ وَالْعُمْقِ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يُعْطِي دَرَجَةً فِي التَّرْكِيزِ وَالْفَهْمِ، وَهَذِهِ الْمَفَاتِيحُ هِيَ: أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ فِي صَلَاةٍ، فِي لَيْلٍ، حِفْظاً، بِتَرْتِيلٍ، وَجَهْرٍ، وَتَكْرَارٍ، وَرَبْطٍ، مَعَ خَتْمٍ الْمِقْدَارِ الَّذِي يُقْرَأُ وَيُرَادُ حُصُولُ تَدَبُّرِهِ كُلَّ أُسْبُوعٍ.

هَذِهِ **خُلَاصَةُ** هَذَا الْكِتَابِ، نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُحَقِّقَ مَقَاصِدَنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،

وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

تمهيد: مسائل في تدبر القرآن

• المسألة الأولى: معنى تدبر القرآن

مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ: هُوَ التَّفَكُّرُ وَالتَّأَمُّلُ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ مِنْ أَجْلِ فَهْمِهِ، وَإِدْرَاكِ مَعَانِيهِ، وَحِكَمِهِ، وَالْمُرَادِ مِنْهُ.

وَقَدْ وَرَدَتْ كَلِمَةُ (تَدَبُّرٍ) فِي أَقْوَالِ عَدَدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَوَاضِحٌ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّ مَعْنَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ: **حُضُورُ** الْقَلْبِ، وَجَمْعُ الْفِكْرِ حِينَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْقِرَاءَةِ نَثْراً دُونَ تَفَكُّرٍ وَتَبَصُّرٍ.

قَدْ يُطْلَقُ التَّدَبُّرُ عَلَى الْعَمَلِ لِأَنَّهُ ثَمَرَتُهُ، وَلِلتَّلَازُمِ الْقَوِيِّ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي قَوْلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، أَوْ يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ؛ اعْمَلُوا بِهِ؛ فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ»، وَقَوْلِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَيْسَتْ بِقِرَاءَةٍ»، وَقَوْلِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ»، وَقَوْلِ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «إِنَّمَا جَمَعَ الْقُرْآنَ مَنْ سَمِعَ لَهُ وَأَطَاعَ» ا هـ.

وَيَنُصُّ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّدَبُّرِ الْعَمَلُ، يَذْكُرُونَ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾.

وَعَلَامَاتُ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ أَيْضاً تُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْمُرَادِ بِهِ؛ فَهِيَ التَّعْرِيفُ الْعَمَلِيُّ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ.

• المسألة الثانية: مفهوم خاطئ لمعنى التدبر

إِنَّ مِمَّا يَصْرِفُ كَثِيراً مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ، وَتَذَكُّرِ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةِ؛ اعْتِقَادُهُمْ صُعُوبَةَ فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَهَذَا خَطَأٌ فِي مَفْهُومِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَانْصِرَافٌ عَنِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أُنْزِلَ، فَالْقُرْآنُ كِتَابُ تَرْبِيَةٍ وَتَعْلِيمٍ، وَكِتَابُ هِدَايَةٍ وَبَصَائِرَ

لِكُلِّ النَّاسِ، كِتَابُ هُدىً وَرَحْمَةٍ وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ، كِتَابٌ قَدْ يَسَّرَ اللهُ تَعَالَى فَهْمَهُ وَتَدَبُّرَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾.

وَمِنْ أَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَا يَلِي:

١- قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ: «وَمِنْ مَكَايِدِ الشَّيْطَانِ تَنْفِيرُهُ عِبَادَ اللهِ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، لِعِلْمِهِ أَنَّ الْهُدَى وَاقِعٌ عِنْدَ التَّدَبُّرِ، فَيَقُولُ: هَذِهِ مُخَاطَرَةٌ، حَتَّى يَقُولَ الْإِنْسَانُ: أَنَا لَا أَتَكَلَّمُ فِي الْقُرْآنِ تَوَرُّعًا».

٢- قَالَ الشَّاطِبِيُّ: «فَمِنْ حَيْثُ كَانَ الْقُرْآنُ مُعْجِزاً أَفْحَمَ الْفُصَحَاءَ، وَأَعْجَزَ الْبُلَغَاءَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ؛ فَذَلِكَ لَا يُخْرِجُهُ عَنْ كَوْنِهِ عَرَبِيًّا جَارِيًا عَلَى أَسَالِيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ، مُيَسَّراً لِلْفَهْمِ فِيهِ عَنِ اللهِ، مَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى» .

٣- قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: «مَنْ قَالَ: إِنَّ لَهُ تَأْوِيلاً لَا نَفْهَمُهُ، وَلَا نَعْلَمُهُ، وَإِنَّمَا نَتْلُوهُ مُتَعَبِّدِينَ بِأَلْفَاظِهِ، فَفِي قَلْبِهِ مِنْهُ حَرَجٌ» .

٤- يَقُولُ الصَّنْعَانِيُّ: «فَإِنَّ مَنْ قَرَعَ سَمْعَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ يَفْهَمُ مَعْنَاهُ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ (مَا): كَلِمَةُ شَرْطٍ، وَ(تُقَدِّمُوا): مَجْزُومٌ بِهَا؛ لِأَنَّهُ شَرْطُهَا، وَ(تَجِدُوهُ): مَجْزُومٌ بِهَا؛ لِأَنَّهُ جَزَاؤُهَا، وَمِثْلُهَا كَثِيرٌ... فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! مَا الَّذِي خَصَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِالْمَنْعِ عَنْ مَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا، وَفَهْمِ تَرَاكِيبِهَا، وَمَبَانِيهَا... حَتَّى جُعِلَتْ كَالْمَقْصُورَاتِ فِي الْخِيَامِ.. وَلَمْ يَبْقَ لَنَا إِلَّا تَرْدِيدُ أَلْفَاظِهَا وَحُرُوفِهَا...؟!» .

إِنَّ الصَّحِيحَ وَالْحَقَّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْظَمُهُ وَاضِحٌ وَبَيِّنٌ وَظَاهِرٌ لِكُلِّ النَّاسِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ»، وَمُعْظَمُ الْقُرْآنِ مِنَ الْقِسْمَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ.

إِنَّ فَهْمَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ، وَالْعِلْمَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ لَا يُشْتَرَطُ لَهُ فَهْمُ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ الدَّقِيقَةِ، مِنْ نَحْوِيَّةٍ وَبَلَاغِيَّةٍ وَأُصُولِيَّةٍ وَفِقْهِيَّةٍ. فَمُعْظَمُ الْقُرْآنِ بَيِّنٌ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ، يُدْرِكُ مَعْنَاهُ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْعَالِمُ وَالْأُمِّيُّ، فَحِينَمَا سَمِعَ الْأَعْرَابِيُّ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي أَغْضَبَ الْجَلِيلَ حَتَّى أَقْسَمَ، إِنَّ الْقُرْآنَ بَيِّنٌ وَاضِحٌ ظَاهِرٌ، وَفَهْمُهُ وَفِقْهُهُ وَتَدَبُّرُهُ لَيْسَ صَعْبًا بِحَيْثُ نُغْلِقُ عُقُولَنَا، وَنُعَلِّقُ فَهْمَ كُلِّهِ بِالرُّجُوعِ إِلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ، فَنُعَمِّمُ حُكْمَ الْأَقَلِّ عَلَى الْكُلِّ، فَهَذَا مَفْهُومٌ خَاطِئٌ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّسْوِيفِ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِهِ.

إِنَّ إِغْلَاقَ عُقُولِنَا عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ بِحُجَّةِ عَدَمِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِهِ، وَالِاكْتِفَاءَ بِقِرَاءَةِ أَلْفَاظِهِ مَدْخَلٌ مِنْ مَدَاخِلِ الشَّيْطَانِ عَلَى الْعَبْدِ؛ لِيَصْرِفَهُ عَنِ الِاهْتِدَاءِ بِهِ.

وَإِذَا سَلَّمْنَا بِهَذِهِ الْحُجَّةِ فَإِنَّ الْعَقْلَ وَالْمَنْطِقَ وَالْحَزْمَ وَالْحِكْمَةَ أَنَّكَ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْكَ مَعْنَى آيَةٍ أَنْ تُبَادِرَ وَتُسَارِعَ لِلْبَحْثِ عَنْ مَعْنَاهَا وَالْمُرَادِ بِهَا، لَا أَنْ تُغْلِقَ عَقْلَكَ فَتَقْرَأَ دُونَ تَدَبُّرٍ أَوْ تَتْرُكَ الْقِرَاءَةَ.

• المسألة الثالثة: علامات التدبر

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ عَلَامَاتٍ وَصِفَاتٍ تَصِفُ حَقِيقَةَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَتُوَضِّحُهُ بِجَلَاءٍ؛ مِنْ ذَلِكَ:

١- ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾.

٢- ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾.

٣- ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾.

٤- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً﴾.

٥- ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾.

٦- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾.

٧- ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾.

٨- ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

فَتَحْصُلُ مِنَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ سَبْعُ عَلَامَاتٍ؛ هِيَ:

١- اجْتِمَاعُ الْقَلْبِ وَالْفِكْرِ حِينَ الْقِرَاءَةِ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ التَّسْبِيحُ وَالتَّعَوُّذُ وَالسُّؤَالُ.

٢- الْبُكَاءُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَفَيْضُ الْعَيْنِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ.

٣-زِيَادَةُ الْخُشُوعِ، وَوَجَلُ الْقَلْبِ.

٤-زِيَادَةُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

٥- الْفَرَحُ وَالِاسْتِبْشَارُ، وَعَلَامَةُ ذَلِكَ تَكْرَارُ الْآيَةِ وَتَرْدِيدُهَا.

٦- الْقَشْعَرِيرَةُ خَشْيَةً وَتَعْظِيماً لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ.

٧-السُّجُودُ تَعْظِيماً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَمَنْ وَجَدَ وَاحِدَةً مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَوْ أَكْثَرَ فَقَدْ وَصَلَ إِلَى حَالَةِ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يُحَصِّلْ أَيّاً مِنْ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ فَهُوَ مَحْرُومٌ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَصِلْ بَعْدُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ كُنُوزِهِ وَذَخَائِرِهِ.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: «مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُبْكِيهِ لَخَلِيقٌ أَلَّا يَكُونَ أُوتِيَ عِلْماً؛ لِأَنَّ اللهَ نَعَتَ الْعُلَمَاءَ فَقَالَ: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى

عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعـاً﴾».

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ -كَمَا نَعَتَهُمُ اللهُ- تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ، وَتَقْشَعِرُّ جُلُودُهُمْ.

إِنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَمُرُّ بِكَ وَلَا يَكُونُ لَكَ نَصِيبٌ وَرِزْقٌ مِنْ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ، فَقَدْ فَاتَكَ فِيهِ رِبْحٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ حَرِيٌّ أَنْ يُبْكَى عَلَى خَسَارَتِهِ.

المفتاح الأول: حب القرآن

• المسألة الأولى: القلب آلة الفهم والفقه والتفكير والعقل

قَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ، الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ مِنْهَا تَزِيدُ عَلَى مِائَةِ آيَةٍ، وَسَأَكْتَفِي فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ بِذِكْرِ ثَلَاثٍ مِنْهَا، مِمَّا هِيَ صَرِيحَةُ الدَّلَالَةِ، وَهِيَ:

١- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

٢- وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.

٣- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾.

وَلَيْسَ هَذَا مَقَامَ بَسْطِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَتَأْصِيلِهَا، وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ التَّذْكِيرُ بِأَنَّ الْقَلْبَ آلَةُ الْفَهْمِ وَالْعَقْلِ وَالْإِدْرَاكِ، وَمِنْ ذَلِكَ فَهْمُ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ.

• المسألة الثانية: أن القلب بيد الله وحده

الْقَلْبُ بِيَدِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَفْتَحُهُ مَتَى شَاءَ وَيُغْلِقُهُ مَتَى شَاءَ، بِحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى ذَلِكَ:

١-قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

٢-وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾.

٣-وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ﴾.

٤- وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِهَذَا الْفَتْحِ وَالْإِغْلَاقِ أَسْبَابًا وَوَسَائِلَ، مَنْ سَلَكَهَا وُفِّقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا خُذِلَ، وَيَأْتِي بَيَانُ ذَلِكَ فِي الْمَسَائِلِ التَّالِيَةِ، فَتَذَكَّرْ وَأَنْتَ تُحَاوِلُ فَهْمَ الْقُرْآنِ أَنَّ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، فَلَيْسَتِ الْعِبْرَةُ بِالطَّرِيقَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ؛ بَلِ الْفَتْحُ مِنَ اللهِ

وَحْدَهُ، وَمَا يَحْصُلُ لَكَ مِنَ التَّدَبُّرِ فَهُوَ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ لَا الْفَخْرَ، فَمَتَى أَعْطَاكَ اللهُ فَهْمَ الْقُرْآنِ، وَفَتَحَ لَكَ مَعَانِيَهُ، فَاحْمَدِ اللهَ تَعَالَى وَاسْأَلْهُ الْمَزِيدَ، وَانْسُبْ هَذِهِ النِّعْمَةَ إِلَيْهِ وَحْدَهُ، وَاعْتَرِفْ بِهَا ظَاهِراً وَبَاطِنـًا.

• المسألة الثالثة: علاقة حب القرآن بالتدبر

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا أَحَبَّ شَيْئـًا تَعَلَّقَ بِهِ، وَاشْتَاقَ إِلَيْهِ، وَشُغِفَ بِهِ، وَانْقَطَعَ عَمَّا سِوَاهُ، وَالْقَلْبُ إِذَا أَحَبَّ الْقُرْآنَ تَلَذَّذَ بِقِرَاءَتِهِ، وَاجْتَمَعَ عَلَى فَهْمِهِ وَوَعْيِهِ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ التَّدَبُّرُ الْمَكِينُ، وَالْفَهْمُ الْعَمِيقُ، وَبِالْعَكْسِ إِذَا لَمْ يُوجَدِ الْحُبُّ فَإِنَّ إِقْبَالَ الْقَلْبِ عَلَى الْقُرْآنِ يَكُونُ صَعْبـًا، وَانْقِيَادَهُ إِلَيْهِ يَكُونُ شَاقّـًا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِمُجَاهَدَةٍ وَمُغَالَبَةٍ، وَعَلَيْهِ فَتَحْصِيلُ حُبِّ الْقُرْآنِ مِنْ أَنْفَعِ الْأَسْبَابِ لِحُصُولِ أَقْوَى وَأَعْلَى مُسْتَوَيَاتِ التَّدَبُّرِ.

وَالْوَاقِعُ يَشْهَدُ لِصِحَّةِ مَا ذُكِرَ؛ فَإِنَّنَا -مَثَلاً- نَجِدُ أَنَّ الطَّالِبَ الَّذِي لَدَيْهِ حَمَاسٌ وَرَغْبَةٌ وَحُبٌّ لِدِرَاسَتِهِ يَسْتَوْعِبُ مَا يُقَالُ لَهُ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ وَبِقُوَّةٍ، وَيُنْهِي مُتَطَلَّبَاتِهِ وَوَاجِبَاتِهِ فِي وَقْتٍ وَجِيزٍ، بَيْنَمَا الْآخَرُ لَا يَكَادُ يَعِي مَا يُقَالُ لَهُ إِلَّا بِتَكْرَارٍ وَإِعَادَةٍ، وَتَجِدُهُ يَذْهَبُ مُعْظَمُ وَقْتِهِ وَلَمْ يُنْجِزْ شَيْئـًا مِنْ وَاجِبَاتِهِ.

• المسألة الرابعة: علامات حب القلب للقرآن

حُبُّ الْقَلْبِ لِلْقُرْآنِ لَهُ عَلَامَاتٌ؛ مِنْهَا:

١-الْفَرَحُ بِلِقَائِهِ.

٢-الْجُلُوسُ مَعَهُ أَوْقَاتـًا طَوِيلَةً دُونَ مَلَلٍ.

٣- الشَّوْقُ إِلَيْهِ مَتَى بَعُدَ الْعَهْدُ عَنْهُ وَحَالَ دُونَ ذَلِكَ بَعْضُ الْمَوَانِعِ، وَتَمَنِّي لِقَائِهِ، وَالتَّطَلُّعُ إِلَيْهِ، وَمُحَاوَلَةُ إِزَالَةِ الْعَقَبَاتِ الَّتِي تَحُولُ دُونَهُ.

٤-كَثْرَةُ مُشَاوَرَتِهِ وَالثِّقَةُ بِتَوْجِيهَاتِهِ وَالرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِيمَا يُشْكِلُ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ صَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا.

٥-طَاعَتُهُ، أَمْراً وَنَهْياً.

فَالطَّاعَةُ قَرِينُ الْحُبِّ وَعَلَامَتُهُ الظَّاهِرَةُ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ ... هَذَا مُحَالٌ فِي الْقِيَاسِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ ... إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

هَذِهِ أَهَمُّ عَلَامَاتِ حُبِّ الْقُرْآنِ وَصُحْبَتِهِ، فَمَتَى وُجِدَتْ فَإِنَّ الْحُبَّ مَوْجُودٌ، وَمَتَى تَخَلَّفَتْ فَحُبُّ الْقُرْآنِ مَفْقُودٌ، وَمَتَى تَخَلَّفَ شَيْءٌ مِنْهَا نَقَصَ حُبُّ الْقُرْآنِ بِقَدْرِ ذَلِكَ التَّخَلُّفِ.

إِنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْأَلَ نَفْسَهُ هَذَا السُّؤَالَ الْكَبِيرَ: هَلْ أَنَا أُحِبُّ الْقُرْآنَ؟

إِنَّهُ سُؤَالٌ مُهِمٌّ وَخَطِيرٌ، وَإِجَابَتُهُ أَشَدُّ خَطَراً، إِنَّهَا إِجَابَةٌ تَحْمِلُ مَعَانِيَ كَثِيرَةً.

وَقَبْلَ أَنْ تُجِيبَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ ارْجِعْ إِلَى الْعَلَامَاتِ الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا لِتَقِيسَ بِهَا إِجَابَتَكَ وَتَعْرِفَ بِهَا الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَأِ.

إِنَّ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ لَوْ سُئِلَ: هَلْ تُحِبُّ الْقُرْآنَ؟ يُجِيبُ: نَعَمْ أُحِبُّ الْقُرْآنَ، وَكَيْفَ لَا أُحِبُّهُ؟ لَكِنْ هَلْ هُوَ صَادِقٌ فِي هَذَا الْجَوَابِ؟

كَيْفَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ وَهُوَ لَا يُطِيقُ الْجُلُوسَ مَعَهُ دَقَائِقَ، بَيْنَمَا تَرَاهُ يَجْلِسُ السَّاعَاتِ مَعَ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ وَتُحِبُّهُ مِنْ مُتَعِ الْحَيَاةِ.

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «لَا يُسْأَلُ عَبْدٌ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا بِالْقُرْآنِ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ».

إِنَّنَا يَنْبَغِي أَنْ نَعْتَرِفَ بِالتَّقْصِيرِ إِذَا لَمْ تُوجَدْ فِينَا الْعَلَامَاتُ السَّابِقَةُ، ثُمَّ نَسْعَى فِي التَّغْيِيرِ، وَهُوَ مَا سَيَتِمُّ بَيَانُهُ فِي الْمَسْأَلَةِ التَّالِيَةِ.

- **المسألة الخامسة: طرق تحصيل حب القرآن**

الطريق الأول: التوكل على الله تعالى والاستعانة به

الدُّعَاءُ بِحُبِّ الْقُرْآنِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، مَنِ اسْتُجِيبَ لَهُ سَعِدَ فِي حَيَاتِهِ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَداً، وَمَنْ رَزَقَهُ اللهُ حُبَّ الْقُرْآنِ فَقَدْ رَزَقَهُ الْإِيمَانَ، وَسَهَّلَ لَهُ طَرِيقَ الْجِنَانِ، وَمَا دَامَ الْأَمْرُ بِهَذِهِ الْأَهَمِّيَّةِ فَإِنَّنَا لَمْ نُتْرَكْ فِيهِ هَمَلاً؛ فَقَدْ بَيَّنَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ لَنَا أَوْضَحَ بَيَانٍ، وَهُوَ فِي أَرْبَعَةِ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: الْفَاتِحَةُ:

فَقَدْ تَضَمَّنَتِ الْفَاتِحَةُ سُؤَالَ الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ أَهَمِّ نِعَمِ اللهُ عَلَيْهِمْ أَنْ فَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابَ كِتَابِهِ، وَيَسَّرَ لَهُمُ الْعَيْشَ فِي رِحَابِهِ، فَعِنْدَمَا تَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ فَأَنْتَ تَدْعُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَكَ حُبَّ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ؛ لِيَحْصُلَ لَكَ بِذَلِكَ الْغَوْصُ فِي أَعْمَاقِهِ، وَالنَّجَاةُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

الثَّانِي: **الِاسْتِعَاذَةُ**:

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ قَطَعَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَهْدَ أَنْ يَقْطَعَ عَلَيْكَ طَرِيقَ الْوُصُولِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّذِي هُوَ صِرَاطُ اللهِ الْمُسْتَقِيمُ، وَقَدْ أَمَرَنَا اللهُ أَنْ نَسْتَعِيذَ مِنَ الشَّيْطَانِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ نُرِيدُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾.

الثَّالِثُ: **الْبَسْمَلَةُ**:

الْبَسْمَلَةُ حَقِيقَتُهَا دُعَاءٌ وَتَوَسُّلٌ إِلَى اللهِ تَعَالَى بِثَلَاثَةٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى: اللهِ، الرَّحْمَنِ، الرَّحِيمِ، لِيَمُدَّكَ بِالْعَوْنِ وَالْبَرَكَةِ فِيمَا أَنْتَ مُقْبِلٌ عَلَيْهِ، وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَقُومَ بِهِ.

الرَّابِعُ: **دُعَاءُ حُبِّ الْقُرْآنِ**:

أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حَزَنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ

مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ].

وَهَذَا الدُّعَاءُ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الْمُسْتَجَابَةِ؛ لِأَنَّهُ تَضَمَّنَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الْأَوَّلُ: التَّوَسُّلُ بِعُبُودِيَّةِ اللهِ تَعَالَى.

الثَّانِي: التَّوَسُّلُ بِجَمِيعِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَمِنْهَا الِاسْمُ الْأَعْظَمُ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ اللهُ بِهِ اسْتَجَابَ، كَمَا ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

الثَّالِثُ: الْوَعْدُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّ مَنْ دَعَا بِهِ أَنْ يُذْهِبَ اللهُ هَمَّهُ، وَيُبْدِلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا، فَمَاذَا نَنْتَظِرُ بَعْدَ كُلِّ هَذِهِ التَّأْكِيدَاتِ؟

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ رُوحٌ وَنُورٌ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ وَصْفُ أَقْوَامٍ بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ أَوْ حَنَاجِرَهُمْ؛ أَيْ لَمْ يَصِلْ نُورُ الْقُرْآنِ وَرُوحُهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ، بَلِ الطَّرِيقُ إِلَيْهِ مَسْدُودٌ؛ فَهُوَ مُتَوَقِّفٌ فِي الْحَنَاجِرِ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ لِيَصِلَ إِلَى الْقَلْبِ، فَالَّذِي يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فَهُوَ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُزِيلَ هَذِهِ الْعَوَائِقَ، وَيَفْتَحَ الطَّرِيقَ إِلَى الْقَلْبِ؛ لِيَصِلَ إِلَيْهِ نُورُ الْقُرْآنِ وَرُوحُهُ.

لَيْسَ كُلُّ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ قَدْ وَصَلَ الْقُرْآنُ إِلَى رُوحِهِ وَقَلْبِهِ وَنَفْسِهِ، بَلِ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ مَحْرُومُونَ مِنْ ذَلِكَ.

لِنَتَذَكَّرْ أَنَّ الْحَاجَةَ الْمَطْلُوبَةَ فِي هَذَا الدُّعَاءِ عَظِيمَةٌ، يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا سَعَادَةُ الْإِنْسَانِ الْأَبَدِيَّةُ؛ وَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ رَبِيعَ قَلْبِهِ؛ أَيِ الْمَاءَ الَّذِي يَسْقِي قَلْبَهُ فَيُحْيِيهِ وَيَشْفِيهِ وَيُقَوِّيهِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَاسِيًا مَرِيضًا، وَكَذَلِكَ الدُّعَاءُ؛ بِأَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ نُورَ صَدْرِهِ، وَمَا ظَنُّكُمْ بِصَدْرٍ دَخَلَهُ نُورُ الْقُرْآنِ، هَلْ يَبْقَى فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقَلَقِ أَوِ الْهَمِّ أَوِ الْمَرَضِ؟! وَمَا ظَنُّكُمْ بِقَلْبٍ دَخَلَهُ رُوحُ الْقُرْآنِ، كَيْفَ تَكُونُ قُوَّتُهُ وَثَبَاتُهُ؟!

فَهَذَا الدُّعَاءُ حَاجَتُنَا إِلَيْهِ أَشَدُّ مِنْ حَاجَتِنَا لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنَّفَسِ، مَنِ اسْتُجِيبَ لَهُ هَذَا الدُّعَاءُ فَقَدْ أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ حُرِمَ مِنْهُ فَقَدْ فَاتَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَإِنْ حَصَّلَ كُلَّ مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا.

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ الْإِلْحَاحَ فِي الْمَسْأَلَةِ إِلَّا فِي مَطَالِبِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمَادِّيَّةِ، أَمَّا الْأُمُورُ الدِّينِيَّةُ فَتَجِدُ سُؤَالَهُ لَهَا بَارِداً بَاهِتـاً، هَذَا إِنْ دَعَا وَسَأَلَ.

فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ بِحُبِّ الْقُرْآنِ، وَيَتَحَرَّى مَوَاطِنَ الْإِجَابَةِ، وَيَجْتَهِدَ أَنْ يَكُونَ سُؤَالُهُ بِصِدْقٍ، وَبِتَضَرُّعٍ، وَإِلْحَاحٍ، وَشَفَقَةٍ، وَحِرْصٍ شَدِيدٍ أَنْ يُجَابَ وَأَنْ يُعْطَى.

وَعَلَيْهِ بِالصَّبْرِ وَالِاسْتِمْرَارِ حَتَّى يُسْتَجَابَ لَهُ وَيَحْصُلَ عَلَى مَطْلُوبِهِ؛ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

وَمِنْ عَلَامَاتِ اسْتِجَابَةِ هَذَا الدُّعَاءِ أَنْ يَشْرَحَ اللهُ صَدْرَكَ لِكَثْرَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَكَثْرَةِ الْقِيَامِ بِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَعِنْدَهَا عَلَيْكَ أَنْ تَحْمَدَ اللهَ تَعَالَى وَتَشْكُرَهُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَتَسْأَلَهُ دَوَامَهَا وَزِيَادَتَهَا.

الطريق الثاني: القراءة

أَيِ الْقِرَاءَةُ عَنْ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ مِمَّا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ فِي تَعْظِيمِهِمْ لِلْقُرْآنِ وَحُبِّهِمْ لَهُ، وَصُحْبَتِهِمْ إِيَّاهُ.

أَقْتَرِحُ عَلَى كُلِّ رَاغِبٍ فِي تَحْصِيلِ حُبِّ الْقُرْآنِ أَنْ يَضَعَ لَهُ بَرْنَامَجـاً يَتَضَمَّنُ نُصُوصـاً مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَأَقْوَالِ السَّلَفِ، فِيهَا بَيَانٌ لِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ وَمَكَانَتِهِ، وَيُرَتِّبُهَا عَلَى مُسْتَوَيَيْنِ: مَتْنٍ، وَشَرْحٍ؛ فَالْمَتْنُ يُحْفَظُ وَيُكَرَّرُ، وَالشَّرْحُ يُقْرَأُ وَيُفْهَمُ، وَيَتِمُّ رَبْطُ الْمَعَانِي الَّتِي تَضَمَّنَهَا الشَّرْحُ بِأَلْفَاظِ الْمَتْنِ.

وَيُرْجَى -بِإِذْنِ اللهِ- تَعَالَى لِمَنْ طَبَّقَ هَذَا الْبَرْنَامَجَ أَنْ يَرْزُقَهُ اللهُ حُبَّ الْقُرْآنِ وَتَعْظِيمَهُ، الَّذِي

هُوَ الْمِفْتَاحُ الرَّئِيسُ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَفَهْمِهِ، وَكُلُّ كَلَامٍ يُقَالُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فَهُوَ مُتَوَقِّفٌ عَلَيْهِ، وَهَذَا السِّرُّ فِي أَنَّ الْكَثِيرَ مِنَّا يَقْرَأُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ وَلَا يَخْرُجُ بِأَيِّ نَتَائِجَ إِيجَابِيَّةٍ.

فَأَكْثِرْ مِنَ الْقِرَاءَةِ عَنِ الْقُرْآنِ، وَمِنَ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ فِي هَذَا الْأَمْرِ كِتَابُ: «تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ» لِمَحْمُودِ الدَّوْسَرِيِّ، وَكِتَابُ: «حَدِيثُ الْقُرْآنِ عَنِ الْقُرْآنِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الرَّاوِي، وَكِتَابُ: «الْهُدَى وَالْبَيَانُ» لِلشَّيْخِ صَالِحٍ الْبُلَيْهِيِّ، اقْرَأْ بِاسْتِمْرَارٍ عَنْ حَالِ السَّلَفِ مَعَ الْقُرْآنِ وَقِصَصِهِمْ فِي ذَلِكَ وَأَخْبَارِهِمْ.

وَأَمَّا مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ فَيُمْكِنُ تَوْصِيلُ الْمَادَّةِ الْعِلْمِيَّةِ إِلَيْهِ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ يُرَى أَنَّهَا مُنَاسَبَةٌ.

وَيَنْبَغِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ عَدَمَ حُبِّنَا لِلْقُرْآنِ، وَعَدَمَ تَعْظِيمِنَا لَهُ سَبَبُهُ الْجَهْلُ بِقِيمَتِهِ، مِثْلَ الطِّفْلِ تُعْطِيهِ خَمْسَمِائَةِ رِيَالٍ فَيَرْفُضُ وَيَطْلُبُ رِيَالاً وَاحِداً، فَكَذَلِكَ مَنْ لَا يَعْرِفُ قِيمَةَ الْقُرْآنِ، يَزْهَدُ فِيهِ وَيَهْجُرُهُ وَيَشْتَغِلُ بِمَا هُوَ أَدْنَى مِنْهُ.

لَوْ أُعْلِنَ عَنْ كِتَابٍ مَنْ يُخْتَبَرُ فِيهِ وَيَنْجَحُ يُمْنَحُ عَشَرَةَ مِلْيَارَاتٍ؛ فَكَيْفَ يَكُونُ حِرْصُ النَّاسِ وَتَعَلُّقُهُمْ بِهَذَا الْكِتَابِ؟! وَكَيْفَ يَكُونُ الطَّلَبُ عَلَيْهِ، وَالِاشْتِغَالُ بِمُذَاكَرَتِهِ؟!

إِنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ مَنْ يَنْجَحُ فِيهِ يُمْنَحُ مُلْكاً لَا حُدُودَ لَهُ.

إِنَّ تَعْظِيمَ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِلْقُرْآنِ تَعْظِيمٌ مُجْمَلٌ؛ فَحَدُّ عِلْمِهِمْ: أَنَّهُ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ، تَعَبَّدَنَا بِتِلَاوَتِهِ فِي الصَّلَاةِ، وَنَقْرَؤُهُ عَلَى الْمَرْضَى لِلشِّفَاءِ، أَمَّا الْعِلْمُ التَّفْصِيلِيُّ بِعَظَمَةِ الْقُرْآنِ وَمَكَانَتِهِ وَمَا يُحَقِّقُهُ مِنْ نَجَاحٍ لِلْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَهُوَ مَحَلُّ جَهْلٍ أَوْ نِسْيَانٍ عِنْدَ الْكَثِيرِينَ، وَأَضْرَبُ لِذَلِكَ مِثَالاً: عِنْدَمَا تَسْمَعُ عَنْ شَخْصٍ عَظِيمٍ لَهُ أَثَرٌ فِي التَّارِيخِ يَتَكَوَّنُ لَدَيْكَ صُورَةٌ إِجْمَالِيَّةٌ عَنْهُ، وَيُصْبِحُ لَهُ مَكَانَةٌ فِي نَفْسِكَ، وَعِنْدَمَا تَقْرَأُ كِتَاباً مِنْ (٦٠٠) صَفْحَةٍ عَنْ بُطُولَاتِهِ وَتَضْحِيَاتِهِ وَقِصَصِ كَرَمِهِ وَبِرِّهِ لِلنَّاسِ، وَمَا حَقَّقَهُ مِنْ إِنْجَازَاتٍ، وَمَا قَامَ بِهِ مِنْ مُرُوءَاتٍ، تَعِيشُ مَعَ هَذَا الْكِتَابِ مُدَّةَ شَهْرٍ حَرْفاً حَرْفاً، فَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ أَنَّ صُورَةَ هَذَا الْقَائِدِ أَوِ الْمُصْلِحِ سَتَزْدَادُ عُمْقاً، وَيَزْدَادُ حُبُّكَ وَتَعْظِيمُكَ لَهُ، وَهَذَا التَّأَثُّرُ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ لَا

يُمْكِنُ لِأَحَدٍ إِنْكَارُهُ، فَلِمَ لَا نُوَظِّفُهُ لِزِيَادَةِ حُبِّنَا وَتَعْظِيمِنَا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَتَعَلُّقِنَا بِهِ، فَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ فَإِنَّ هَذَا الْكِتَابَ الْعَظِيمَ سَيَزِيدُ حُبَّنَا وَتَعْظِيمَنَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِهَذَا نَصِلُ إِلَى مَرْتَبَةِ وَدَرَجَةِ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ لَوْ أَقْسَمَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، وَحَقَّقَ لَهُ أُمْنِيَتَهُ.

مَنْ يُوَفَّقُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ (٦٠٠ صَفْحَةٍ) بِتَدَبُّرٍ وَتَمَهُّلٍ وَتَبَصُّرٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يُحَقِّقُ تَعْظِيمَ الْقُرْآنِ وَرُؤْيَةَ مَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْمَوَاعِظِ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الدَّلِيلُ إِلَى الْقُرْآنِ.

وَهَذَا الْكِتَابُ (كِتَابُ مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ) قَدْ تَضَمَّنَ مَادَّةً عِلْمِيَّةً مُهِمَّةً تُحَقِّقُ هَذَا الْمَقْصُودَ، فَتَكْرَارُ قِرَاءَتِهِ بِتَرْكِيزٍ وَانْتِبَاهٍ يَبْعَثُ فِي النَّفْسِ الْهِمَّةَ وَالْعَزِيمَةَ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ.

المفتاح الثاني: استحضار أهداف قراءة القرآن

مُعْظَمُ النَّاسِ إِذَا سَأَلْتَهُ: لِمَاذَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ يُجِيبُكَ: لِأَنَّ تِلَاوَتَهُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ، وَلِأَنَّ الْحَرْفَ بِعَشْرِ حَسَنَاتٍ، وَالْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، فَيَقْصُرُ نَفْسَهُ عَلَى هَدَفٍ وَمَقْصِدِ الثَّوَابِ فَحَسْبُ، أَمَّا الْمَقَاصِدُ وَالْأَهْدَافُ الْأُخْرَى فَيَغْفُلُ عَنْهَا.

وَالْمُشْتَغِلُ بِحِفْظِ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ تَجِدُهُ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لِيُثَبِّتَ الْحِفْظَ، الْهَدَفُ تَثْبِيتُ الْحُرُوفِ وَصُوَرِ الْكَلِمَاتِ، فَتَجِدُهُ تَمُرُّ بِهِ الْمَعَانِي الْعَظِيمَةُ الْمُؤَثِّرَةُ فَلَا يَنْتَبِهُ لَهَا، وَلَا يُحِسُّ وَلَا يَشْعُرُ بِهَا؛ لِأَنَّهُ قَصَرَ هِمَّتَهُ وَرَكَّزَ ذِهْنَهُ عَلَى الْحُرُوفِ وَانْصَرَفَ عَنِ الْمَعَانِي؛ فَلِهَذَا السَّبَبِ تَجِدُ حَافِظًا لِلْقُرْآنِ غَيْرَ عَامِلٍ وَلَا مُتَخَلِّقٍ بِهِ.

وَجَمْعُ الْقَلْبِ بَيْنَ نِيَّاتٍ وَمَقَاصِدَ مُتَعَدِّدَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ عَمَلِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى انْتِبَاهٍ وَقَصْدٍ وَتَرْكِيزٍ.

وَفِي أَيِّ عَمَلٍ نَعْمَلُهُ كُلَّمَا تَعَدَّدَتِ النِّيَّاتُ وَكَثُرَتْ كُلَّمَا كَانَ الْعَمَلُ أَعْظَمَ أَجْراً وَأَكْبَرَ تَأْثِيراً عَلَى الْعَامِلِ، مِثْلَ الصَّدَقَةِ عَلَى ذِي الرَّحِمِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ، وَمِثْلُ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ:

نَفَقَةٌ وَصَدَقَةٌ.

وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ يَجْتَمِعُ فِيهَا خَمْسُ مَقَاصِدَ وَنِيَّاتٍ كُلُّهَا عَظِيمَةٌ، وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا كَافِيَةٌ لِأَنْ تَدْفَعَ الْمُسْلِمَ لِيُسَارِعَ إِلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيُكْثِرَ الِاشْتِغَالَ بِهِ وَصُحْبَتَهُ.

وَأَهْدَافُ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مَجْمُوعَةٌ فِي قَوْلِكَ: (ثُمَّ شَعَّ):

(الثَّاءُ): ثَوَابٌ.

(الْمِيمُ): مُنَاجَاةٌ وَمَسْأَلَةٌ.

(الشِّينُ): شِفَاءٌ.

(الْعَيْنُ): عِلْمٌ.

(الْعَيْنُ): عَمَلٌ.

فَمَتَى قَرَأَ الْمُسْلِمُ الْقُرْآنَ مُسْتَحْضِراً هَذِهِ الْمَقَاصِدَ مَعًا كَانَ انْتِفَاعُهُ بِالْقُرْآنِ أَعْظَمَ، وَأَجْرُهُ أَكْبَرَ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»، فَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يُرِيدُ الْعِلْمَ رَزَقَهُ اللهُ الْعِلْمَ، وَمَنْ قَرَأَهُ يُرِيدُ الثَّوَابَ فَقَطْ أُعْطِيَ الثَّوَابَ، قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ «الْوَاسِطِيَّةِ»: «مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا الْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ» اهـ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: «فَإِذَا اسْتَمَعَ الْعَبْدُ إِلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنِيَّةٍ صَادِقَةٍ عَلَى مَا يُحِبُّ اللهُ أَفْهَمَهُ كَمَا يَجِبُ، وَجَعَلَ فِي قَلْبِهِ نُوراً» اهـ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ يُرِيدُ النَّجَاحَ يَسَّرَ اللهُ لَهُ النَّجَاحَ.

• الهدف الأول: قراءة القرآن لأجل العلم

المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد

هَذَا هُوَ الْمَقْصِدُ الْمُهِمُّ، وَالْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَالْأَمْرِ بِقِرَاءَتِهِ، بَلْ وَمِنْ تَرْتِيبِ الثَّوَابِ عَلَى الْقِرَاءَةِ، وَمِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى هَذَا الْمَقْصِدِ:

١- قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

٣- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

٤- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

٦- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِذَا أَرَدْتُمُ الْعِلْمَ فَانْثُرُوا هَذَا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ».

٧- قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوُا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ».

٨- أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ»، عَنْ مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ قَالَ: «مَا نَسْأَلُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا وَعِلْمُهُ فِي الْقُرْآنِ، وَلَكِنْ قَصُرَ عِلْمُنَا عَنْهُ».

٩- أَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَقَدْ عِشْنَا دَهْرًا طَوِيلًا وَإِنَّ أَحَدَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهَا، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ، يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ».

١٠- قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةً إِلَّا وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يُعْلَمَ فِيمَ أُنْزِلَتْ وَمَا أَرَادَ بِهَا».

١١- أَخْرَجَ الطَّحَاوِيُّ فِي «مُشْكِلِ الْآثَارِ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَتَعَلَّمُوهُ وَعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ عَنْهُ تُسْأَلُونَ، وَبِهِ تُجْزَوْنَ، وَكَفَى بِهِ وَاعِظًا لِمَنْ عَقِلَ».

١٢- قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «قُرَّاءُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ اتَّخَذُوهُ بِضَاعَةً يَأْكُلُونَ بِهِ، وَصِنْفٌ أَقَامُوا حُرُوفَهُ، وَضَيَّعُوا حُدُودَهُ، وَاسْتَطَالُوا بِهِ عَلَى أَهْلِ بِلَادِهِمْ، وَاسْتَدَرُّوا بِهِ

الْوُلَاةَ، كَثُرَ هَذَا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ لَا كَثَّرَهُمُ اللهُ، وَصِنْفٌ عَمَدُوا إِلَى دَوَاءِ الْقُرْآنِ فَوَضَعُوهُ عَلَى دَاءِ قُلُوبِهِمْ، فَرَكَدُوا بِهِ فِي مَحَارِيبِهِمْ، وَحَنُّوا بِهِ فِي بَرَانِسِهِمْ، وَاسْتَشْعَرُوا الْخَوْفَ، فَارْتَدَوُا الْحُزْنَ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْقِي اللهُ بِهِمُ الْغَيْثَ وَيَنْصَرُ بِهِمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَاللهِ لَهَؤُلَاءِ الضَّرْبُ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ» اهـ.

١٣- قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ: «إِنِّي لَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَأَنْظُرُ فِي آيِهِ، فَيَحِيرُ عَقْلِي بِهَا، وَأَعْجَبُ مِنْ حُفَّاظِ الْقُرْآنِ كَيْفَ يَهْنِيهُمُ النَّوْمُ، وَيَسَعُهُمْ أَنْ يَشْتَغِلُوا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَهُمْ يَتْلُونَ كَلَامَ اللهِ، أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ فَهِمُوا مَا يَتْلُونَ، وَعَرَفُوا حَقَّهُ فَتَلَذَّذُوا بِهِ وَاسْتَحَلُّوا الْمُنَاجَاةَ لَذَهَبَ عَنْهُمُ النَّوْمُ فَرَحًا بِمَا قَدْ رُزِقُوا».

المسألة الثانية: العلم الذي نريده من القرآن

مَا الْعِلْمُ الَّذِي نُرِيدُهُ مِنَ الْقُرْآنِ؟

يُجِيبُ ابْنُ الْقَيِّمِ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْمُهِمَّةِ بِأَبْيَاتٍ جَمِيلَةٍ يَقُولُ فِيهَا:

وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَا لَهَا ... مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تِبْيَانِ

عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ ... وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ

وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ ... وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ أَنَّ الْعِلْمَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ؛ هِيَ:

الْأَوَّلُ: الْعِلْمُ بِاللهِ.

الثَّانِي: الْعِلْمُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ.

الثَّالِثُ: الْعِلْمُ بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.

فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُحَقِّقُ لَنَا النَّجَاحَ فِي الْحَيَاةِ، يُحَقِّقُ لَنَا السَّعَادَةَ، وَالْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ، وَالنَّفْسَ الْمُطْمَئِنَّةَ، وَالرِّزْقَ الْحَلَالَ الْوَاسِعَ، وَيُحَقِّقُ لَنَا الْأَمْنَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الْعِلْمُ

الَّذِي يُوَلِّدُ الْإِرَادَةَ وَالْعَزِيمَةَ، وَيَقْضِي عَلَى كُلِّ مَظَاهِرِ الْفَشَلِ وَالْإِخْفَاقِ فِي جَمِيعِ مَجَالَاتِ الْحَيَاةِ؛ إِنَّهُ: الْعِلْمُ بِاللهِ تَعَالَى وَالْعِلْمُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، الْعِلْمُ بِاللهِ تَعَالَى أَوَّلُهُ الْعِلْمُ الْمُقْتَضِي لِلِاسْتِغْفَارِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾، فَالْعِلْمُ الَّذِي يُورِثُ الِاسْتِغْفَارَ، وَيَدْفَعُ إِلَيْهِ هُوَ الْعِلْمُ الْمُؤَدِّي لِلنَّجَاحِ، وَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ: عِلْمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، عَلَى وَجْهٍ يُحَقِّقُ الْمَقْصُودُ لَفْظًا وَمَعْنًى.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾: هُمُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

لَفْظُ الْعِلْمِ مُصْطَلَحٌ وَاسِعٌ جِدًّا، وَإِطْلَاقَاتُهُ كَثِيرَةٌ، وَهُوَ لَفْظٌ جَذَّابٌ، وَكُلٌّ يَصْطَفِيهِ لِنَفْسِهِ وَيَعُدُّ مَا عَدَاهُ لَيْسَ بِعِلْمٍ، وَمِنْ ذَلِكَ: أَهْلُ الْعُلُومِ الدُّنْيَوِيَّةِ يُسَمُّونَ مَعَارِفَهُمْ عِلْمًا، وَيُسَمُّونَ الْعُلُومَ الْأُخْرَى بِمَا فِيهَا عُلُومُ الدِّينِ: أَدَبًا... إِلَخْ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُعَدُّ عِلْمًا؛ فَكُلُّ مَعْرِفَةٍ عِلْمٌ، لَكِنَّ مَجَالَاتِهِ مُتَعَدِّدَةٌ، وَيُقَيَّدُ فَيُقَالُ: عِلْمُ كَذَا، أَمَّا إِذَا أُطْلِقَ الْعِلْمَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَفِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ خَاصَّةً فَيُرَادُ بِهِ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ.

وَأَيْضًا شَاعَ بَيْنَ النَّاسِ قَصْرُ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى قِسْمٍ وَاحِدٍ مِنْهُ؛ وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَهَذَا خَطَأٌ شَائِعٌ، فَيَقْصُرُونَ كُلَّ فَضْلٍ وَارِدٍ فِي الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى عِلْمِ الْفُرُوعِ؛ أَيِ الْفِقْهِ، أَمَّا الْأُصُولُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهَا فَيُصْرَفُ اللَّفْظُ عَنْهَا، فَالصَّحِيحُ أَنَّ الْعَالِمَ حَقًّا هُوَ مَنْ يَخْشَى اللهَ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ لَا يَعْرِفُ كِتَابَةَ اسْمِهِ، كَمَا قِيلَ:

وَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللهِ حَقًّا ... وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ لَقَدْ رَئِسْتَا

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَفَى بِخَشْيَةِ اللهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِالِاغْتِرَارِ بِاللهِ جَهْلًا».

المسألة الثالثة: كيفية تحقيق هذا المقصد

إِنَّ مِمَّا يُعِينُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الْمَقْصِدِ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَقِرَاءَةِ الطَّالِبِ لِكِتَابِهِ لَيْلَةَ الِامْتِحَانِ، قِرَاءَةً مُرَكَّزَةً وَاعِيَةً، قِرَاءَةَ مَنْ يَسْتَعِدُّ لِيُخْتَبَرَ فِيهِ اخْتِبَاراً دَقِيقًا.

إِنَّنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُخْتَبَرُونَ فِي الْقُرْآنِ، فَمِنَّا الْجَادُّ النَّشِيطُ الَّذِي يُذَاكِرُ هَذَا الْكِتَابَ بِاسْتِمْرَارٍ، وَأَجْوِبَتُهُ حَاضِرَةٌ وَرَاسِخَةٌ، وَمِنَّا الْمُهْمِلُ الْمُقَصِّرُ اللَّاعِبُ الَّذِي إِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ: لَا أَدْرِي.

أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ قِرَاءَةَ الْإِدَارِيِّ لِلَائِحَةِ النِّظَامِ الَّتِي تُنَظِّمُ عَمَلَهُ، وَتُحَدِّدُ الْإِجَابَةَ عَنْ كُلِّ مُعَامَلَةٍ، وَيَحْتَاجُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا يَوْمِيًّا، إِنَّهُ مِنَ الْمُقَرَّرِ أَنَّ الْإِدَارِيَّ النَّاجِحَ هُوَ مَنْ يَحْفَظُ اللَّائِحَةَ وَيَفْهَمُهَا فَهْمًا دَقِيقًا شَامِلاً، وَبِهِ يَتَفَوَّقُ الْمُتَفَوِّقُونَ فِي الْإِدَارَةِ وَالْقِيَادَةِ.

إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الَّذِي يَجِبُ الرُّجُوعُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ حَيَاتِنَا، وَعَلَيْهِ فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ شَخْصًا نَاجِحًا فِي الْحَيَاةِ فَعَلَيْهِ بِحِفْظِهِ وَفَهْمِ نُصُوصِهِ، لِيُمْكِنَهُ الْحُصُولُ عَلَى الْإِجَابَاتِ الْفَوْرِيَّةِ وَالسَّرِيعَةِ وَالصَّحِيحَةِ فِي كُلِّ حَالَةٍ تَمُرُّ بِهِ فِي حَيَاتِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَدَدٌ مِنَ الصُّوَرِ وَالنَّمَاذِجِ لِهَؤُلَاءِ النَّاجِحِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ:

١- جَوَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾.

٢- وَجَوَابُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَوْمِهِ: ﴿**كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾.

٣- وَجَوَابُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا دُعِيَ لِلْفَحْشَاءِ: ﴿**مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾.

إِنَّهَا رُدُودٌ سَرِيعَةٌ وَحَاضِرَةٌ وَقَوِيَّةٌ فِي أَصْعَبِ الْمَوَاقِفِ الَّتِي تَمُرُّ بِالْإِنْسَانِ، وَيَطِيشُ فِيهَا عَقْلُهُ، إِنَّهُ الثَّبَاتُ وَالرُّسُوخُ مِمَّنْ حَفِظُوا كِتَابَ رَبِّهِمْ، وَفَقِهُوا مَا فِيهِ.

المسألة الرابعة: من تطبيقات مقصد العلم

أَنْ تَضَعَ فِي ذِهْنِكَ مَعَانِيَ وَأَسْئِلَةً مُحَدَّدَةً تُرِيدُ الْبَحْثَ عَنْ جَوَابِهَا فِي الْقُرْآنِ، مِثْلُكَ فِي هَذَا مِثْلُ: مَنْ يَسِيرُ فِي طَرِيقٍ وَهُوَ خَالِي الذِّهْنِ؛ أَوْ مَنْ يَسِيرُ وَهُوَ يَبْحَثُ عَنْ هَدَفٍ مُعَيَّنٍ، إِنَّهُ مِنَ الْمُشَاهَدِ -مَثَلاً- أَنَّنَا نَمُرُّ بِالشَّارِعِ مِرَاراً وَتَكْرَاراً فَلَا نَنْتَبِهُ لِوُجُودِ مَحَلٍّ مُعَيَّنٍ فِيهِ، إِلَى أَنْ نَحْتَاجَ إِلَيْهِ فَنَبْدَأَ بِالتَّرْكِيزِ وَالْبَحْثِ فَنَكْتَشِفُهُ، وَقَبْلَ ذَلِكَ لَوْ سُئِلْنَا: هَلْ يُوجَدُ فِي الشَّارِعِ

الْفُلَانِيِّ مَكْتَبَةٌ؟ فَنَقُولُ: لَا، وَنُؤَكِّدُ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ، بَيْنَمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ، لَكِنْ لَمْ نَنْتَبِهْ، مَعَ أَنَّنَا مَرَرْنَا بِجِوَارِهَا مِئَاتِ الْمَرَّاتِ.

إِنَّ كُلَّ مَوْقِفٍ أَوْ حَدَثٍ أَوْ حَالَةٍ تَمُرُّ بِكَ تَسْأَلُ نَفْسَكَ: أَيْنَ ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ؟ هَلْ وَرَدَتْ فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

وَكَمْ قَرَأْنَا وَسَمِعْنَا عَمَّنْ يَنْدَهِشُ لِغِيَابِ مَعْنَى آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَنْ قَلْبِهِ فَتَجِدُهُ يَقُولُ: أَهَذِهِ آيَةٌ فِي الْقُرْآنِ؟ كَأَنِّي أَسْمَعُهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ!!

نَعَمْ إِنَّ قِرَاءَةَ مَعَانِي الْآيَاتِ أَمْرٌ يَخْتَلِفُ تَمَامًا عَنْ قِرَاءَةِ الْأَلْفَاظِ، وَنِسْيَانَ الْمَعَانِي وَغِيَابَهَا أَمْرٌ يَحْصُلُ مَعَ أَنَّ اللَّفْظَ مَوْجُودٌ، وَاللِّسَانَ يَنْطِقُ بِهِ وَيُكَرِّرُهُ.

المسألة الخامسة: القرآن والبرمجة اللغوية العصبية

يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ التَّكْرِيتِي فِي كِتَابِهِ (آفَاقٌ بِلَا حُدُودٍ): «لَوْ كَانَ (مِلْتُونْ أَرِيكْسُونْ) يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ لَوَجَدَ ضَالَّتَهُ الْمَنْشُودَةَ فِيمَا حَاوَلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنَ اسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ فِي التَّأْثِيرِ اللَّاشَعُورِيِّ فِي الْإِنْسَانِ، ذَلِكَ التَّأْثِيرُ الَّذِي يُشْبِهُ السِّحْرَ وَمَا هُوَ بِسِحْرٍ، فَقَدْ سَحَرَ الْعَرَبَ مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ، وَلَمْ يَكُونُوا فِي بِدَايَةِ الْأَمْرِ يَعْرِفُونَ سَبَبًا لِذَلِكَ»

وَهُنَا دَعْوَةٌ أُوَجِّهُهَا إِلَى كُلِّ مَنِ اشْتَغَلَ بِالْبَرْمَجَةِ اللُّغَوِيَّةِ الْعَصَبِيَّةِ بَحْثًا عَنِ السَّعَادَةِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّجَاحِ أَنْ يَبْحَثَ عَنْهَا فِي الْقُرْآنِ، وَأَنْ يُرَكِّزَ جُهُودَهُ وَفِكْرَهُ لِرَبْطِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي مَا أُنْزِلَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ الْقُوَّةِ وَالسَّعَادَةِ لِلنَّاسِ، وَتَحْرِيرِهِمْ مِنْ عُبُودِيَّةِ الشَّهَوَاتِ وَالْأَهْوَاءِ، وَجَمِيعِ نِقَاطِ ضَعْفِهِمْ لِيَنْطَلِقُوا فِي دَرَجَاتِ الْقُوَّةِ وَالنَّجَاحِ فِي أَرْقَى أَشْكَالِهَا، وَأَعْلَى صُوَرِهَا.

وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بَسْطَ الْكَلَامِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَإِنَّمَا تَعَرَّضْتُ لَهَا لِعَلَاقَتِهَا بِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَلِأَنَّهَا مِنْ أَبْرَزِ الْمَظَاهِرِ الَّتِي تُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّةَ مَعْرِفَةِ مَفَاتِيحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَالِانْتِفَاعِ بِهِ فِي الْحَيَاةِ.

المسألة السادسة: لم لا تكون الدعوة بالقرآن

لَوْ تَأَمَّلْنَا فِي حِوَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ الْمَدْعُوِّينَ، وَمَاذَا كَانَ يَقُولُ لَهُمْ، لَوَجَدْنَا أَنَّهُ -فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ- يَكْتَفِي بِتِلَاوَةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيُحْدِثُ هَذَا أَثَراً عَظِيماً فِي النُّفُوسِ، لَقَدْ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ تَشُدُّ الْكَافِرَ وَالْمُشْرِكَ وَتُبَيِّنُ لَهُ الْحَقَّ، وَلَا يَقُلْ أَحَدٌ: إِنَّ هَذَا خَاصٌّ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ هُوَ مُمْكِنٌ لِكُلِّ مَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُ وَاقْتَدَى بِهِ، وَهُوَ بِهَذَا مُسْتَجِيبٌ لِرَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي أَمَرَهُ بِذَلِكَ، وَمِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى:

١- ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

٢- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾.

٣- ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً﴾.

٤- ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾.

فَلِمَ لَا يَكُونُ حِوَارُنَا، وَتَكُونُ خُطَبُنَا، وَمَوَاعِظُنَا تَنْطَلِقُ وَتَدُورُ فِي فَلَكِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، نَبْدَأُ بِالِاسْتِشْهَادِ بِهَا فِي كُلِّ مَا نُرِيدُ إِيصَالَهُ إِلَى الْمَدْعُوِّينَ مِنْ تَرْبِيَةٍ وَتَعْلِيمٍ.

إِنَّ الْبَعْضَ قَدْ يَعْتَذِرُ قَائِلاً: إِنَّ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ صَعْبٌ، وَنَحْنُ نُشَاهِدُ النَّاسَ يَتَأَثَّرُونَ بِالْقِصَصِ وَالْأَمْثِلَةِ وَالنَّمَاذِجِ الْحَيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ تَأَثُّرِهِمْ بِالْقُرْآنِ.

فَأَقُولُ: إِنَّ هَذَا هُوَ أَسَاسُ الْمُشْكِلَةِ الَّتِي نُحَاوِلُ عِلَاجَهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَهُوَ: لِمَاذَا نَتَأَثَّرُ بِالْقِصَصِ وَالْحِكَايَاتِ، وَلَا نَتَأَثَّرُ بِالْآيَاتِ؟

إِنَّ بَعْضَ الدُّعَاةِ مِمَّنْ يُكْثِرُ الْقِصَصَ يَتَعَلَّلُ بِقَوْلِهِ: إِنَّ النَّاسَ لَا يُطِيقُونَ أَوْ لَا يَفْهَمُونَ ذَلِكَ، فَنَحْنُ نُقَرِّبُ لَهُمُ الْأَمْرَ بِالْقِصَصِ وَالْحِكَايَاتِ وَالْأَدَبِيَّاتِ الَّتِي تُؤَثِّرُ فِي نُفُوسِهِمْ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ؛ فَالْعَيْبُ فِي الدَّاعِيَةِ نَفْسِهِ وَلَيْسَ فِي الطَّرِيقَةِ أَوِ الْمَنْهَجِ، وَلَيْسَ الْعَيْبُ فِي النَّاسِ، بَلْ إِنَّهُ مَتَى اسْتَشْعَرَ الدَّاعِيَةُ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ وَكَانَ مُعَايِشاً لَهُ مُتَعَمِّقاً فِيهِ فَإِنَّ أَثَرَ قِرَاءَتِهِ

لِبِضْعِ آيَاتٍ لَا يُقَارَنُ بِأَثَرِ قِصَّةٍ أَوْ طُرْفَةٍ أَوْ مَشْهَدٍ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، وَجَرِّبْ تَجِدْ.

إِنَّ الْبَعْضَ يُنَاقِشُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مَعَ شِدَّةِ وُضُوحِهَا وَقُوَّةِ ظُهُورِهَا، وَمَنْ لَا يَزَالُ فِي رَيْبٍ مِمَّا أَقُولُ فَلْيَقْرَأْ كِتَابَ: (بِالْقُرْآنِ أَسْلَمَ هَؤُلَاءِ)، تَأْلِيفُ: عَبْدِ الْعَزِيزِ سَيِّدِ هَاشِمٍ، نَشْرُ دَارِ الْقَلَمِ، وَلْيَقْرَأْ سِيرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَمَعُّنٍ وَعُمْقٍ لِيَتَبَيَّنَ لَهُ الْحَقُّ، إِنَّنَا لَمَّا فَرَطْنَا فِي هَذِهِ الْمَفَاتِيحِ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقُرْآنِ، فَصِرْنَا لَا نَتَأَثَّرُ بِهِ، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُؤَثِّرَ بِهِ؛ فَسَلَكْنَا طَرِيقَ الْقِصَّةِ وَالْقَصِيدَةِ وَالْفُكَاهَةِ وَالْمَشْهَدِ... إِلَخْ. مِمَّا نُسَمِّيهِ وَسَائِلَ الدَّعْوَةِ.

إِنَّهَا كَلِمَةٌ أُوَجِّهُهَا إِلَى الْمُصْلِحِينَ، وَالْمُرَبِّينَ، وَالْخُطَبَاءِ، وَالْقَائِمِينَ عَلَى مَكَاتِبِ الدَّعْوَةِ، وَأَقْسَامِ الشُّؤُونِ الدِّينِيَّةِ فِي الْقِطَاعَاتِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ وَالصِّحِّيَّةِ، وَحَلَقَاتِ تَحْفِيظِ الْقُرْآنِ بِأَنْ يُرَكِّزُوا جُهُودَهُمْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ بِأَلْوَانٍ وَأَسَالِيبَ مُتَنَوِّعَةٍ فِيهِ تَقْرِيبٌ وَتَدْرِيبٌ وَتَعْلِيمٌ فَرْدِيٌّ يُوصِلُ الْمُتَلَقِّيَ إِلَى هَدَفِ إِتْقَانِ هَذِهِ الْمَفَاتِيحِ الْعَشَرَةِ حَسْبَ الِاسْتِطَاعَةِ؛ فَفِي هَذَا اقْتِدَاءٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَوْفِيرٌ لِلْأَوْقَاتِ وَالْجُهُودِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي تُصْرَفُ عَلَى الدَّعْوَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَفِي هَذَا عِلَاجٌ قَوِيٌّ وَسَرِيعُ الْمَفْعُولِ، وَطَوِيلُ الْأَمَدِ.

إِنَّ أَيَّ وَسِيلَةٍ دَعَوِيَّةٍ يَجِبُ أَنْ تُرْبَطَ مُبَاشَرَةً بِالْقُرْآنِ، فَإِنْ كَانَتْ تُحَقِّقُ فَهْمَ الْقُرْآنِ وَالتَّأَثُّرَ بِهِ حَسُنَ فِعْلُهَا، وَإِلَّا فَتَرْكُهَا أَوْلَى وَأَحْرَى.

إِنَّ انْشِغَالَ النَّاسِ بِمُؤَلَّفَاتِ النَّاسِ وَطَلَبَهُمُ الْعَافِيَةَ وَالشِّفَاءَ النَّفْسِيَّ وَالْقُوَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ مِنْهَا يُشْبِهُ أُسْلُوبَهُمْ فِي التَّغْذِيَةِ الْبَدَنِيَّةِ الْجَسَدِيَّةِ؛ حَيْثُ اقْتَصَرُوا عَلَى أَطْعِمَةٍ تُرْضِي الذَّوْقَ وَالْمِزَاجَ، بَيْنَمَا هِيَ تَهْدِمُ الْجَسَدَ وَتُهْلِكُهُ.

المسألة السابعة: القرآن يحيي القلوب كما يحيي الماء الأرض

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَعْدَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾، وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حَيَاةَ الْقُلُوبِ تَكُونُ بِذِكْرِ اللهِ

تَعَالَى وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ؛ وَهُوَ الْقُرْآنُ مِثْلَمَا أَنَّ حَيَاةَ الْأَرْضِ الْمَيِّتَةِ تَكُونُ بِالْمَاءِ، قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: «مَا زَرَعَ الْقُرْآنُ فِي قُلُوبِكُمْ يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ؟ إِنَّ الْقُرْآنَ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ، كَمَا أَنَّ الْغَيْثَ رَبِيعُ الْأَرْضِ» اهـ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهَدٌ ظَاهِرٌ لِلْعِيَانِ، وَمِنَ الْمُشَاهَدَاتِ فِي هَذَا الْأَمْرِ مَا نُشَاهِدُهُ مِنْ زَكَاةِ الْقُلُوبِ وَرِقَّتِهَا فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَتَوَالَى عَلَيْهَا سَمَاعُ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتُهُ، وَيَكْثُرُ الْقِيَامُ بِهِ فِي لَيَالِيهِ، ثُمَّ إِنَّكَ تَرَى هَذِهِ الْحَيَاةَ الَّتِي حَصَلَتْ لِلْقُلُوبِ فِي رَمَضَانَ تَبْدَأُ بِالتَّلَاشِي بِالتَّدْرِيجِ بَعْدَ رَمَضَانَ، حِينَ تَنْقَطِعُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

فَمَنْ أَرَادَ حَيَاةَ قَلْبِهِ فَعَلَيْهِ بِسَقْيِهِ بِرَبِيعِ الْقُلُوبِ؛ الْقُرْآنِ، وَبِكَمِّيَّاتٍ وَكَيْفِيَّاتٍ مُنَاسِبَةٍ لِإِحْدَاثِ الْحَيَاةِ، كَمَا سَيَأْتِي تَفْصِيلُهُ فِي ثَنَايَا هَذَا الْكِتَابِ.

المسألة الثامنة: وقفة مع آية

وَهِيَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾.

إِنَّ تَزْكِيَةَ الْإِنْسَانِ وَإِصْلَاحَهُ لَهُ جِهَتَانِ:

الْأُولَى: الْعِلْمُ وَالتَّعْلِيمُ، أَوِ الْفِكْرُ، أَوِ الْمَنْطِقُ، أَوِ الْإِقْنَاعُ، أَوِ الْمُعْتَقَدَاتُ... إِلَخْ، مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ فِي هَذَا الْمَعْنَى.

الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ، أَوِ التَّرْبِيَةُ، أَوِ التَّدْرِيبُ، أَوِ السُّلُوكُ، أَوِ الْعَادَاتُ... إِلَخْ، مِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يُحَقِّقُ الْأَمْرَيْنِ مَعًا بِأَكْمَلِ وَجْهٍ وَأَحْسَنِ صُورَةٍ لِمَنْ آمَنَ بِهِ وَسَلَكَ الْأَسْبَابَ الْمُوَصِّلَةَ لِذَلِكَ.

إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ -بِحَقٍّ- هُوَ كِتَابُ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ الَّذِي يُغْنِي عَمَّا سِوَاهُ، وَلَا يُغْنِي عَنْهُ غَيْرُهُ، وَلَقَدْ أَجَادَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي كِتَابِهِ (مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ) فِي بَيَانِ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ وَالْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا، فَمِنَ الْمَعْلُومِ الْمُقَرَّرِ أَنَّ سُلُوكَ الْإِنْسَانِ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَصْدُرُ بِعَفْوِيَّةٍ أَوْ عَشْوَائِيَّةٍ، وَإِنَّمَا تَقُومُ عَلَى فِكْرٍ وَمُعْتَقَدٍ، وَتَرَاكُمَاتٍ عِلْمِيَّةٍ بُنِيَتْ عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ، وَعَلَى خِبْرَاتٍ تَمَّ تَخْزِينُهَا مَعَ تَكْرَارِ الْمَوَاقِفِ وَالتَّصَرُّفَاتِ مُنْذُ الطُّفُولَةِ إِلَى أَنْ صَارَ رَجُلاً، فَمَتَى

أَرَدْتَ الطَّرِيقَ الْمُخْتَصَرَ لِتَغْيِيرِ شَخْصٍ فَعَلَيْكَ بِتَغْيِيرِ مُعْتَقَدَاتِهِ وَأَفْكَارِهِ، وَعَدَمِ الِاقْتِصَارِ عَلَى مُلَاحَقَةِ مُفْرَدَاتِ سُلُوكِيَّاتِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ، وَهَذَا مَا يُحَقِّقُهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِمَنْ أَخَذَ بِمَفَاتِحِهِ.

• الهدف الثاني: قراءة القرآن بقصد العمل به

المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد

١- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، أَوْ يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ؛ اعْمَلُوا بِهِ؛ فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَوَافَقَ عِلْمَهُ عَمَلُهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يُخَالِفُ عَمَلُهُمْ عِلْمَهُمْ، وَتُخَالِفُ سَرِيرَتُهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ، يَجْلِسُونَ حِلَقًا يُبَاهِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَعَهُ، أُولَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللهِ تَعَالَى».

٢- عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: «أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَعْمَلُوا بِالْقُرْآنِ فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلًا».

٣- قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «اقْرَأِ الْقُرْآنَ مَا نَهَاكَ، فَإِذَا لَمْ يَنْهَكَ فَلَيْسَتْ بِقِرَاءَةٍ».

٤- وَقَالَ أَيْضًا: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْقُرْآنِ مَنِ اتَّبَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَرَأَهُ».

٥- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ عَنْ عُثْمَانَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقْرِؤُهُمُ الْعَشْرَ، فَلَا يُجَاوِزُونَهَا إِلَى عَشْرٍ أُخْرَى حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا».

٦- يَقُولُ الْآجُرِّيُّ: «يَتَصَفَّحُ الْقُرْآنَ لِيُؤَدِّبَ بِهِ نَفْسَهُ، هِمَّتُهُ: مَتَى أَكُونُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الْخَاشِعِينَ؟ مَتَى أَكُونُ مِنَ الصَّابِرِينَ؟ مَتَى أَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا؟ مَتَى أَنْهَى نَفْسِي عَنِ الْهَوَى؟».

٧- قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ...، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إِلَّا بِاتِّبَاعِهِ، وَمَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ:

لَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ -وَاللهِ- أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَى الْقُرْآنُ لَهُ فِي خُلُقٍ وَلَا عَمَلٍ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: إِنِّي لَأَقْرَأُ السُّورَةَ فِي نَفَسٍ! وَاللهِ مَا هَؤُلَاءِ بِالْقُرَّاءِ، وَلَا بِالْعُلَمَاءِ، وَلَا الْحُكَمَاءِ، وَلَا الْوَرَعَةِ، مَتَى كَانَ الْقُرَّاءُ مِثْلَ هَذَا؟ لَا كَثَّرَ اللهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ هَؤُلَاءِ» .

٨- أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالطَّبَرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا سُئِلَتْ: مَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ؟ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ؛ يَغْضَبُ لِغَضَبِهِ، وَيَرْضَى لِرِضَاهُ».

٩-جَاءَ رَجُلٌ بِابْنِهِ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ غُفْراً، إِنَّمَا جَمَعَ الْقُرْآنَ مَنْ سَمِعَ لَهُ وَأَطَاعَ» . [قَاعِدَةٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، لِابْنِ تَيْمِيَّةَ].

١٠- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، اسْتَقِيمُوا فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيداً، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِيناً وَشِمَالاً لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالاً بَعِيداً».

المسألة الثانية: مفهوم تطبيق هذا المقصد وكيفيته

أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِنِيَّةِ الْعَمَلِ، بِنِيَّةِ الْبَحْثِ عَنْ عِلْمٍ لِتَعْمَلَ بِهِ، فَتَقِفَ عِنْدَ آيَاتِهِ تَنْظُرُ مَاذَا تَطْلُبُ مِنْكَ؟ هَلْ أَمْرٌ تُؤْمَرُ بِهِ؟ أَوْ شَيْءٌ تُنْهَى عَنْهُ؟ أَوْ فَضِيلَةٌ تُدْعَى لِلتَّحَلِّي بِهَا؟ أَوْ خَطَرٌ يَحِيقُ بِكَ تَحْذَرُ مِنْهُ؟ وَهَكَذَا فَإِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الدَّلِيلُ الْعَمَلِيُّ لِتَشْغِيلِ النَّفْسِ وَصِيَانَتِهَا، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُرَبِّي بِهِ نَفْسَهُ وَيُهَذِّبُهَا.

أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِنِيَّةِ وَقَصْدِ مَنْ يَبْحَثُ عَنْ حَلٍّ لِمُشْكِلَةٍ أَوْ إِصْلَاحِ خَلَلٍ، يَبْحَثُ عَنْ تَفْسِيرٍ لِظَاهِرَةٍ أَوْ عِلَاجٍ لِمَرَضٍ، أَوْ تَحْلِيلٍ لِحَالَةٍ مِنَ الْحَالَاتِ.

أَمَّا إِذَا كُنَّا نَبْحَثُ عَنْ عِلَاجٍ مُشْكِلَاتِنَا التَّرْبَوِيَّةِ فِي كُتُبِ فُلَانٍ، أَوْ عِلَّانٍ، أَوْ فِي الْمَجَلَّاتِ وَالصُّحُفِ، أَوِ الْقَنَوَاتِ وَالْمَوَاقِعِ بَعِيداً عَنِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّنَا بِهَذَا قَدْ عَطَّلْنَا هَذَا الْمَقْصِدَ الْمُهِمَّ مِنْ مَقَاصِدِ الْقُرْآنِ.

إِنَّ كُلَّ تَرْبِيَةٍ لَا تُبْنَى مُبَاشَرَةً عَلَى الْقُرْآنِ فَهِيَ تَرْبِيَةٌ قَاصِرَةٌ وَلَوْ أَثْمَرَتْ بَعْضَ الثِّمَارِ

مُؤَقَّتًا.

إِنَّ تَرْبِيَةَ النَّاشِئَةِ وَتَرْبِيَةَ الشَّبَابِ لَا بُدَّ أَنْ تُبْنَى مُبَاشَرَةً عَلَى الْقُرْآنِ بِأَسَالِيبَ وَوَسَائِلَ مُنَاسِبَةٍ.

إِنَّ الْبَعْضَ مِنَّا لَمَّا تَعَلَّقَ بِالدُّنْيَا وَمَكَاسِبِهَا الْمَادِّيَّةِ ابْتُلِيَ وَفُتِنَ بِعُلُومِ الْغَرْبِ وَأُطْرُوحَاتِهِمْ، وَظَنَّ فِيهَا النَّجَاحَ وَالسَّعَادَةَ، وَالْقُوَّةَ الْإِدَارِيَّةَ وَالِاقْتِصَادِيَّةَ، وَهُوَ يَتَأَوَّلُ لِفِعْلِهِ هَذَا بِشَتَّى التَّأْوِيلَاتِ، وَيَحْتَجُّ لِتَصَرُّفِهِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحُجَجِ.

• الهدف الثالث: قراءة القرآن بقصد مناجاة الله

المسألة الأولى: أدلة المناجاة

١- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ»، وَمَعْنَى أَذِنَ: أَيِ اسْتَمَعَ.

٢- أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ؛ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ» [قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٣- أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنِ الْبَيَاضِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَقَدْ عَلَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْقِرَاءَةِ فَقَالَ: «إِنَّ الْمُصَلِّيَ يُنَاجِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَنْظُرْ مَا يُنَاجِيهِ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ» [صَحَّحَهُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ].

٤- أَخْرَجَ الْبَزَّارُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ، فَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ، فَيَدْنُو مِنْهُ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ؛ فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ» [جَوَّدَهُ الْمُنْذِرِيُّ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ: حَسَنٌ

صَحِيحٌ].

٥- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: «سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ قُلْتُ: الرَّجُلُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ أَيُّ شَيْءٍ يَنْوِي بِقِرَاءَتِهِ وَصَلَاتِهِ؟ قَالَ: يَنْوِي أَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ».

إِذَنْ فَالْأَمْرُ عَظِيمٌ؛ فَيَجِبُ اسْتِشْعَارُ هَذَا الْمَعْنَى عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَعِنْدَ كُلِّ قِرَاءَةٍ لِلْقُرْآنِ.

٦- قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْفَوَائِدِ: «إِذَا أَرَدْتَ الِانْتِفَاعَ بِالْقُرْآنِ فَاجْمَعْ قَلْبَكَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ وَسَمَاعِهِ، وَأَلْقِ سَمْعَكَ، وَاحْضُرْ حُضُورَ مَنْ يُخَاطِبُهُ بِهِ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ خِطَابٌ مِنْهُ لَكَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» اهـ.

٧- أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «مَا أَكَلْتُ الْكُرَّاثَ مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ».

٨- أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، وَأَبُو عُبَيْدٍ، فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ قَالَ: «إِنَّ أَفْوَاهَكُمْ طُرُقٌ مِنْ طُرُقِ اللهِ تَعَالَى فَنَظِّفُوهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ، قَالَ: فَمَا أَكَلْتُ الْبَصَلَ مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ».

المسألة الثانية: كيفية تطبيق هذا المقصد

تَذَكَّرْ أَنَّهُ يَجْتَمِعُ لَكَ فِي الْمُنَاجَاةِ بِالْقُرْآنِ خَمْسُ مَعَانٍ، مَجْمُوعَةٌ فِي قَوْلِكَ: (**حرس مع**):

الْحَاءُ: أَنَّ اللهَ يُحِبُّكَ حِينَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ.

الرَّاءُ: يَرَاكَ.

السِّينُ: يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ.

الْمِيمُ: يَمْدَحُكَ وَيُثْنِي عَلَيْكَ.

الْعَيْنُ: يُعْطِيكَ وَيُجَازِيكَ.

فَاسْتَحْضِرْ هَذِهِ الْمَعَانِيَ حِينَ الْقِرَاءَةِ وَلَا تَدَعْهَا تَفُوتُ عَلَيْكَ.

فَالْمُسْلِمُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ هَذِهِ الْمَعَانِيَ جَمِيعًا لِكَيْ يَشْعُرَ بِلَذَّةِ الْقِرَاءَةِ حِينَمَا يَسْتَحْضِرُ أَنَّ اللهَ يَرَاهُ وَيَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ وَهُوَ يَقْرَأُ، وَيَمْدَحُهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُبَاهِي بِهِ

مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ.

إِنَّ أَحَدَنَا لَوْ ظَنَّ أَنَّ رَئِيسَهُ، أَوْ وَالِدَهُ أَوْ وَجِيهًا يَنْظُرُ إِلَى قِرَاءَتِهِ وَيَمْدَحُهُ لَاجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ، فَكَيْفَ وَالَّذِي يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ مَلِكُ الْمُلُوكِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا، وَمَا تَحْتَ الثَّرَى.

فَالْقَارِئُ يَسْتَشْعِرُ أَنَّ اللهَ يُخَاطِبُهُ مُبَاشَرَةً، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَسْمَعُ قِرَاءَتَهُ، فَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهِ وَعِيدٌ اسْتَعَاذَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ».

هَكَذَا تَكُونُ الْمُنَاجَاةُ بِالْقُرْآنِ، إِنَّهَا قِرَاءَةٌ حَيَّةٌ يَعِي فِيهَا الْعَبْدُ مَاذَا يَقْرَأُ؟ وَلِمَاذَا يَقْرَأُ؟ وَمَنْ يُخَاطِبُ بِقِرَاءَتِهِ؟ وَمَاذَا يَحْتَاجُ مِنْهُ؟ وَمَا يَجِبُ لَهُ نَحْوَهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيسِ.

تَذَكَّرْ دَائِمًا إِذَا مَرَرْتَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ النَّجَاحِ وَالسَّعَادَةِ أَنْ تَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى إِيَّاهَا، وَإِذَا مَرَرْتَ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الشَّقَاءِ وَالْفَشَلِ وَالنَّكَدِ وَالضِّيقِ أَنْ تَسْتَعِيذَ بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا.

إِنَّ تَرْبِيَةَ النَّفْسِ عَلَى هَذِهِ الْمَقَاصِدِ حِينَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يُقَوِّي فِيهَا مُرَاقَبَةَ اللهِ تَعَالَى؛ فَيَكُونُ حَافِظًا لَهَا عِنْدَ الْفِتَنِ.

• الهدف الرابع: قراءة القرآن بقصد الثواب

وَرَدَ فِي تَرْتِيبِ الثَّوَابِ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ أَذْكُرُ طَرَفًا مِنْهَا لِلتَّذْكِيرِ بِهَذَا الْأَمْرِ الْمُهِمِّ:

١ - أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ،

وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ].

٢- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا: كِتَابُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُوَ حَبْلُ اللهِ، وَمَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ».

٣- أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٤- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ: أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟ فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ».

٥- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ».

٦- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ».

٧- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ».

٨- أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالْحَاكِمُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ. قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» [قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ، وَصَحَّحَهُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ فِي الْمُسْنَدِ].

٩- أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ، وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ].

١٠- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَأْتِي الْقُرْآنُ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ».

١١- أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ].

١٢- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

١٣- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ؛ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ؛ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ».

١٤- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ».

١٥- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ».

١٦- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لَوْ أَنَّ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ أَخَذُوهُ بِحَقِّهِ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ لَأَحَبَّهُمُ اللهُ، وَلَكِنْ طَلَبُوا بِهِ الدُّنْيَا فَأَبْغَضَهُمُ اللهُ، وَهَانُوا عَلَى النَّاسِ».

١٧- أَخْرَجَ الدَّارِمِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَصْفَرَ مِنْ خَيْرٍ مِنْ بَيْتٍ لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ شَيْءٌ، وَإِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مِنْ كِتَابِ اللهِ شَيْءٌ خَرِبٌ كَخَرَابِ الْبَيْتِ الَّذِي لَا سَاكِنَ فِيهِ».

١٨- أَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «الْبَيْتُ الَّذِي يُتْلَى فِيهِ كِتَابُ اللهِ كَثُرَ خَيْرُهُ، وَحَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لَا يُتْلَى فِيهِ كِتَابُ اللهِ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، وَقَلَّ خَيْرُهُ، وَحَضَرَتْهُ الشَّيَاطِينُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

• الهدف الخامس: قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به

المسألة الأولى: أدلة هذا المقصد

١- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾.

٢- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً**﴾.

٣- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**﴾.

٤- أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ» [ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الضَّعِيفَةِ].

٥- أَخْرَجَ ابْنُ حِبَّانَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَامْرَأَةٌ تُعَالِجُهَا، أَوْ تَرْقِيهَا، فَقَالَ: «عَالِجِيهَا بِكِتَابِ اللهِ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي

الصَّحِيحَةِ].

المسألة الثانية: أنواع الشفاء بالقرآن

الشِّفَاءُ بِالْقُرْآنِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: شِفَاءُ النَّفْسِ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

الثَّانِي: شِفَاءُ الْقَلْبِ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

الثَّالِثُ: شِفَاءُ الصَّدْرِ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْقَلَقِ.

الرَّابِعُ: شِفَاءُ الْبَدَنِ.

فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أَمْرَاضِ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَالْوَسَاوِسِ كُلِّهَا؛ الْقَهْرِيِّ مِنْهَا وَغَيْرِهِ، وَشِفَاءٌ لِلْأَبْدَانِ مِنَ الْأَسْقَامِ، فَمَتَى اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ هَذَا الْمَقْصِدَ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ لَهُ الشِّفَاءَانِ: الشِّفَاءُ الْعِلْمِيُّ الْمَعْنَوِيُّ، وَالشِّفَاءُ الْمَادِّيُّ الْبَدَنِيُّ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

المسألة الثالثة: كيف يحصل الشفاء بالقرآن

الِاسْتِشْفَاءُ بِالْقُرْآنِ يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْقِيَامُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَخَاصَّةً فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، وَهَذَا يُحَقِّقُ شِفَاءَ الْقَلْبِ الْعِلْمِيِّ الْمَعْنَوِيِّ النَّفْسِيِّ؛ بِسَبَبِ مَا يَحْصُلُ مِنْ عُمْقٍ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ وَفِقْهٍ لِآيَاتِهِ، وَفَهْمٍ لِلنَّفْسِ وَالْحَيَاةِ، حَيْثُ يَمْتَلِئُ الْقَلْبُ بِنُورِ اللهِ تَعَالَى وَآيَاتِهِ فَيَتَّسِعُ وَيَنْشَرِحُ؛ فَلَا يَبْقَى فِيهِ مَكَانٌ لِلشَّهَوَاتِ أَوِ الشُّبُهَاتِ أَوِ الْوَسَاوِسِ الْمُزْعِجَةِ الْمُقْلِقَةِ.

الثَّانِي: الرُّقْيَةُ بِهِ، فَالرِّيقُ النَّاتِجُ مِنْ تِلَاوَةِ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ فِي الشِّفَاءِ، وَلَا أَظُنُّ مُسْلِمًا يُنْكِرُ أَثَرَ النَّفْثِ بِالْآيَاتِ فِي الشِّفَاءِ وَالْعِلَاجِ، فَالْمُسْلِمُ يُوقِنُ بِهَذَا الْأَثَرِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ مَحْسُوسٌ، وَانْتِفَاعُ الْمُسْلِمِينَ بِهِ مُتَوَاتِرٌ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ، وَلَسْنَا بِحَاجَةٍ لِإِثْبَاتِ ذَلِكَ بِالْقَصَصِ وَالتَّجَارِبِ، بَلْ هُوَ يَقِينٌ عِلْمِيٌّ خَبَرِيٌّ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ، وَأَيْضًا هُوَ مُمْكِنٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، مِمَّنْ يَأْخُذُ بِالْأَسْبَابِ.

إِنَّ النَّاسَ بِأَمَسِّ الْحَاجَةِ لِلِاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾.

إِنَّ الْعِلَاجَ بِالْقُرْآنِ لَهُ تَرْكِيبَةٌ مُعَيَّنَةٌ، وَمَقَادِيرُ مُحَدَّدَةٌ، مَنْ أَرَادَ الشِّفَاءَ بِهِ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَلَّمَهَا، وَأَنْ يَتَرَبَّى عَلَيْهَا، وَإِنَّ أَيَّ إِخْلَالٍ بِهَذِهِ التَّرْكِيبَةِ قَدْ يَحُولُ دُونَ حُصُولِ الشِّفَاءِ التَّامِّ.

إِنَّ وَظِيفَةَ الْمَفَاتِيحِ الْعَشَرَةِ هِيَ تَوْصِيلُ الْقُرْآنِ إِلَى الْقُلُوبِ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، وَبِهِ يَحْصُلُ شِفَاءُ النَّفْسِ وَعَافِيَةُ الْبَدَنِ بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى.

المسألة الرابعة: التعامل المباشر مع القرآن

إِنَّنَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَعَامَلَ مَعَ الْقُرْآنِ مُبَاشَرَةً؛ فَهُوَ مُيَسَّرٌ لِكُلِّ مَنْ صَدَقَ فِي التَّعَامُلِ مَعَهُ، وَجَدَّ فِي الْقِيَامِ بِهِ، أَمَّا أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقُرْآنِ وُسَطَاءَ، وَنُهْمِلَ التَّعَامُلَ الْمُبَاشِرَ مَعَهُ فَهَذَا غَايَةُ الْحِرْمَانِ.

تَجِدُ الْبَعْضَ حِينَمَا يُصَابُ بِمُصِيبَةٍ أَوْ يَنْزِلُ بِهِ مَرَضٌ يَجُوبُ الْآفَاقَ وَيَطُوفُ الْبِلَادَ بَيْنَ الْقُرَّاءِ وَالْمُعَالِجِينَ، وَمَا عَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ أَقْرَبُ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْسَرُ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِينَمَا يَبْتَلِينَا بِالشَّدَائِدِ وَالْمَصَائِبِ يُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَتَضَرَّعَ وَأَنْ نَسْتَكِينَ وَنَتَذَلَّلَ بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾، وَالْقِيَامُ الطَّوِيلُ بِالْقُرْآنِ هُوَ مِنْ أَهَمِّ صُوَرِ التَّذَلُّلِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالتَّضَرُّعِ بَيْنَ يَدَيْهِ، كَمَا يَحْصُلُ فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ وَغَيْرِهَا؛ فَالْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ مِنْ أَقْوَى أَسْبَابِ الْعَافِيَةِ وَالشِّفَاءِ.

المفتاح الثالث: أن تكون القراءة حفظا

المسألة الأولى: العلاقة بين الحفظ والتدبر

إِنَّ عِلَاجَ أَيِّ مُشْكِلَةٍ لَهُ ثَلَاثُ صُوَرٍ:

الْأُولَى: الْمُعَالَجَةُ الذِّهْنِيَّةُ الْمُجَرَّدَةُ الشَّفَهِيَّةُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيرٍ وَلَا تَرْتِيبٍ لِلْحُلُولِ.

الثَّانِيَةُ: الْمُعَالَجَةُ الْمَكْتُوبَةُ الْمُحَرَّرَةُ الْمُرَتَّبَةُ.

الثَّالِثَةُ: الْمُعَالَجَةُ الذِّهْنِيَّةُ الْمُرْتَبِطَةُ بِمُعَالَجَةٍ مَكْتُوبَةٍ وَمُحَرَّرَةٍ مُسْبَقًا؛ بِمَعْنَى حِفْظِ مَا تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ فِي عِلَاجِ الْمُشْكِلَةِ كِتَابِيًّا.

وَالصُّورَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ أَقْوَاهَا، تَلِيهَا الثَّانِيَةُ، ثُمَّ الْأُولَى.

وَحِفْظُ الْقُرْآنِ وَتَكْرَارُ قِرَاءَتِهِ هُوَ مِنَ النَّوْعِ الثَّالِثِ؛ فَتَرْدِيدُ الْآيَةِ وَالتَّفَكُّرُ فِيهَا وَهِيَ مَحْفُوظَةٌ أَفْضَلُ مِنْ تَكْرَارِهَا نَظَرًا، لِأَنَّ مَفْعُولَ الطَّرِيقَةِ الثَّالِثَةِ يَسْتَمِرُّ، بَيْنَمَا الثَّانِيَةُ يَقِفُ عِنْدَ إِغْلَاقِ الْمُصْحَفِ.

إِنَّ الْهَدَفَ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ حِفْظُ مَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْعِلْمِ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكُمُ الْعِلْمُ الَّذِي يُعَالِجُ جَمِيعَ قَضَايَا الْحَيَاةِ وَيَحُلُّ كُلَّ الْمَشَاكِلِ وَيُحَقِّقُ السَّعَادَةَ وَالْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لِلْإِنْسَانِ، وَيُحَقِّقُ لَهُ الثَّبَاتَ فِي الْأَزَمَاتِ، وَالْقُوَّةَ لِلْأُمَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ أَعْدَائِهَا، هَذَا هُوَ الْهَدَفُ الْأَهَمُّ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُرَكِّزَ عَلَيْهِ الْقَائِمُونَ عَلَى التَّرْبِيَةِ.

إِنَّ حِفْظَ الْأَلْفَاظِ وَسِيلَةٌ وَلَيْسَ غَايَةً، وَسِيلَةٌ إِلَى حِفْظِ الْمَعَانِي، وَالِانْتِفَاعِ بِهَا فِي الْحَيَاةِ.

إِنَّ الِاقْتِصَارَ عَلَى حِفْظِ الْأَلْفَاظِ قُصُورٌ فِي حَقِّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَهُوَ انْحِرَافٌ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَنَقْصٌ فِي الِانْتِفَاعِ بِهِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

المسألة الثانية: أهمية حفظ القرآن

لَقَدْ كَثُرَتْ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- مَشَارِيعُ تَحْفِيظِ الْقُرْآنِ كَثْرَةً تُثْلِجُ الصَّدْرَ وَتُقِرُّ الْعَيْنَ،

وَتَسَابَقَ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ فِي الْبَذْلِ عَلَيْهَا بِسَخَاءٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيرِ، يَفُوقُ كَثِيراً مِمَّا عَهِدْنَاهُ فِي أَزْمِنَةٍ سَابِقَةٍ، وَشَهِدْنَا -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- إِقْبَالاً وَاسِعًا وَكَبِيراً مِنَ الْبَنِينَ وَالْبَنَاتِ وَالْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ رَغْمَ كَثْرَةِ الْمُشْغِلَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ، وَهَذَا شَيْءٌ يُبَشِّرُ بِخَيْرٍ وَيُرْجَى بَرَكَتُهُ وَنُورُهُ وَخَيْرُهُ عَلَى الْفَرْدِ وَالْمُجْتَمَعِ.

وَمَعَ هَذَا فَيُوجَدُ انْصِرَافُ الْكَثِيرِ عَنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَعْذَارٌ مُتَنَوِّعَةٌ:

فَمِنْهُمُ الْيَائِسُ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُمُ الْمُسَوِّفُ الَّذِي يَقُولُ: سَوْفَ أَحْفَظُ فِيمَا بَعْدُ، وَمِنْهُمُ الَّذِي آثَرَ اللَّهْوَ وَاللَّعِبَ وَالسَّوَالِيفَ عَلَى الْجِدِّ وَبَذْلِ الْجُهْدِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُمُ الْغَافِلُ عَنْ فَضَائِلِ حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُمُ الْمُفَضِّلُ لِقِرَاءَةِ النَّظَرِ عَلَى الْحِفْظِ، وَيَرَى أَنَّ الْحِفْظَ يُذْهِبُ الْوَقْتَ دُونَ أَنْ يَقْرَأَ كَثِيراً، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: الْمُهِمُّ فِقْهُ الْمَعَانِي وَالتَّدَبُّرُ دُونَ الْحِفْظِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: كُلَّمَا حَفِظْتُ نَسِيتُ فَمَا الْفَائِدَةُ مِنَ الْحِفْظِ؟! وَمِنْهُمُ الْمُتَعَجِّلُ الَّذِي يُرِيدُ حِفْظَ الْقُرْآنِ فِي أَشْهُرٍ أَوْ سَنَةٍ وَإِلَّا فَلَا، وَمِنْهُمُ الشَّحِيحُ بِوَقْتِهِ وَجُهْدِهِ يُرِيدُ حِفْظَ الْقُرْآنِ دُونَ أَنْ يُضَحِّيَ وَيُعْطِيَ.

وَإِلَى كُلِّ هَؤُلَاءِ نَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ هُوَ الرُّوحُ وَالنُّورُ، رُوحٌ مِنَ اللهِ، وَنُورٌ مِنَ اللهِ، كَلِمَاتُ اللهِ، آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ مِنَّا لَا يَقْبَلُ هَذَا النُّورَ وَالرُّوحَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صَدْرِهِ.

مَا تَحْفَظُهُ مِنَ الْقُرْآنِ تَكُونُ حَمَلْتَهُ فِي صَدْرِكَ أَنَّى رُحْتَ فَهُوَ مَعَكَ، وَكَلِمَاتُهُ تَتَرَدَّدُ فِي نَفْسِكَ وَقَلْبِكَ أَيْنَمَا كُنْتَ.

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ].

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْبَيْتَ الْخَرِبَ مَأْوَى الشَّيَاطِينِ، فَكَذَلِكَ الْقَلْبُ الْخَرِبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، أَمَّا الْقَلْبُ الْعَامِرُ بِحِفْظِ الْقُرْآنِ؛ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ، فَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ، وَ-بِإِذْنِ

اللهِ- تَعَالَى لَا يَتَمَكَّنُ مِنْ إِيذَائِهِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ؛ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»، فَهَذَا أَمْرٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُؤَكَّدٌ بِالْقَسَمِ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَأْمُرُنَا أَنْ نَحْفَظَ الْقُرْآنَ، وَأَنْ نُحَافِظَ عَلَى مَا نَحْفَظُهُ بِكُلِّ قُوَّةٍ وَحَزْمٍ، فَهَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى فَضِيلَةِ حِفْظِ الْقُرْآنِ وَشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ».

وَمِنْ فَضَائِلِ حِفْظِ الْقُرْآنِ التَّأَسِّي بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتِهِ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، حَضَراً وَسَفَراً، قَائِماً، وَقَاعِداً، وَمُسْتَلْقِياً، فِي الصَّلَاةِ وَفِي غَيْرِ الصَّلَاةِ، مَا كَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ إِلَّا الْجَنَابَةُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ حَلَقَاتِ تَحْفِيظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ شَجَّعَ عَلَى تَحْفِيظِ الْقُرْآنِ، وَكَانَ يُتَابِعُ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَيَتَفَقَّدُ حِفْظَهُمْ وَيُرَغِّبُهُمْ فِي زِيَادَتِهِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذاً لِلْقُرْآنِ؟»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ».

وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَمِّرَ أَحَداً فَإِنَّ اخْتِبَارَ الْمُفَاضَلَةِ هُوَ حِفْظُ الْقُرْآنِ، وَهَذَا قَدْ وَرَدَ فِي عَدَدٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

وَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِفْظَ الْقُرْآنِ مَهْراً لِلزَّوَاجِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وَقَدِ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْحِفْظُ، وَقَالُوا: «أَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا»، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعِلْمِ فِي مُخَاطَبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّحَابَةِ فِي عَدَدٍ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقَ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التِّرْمِذِيِّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ].

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ هَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا لِحَافِظِ الْقُرْآنِ، أَمَّا مَنْ لَا يَحْفَظُ فَكَيْفَ يَقْرَأُ؟! وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى عَدَدٌ مِنْ شُرَّاحِ الْحَدِيثِ.

أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَاشْغَلُوهَا بِالْقُرْآنِ، وَلَا تَشْغَلُوهَا بِغَيْرِهِ».

اقْرَأُوا كَثِيراً عَنْ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ فِي الْقُرْآنِ، وَفِي السُّنَّةِ؛ لِكَيْ تَفْقَهُوا مَعْنَى قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هُوَ نَبَؤٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ**﴾، وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**﴾، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾.

مَنْ يُبْصِرُ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَبْذُلُ كُلَّ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ حَمْلِهِ وَحِفْظِهِ فِي صَدْرِهِ، وَلَا يُطِيقُ أَنْ يَدَعَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ دُونَ أَنْ يَضُمَّهَا بَيْنَ جَنْبَيْهِ وَيَحْتَضِنَهَا فِي صَدْرِهِ.

مَثَلُ حَافِظِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْحَافِظِ؛ مَثَلُ اثْنَيْنِ فِي سَفَرٍ؛ الْأَوَّلُ: زَادُهُ التَّمْرُ، وَالثَّانِي: زَادُهُ الدَّقِيقُ، فَالْأَوَّلُ: يَأْكُلُ مَتَى شَاءَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَالثَّانِي: لَا بُدَّ لَهُ مِنْ نُزُولٍ، وَعَجْنٍ،

وَإِيقَادِ نَارٍ، وَخَبْزٍ، وَانْتِظَارِ نُضْجٍ.

الْعِلْمُ مِثْلُ الدَّوَاءِ لَا يُؤَثِّرُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَوْفَ، وَيَخْتَلِطَ بِالدَّمِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَإِنَّ أَثَرَهُ مُؤَقَّتٌ.

الْحِفْظُ وَعَدَمُهُ مِثْلُ الْجِهَازِ الْمُزَوَّدِ بِبَطَّارِيَّةٍ، وَالْجِهَازِ الَّذِي لَيْسَ كَذَلِكَ، الْأَوَّلُ يُمْكِنُ أَنْ يَشْتَغِلَ فِي أَيِّ مَكَانٍ، أَمَّا الثَّانِي فَلَا بُدَّ مِنْ مَصْدَرِ كَهْرَبَاءَ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «أَنَا جَنَّتِي وَبُسْتَانِي فِي صَدْرِي، أَنَّى رُحْتُ فَهِيَ مَعِي»، وَهُوَ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ الَّتِي فِي صَدْرِهِ، تُثَبِّتُهُ وَتَزِيدُهُ يَقِينًا.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللهِ لِأَحَدِ طُلَّابِهِ: «أَتَحْفَظُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: لَا؟ قَالَ: وَاغَوْثَاهُ لِمُؤْمِنٍ لَا يَحْفَظُ الْقُرْآنَ! فَبِمَ يَتَرَنَّمُ؟ فَبِمَ يَتَنَعَّمُ؟ فَبِمَ يُنَاجِي رَبَّهُ؟».

ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيَرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْقَطَّانِ أَنَّهُ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَحْسَنَ انْتِزَاعًا لِمَا أَرَادَ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ مِنْ أَبِي سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، وَكَانَ جَارَنَا، وَكَانَ يُدِيمُ صَلَاةَ اللَّيْلِ وَتِلَاوَةَ الْقُرْآنِ، فَلِكَثْرَةِ دَرْسِهِ صَارَ الْقُرْآنُ كَأَنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، يَنْتَزِعُ مِنْهُ مَا شَاءَ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ».

هَذَا الْمَقْصُودُ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ مَتَى كَانَتِ الْآيَةُ مَحْفُوظَةً فَتَكُونُ حَاضِرَةً، وَيَتِمُّ رَبْطُهَا بِالْمَوَاقِفِ الَّتِي تَمُرُّ بِالشَّخْصِ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ بِشَكْلٍ سَرِيعٍ وَمُبَاشِرٍ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْقُرْآنُ فِي الرُّفُوفِ وَالْمَصَاحِفِ وَلَيْسَ فِي الصُّدُورِ؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ لَنَا أَنْ نُطَبِّقَهُ عَلَى حَيَاتِنَا؟!

إِنَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ يُعِينُ عَلَى كَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، أَمَّا حِينَ لَا يُوجَدُ الْحِفْظُ فَهَذَا يُضَيِّقُ وَيُقَلِّلُ مِنْ فُرَصِ قِرَاءَتِهِ؛ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ فِي الْمُصْحَفِ لَا تَتَيَسَّرُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَمِنْ فَضَائِلِ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْمُهِمَّةِ -وَهَذِهِ يُدْرِكُهَا مَنْ يُقَدِّرُ اللهُ لَهُ طُولَ الْعُمُرِ- أَنَّهُ يَكُونُ أَنِيسَهُ وَسَلْوَتَهُ فِي وَحْدَتِهِ وَغُرْبَتِهِ حِينَ يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِ الزَّمَانُ؛ يَذْهَبُ أَقْرَانُهُ وَخِلَّانُهُ وَتَأْتِي أَجْيَالٌ لَا تَنْسَجِمُ مَعَ طَبِيعَتِهِ وَشَخْصِيَّتِهِ، وَحِينَ يَضْعُفُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ فَإِنَّ خَيْرَ جَلِيسٍ وَخَلِيلٍ لَكَ

هُوَ مَا تَحْفَظُهُ مِنَ الْقُرْآنِ.

إِنَّ دَوَامَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ حِفْظًا عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ يَحْفَظُ حَيَاةَ الْقَلْبِ؛ فَيَزْدَادُ نُوراً فَيُبْصِرُ عِظَاتِ الْقُرْآنِ وَآيَاتِهِ وَيَعِي أَوَامِرَهُ وَتَوْجِيهَاتِهِ، وَيَنْدَهِشُ لِعَجَائِبِهِ وَأَسْرَارِهِ.

مِنَ الْمُهِمِّ جِدّاً لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِقَدْرٍ مِنَ الْقُرْآنِ قَلَّ أَوْ كَثُرَ، يَقْرَؤُهُ عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ، قَبْلَ النَّوْمِ، وَحِينَ الِاسْتِيقَاظِ، وَعِنْدَ كُلِّ دُخُولٍ وَخُرُوجٍ، وَقِيَامٍ وَقُعُودٍ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، بِحَيْثُ يَكُونُ الْقُرْآنُ هُوَ شُغْلُ الْقَلْبِ وَحَدِيثُهُ، وَمَتَى كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ حَصَلَتْ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَزْدَادُ نُوراً، وَفِي ذَلِكَ تَحْصِينٌ لِلْقَلْبِ مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، أَمَّا إِنْ كَانَ شُغْلُ الْقَلْبِ هُوَ الْهَوَاجِسَ وَالْخَوَاطِرَ الَّتِي تَشْغَلُ وَتُلْهِي الْقَلْبَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فَإِنَّ قَلْبًا هَذَا شَأْنُهُ لَهُوَ قَلْبٌ مَرِيضٌ أَوْ مَيِّتٌ، فَكَيْفَ يَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَ، وَيُبْصِرُ حِكَمَهُ وَعِظَاتِهِ؟! وَكَيْفَ يُعَظِّمُهُ وَيُقَدِّرُهُ حَقَّ قَدْرِهِ؟!

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ تَحْفَظُهُ وَتُكَرِّرُهُ بِدَايَةً وَنِهَايَةً، كُلَّمَا خَتَمْتَهُ تُكَرِّرُهُ مَرَّةً أُخْرَى؛ حَتَّى لَوْ كَانَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ أَوْ جُزْءاً وَاحِداً ، أَوْ حَتَّى أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، الْمُهِمُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ قَدْرٌ مِنَ الْقُرْآنِ تَعْرِفُ بِدَايَتَهُ وَنِهَايَتَهُ، وَتُكَرِّرُ قِرَاءَتَهُ حِفْظًا آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ.

فَعَلَى كُلِّ رَاغِبٍ فِي الْخَيْرِ أَنْ يُبَادِرَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ السَّانِحَةَ وَالصَّيْدَ السَّهْلَ الثَّمِينَ، فَيَبْدَأُ مَشْرُوعَ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْمُبَارَكِ لِتَظْهَرَ بَرَكَتُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ، وَصِحَّتِهِ وَبَدَنِهِ، هَذَا فِي الدُّنْيَا، أَمَّا فِي الْآخِرَةِ فَلَا تَسَلْ عَمَّا لِحَافِظِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَفْنَى عُمْرَهُ مُجَاهِداً فِي حِفْظِهِ مِنَ النُّورِ، وَالْأُجُورِ، وَالْفَرَحِ، وَالْغِبْطَةِ، وَالسُّرُورِ.

المسألة الثالثة: كيف تحفظ القرآن

أولا: نصيحة لمن يريد حفظ القرآن

الِاسْتِعْجَالُ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ يُؤَدِّي لِفَقْدِهِ سَرِيعًا، فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّفْسَ تَتَقَلَّبُ بَيْنَ نَشَاطٍ وَضَعْفٍ وَإِقْبَالٍ وَإِدْبَارٍ، وَكَذَلِكَ الْإِنْسَانُ يَتَقَلَّبُ بَيْنَ عُسْرٍ وَيُسْرٍ وَبَيْنَ سَعَةٍ وَضِيقٍ، وَشِدَّةٍ وَرَخَاءٍ، فَإِذَا كَانَ الْحِفْظُ مُكَثَّفًا؛ أَيْ بِاسْتِعْجَالٍ وَكَثْرَةٍ تَزِيدُ عَنْ طَاقَةِ الشَّخْصِ فَإِنَّهُ إِذَا

مَرَّتْ بِهِ ظُرُوفٌ لَا يُمْكِنُهُ الْمُحَافَظَةُ عَلَى هَذَا الْحِفْظِ الْكَثِيرِ وَلَا يُطِيقُ أَنْ يَتَنَازَلَ عَنْ بَعْضِهِ لِيَتَمَسَّكَ بِبَقِيَّتِهِ، فَيَعِيشُ صِرَاعًا نَفْسِيًّا صَعْبًا إِلَى أَنْ يَفْقِدَ حِفْظَهُ كَامِلاً، أَمَّا مَا يَحْفَظُهُ بِطَرِيقَةِ (احْفَظْ وَاحْفَظْ) فَإِنَّهُ -بِعَوْنِ اللهِ- لَا يَتَأَثَّرُ بِالظُّرُوفِ الَّتِي تَعْتَرِي الْإِنْسَانَ، وَيَسْهُلُ اسْتِعَادَتُهُ بَعْدَ زَوَالِهَا بِسُهُولَةٍ؛ لِأَنَّهُ تَمَّ اكْتِسَابُهُ عَلَى مَهْلٍ وَبِتَكْرَارٍ كَثِيرٍ؛ فَلَا يَتَفَلَّتُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَا يُكْتَسَبُ سَرِيعًا يُفْقَدُ سَرِيعًا، وَالْعَكْسُ.

لَوْ تَتَبَّعْنَا هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ لَوَجَدْنَا أَنَّ أَوَّلَ وَأَهَمَّ أَمْرٍ فِيهِ هُوَ عَدَمُ الِاسْتِعْجَالِ؛ فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَفِظَ الْقُرْآنَ فِي (٢٣) سَنَةً، وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَحَفِظَهُ فِي سَاعَةٍ؛ وَلَكِنَّهُ تَعْلِيمٌ وَتَرْبِيَةٌ لِأُمَّتِهِ، وابْنُ عَبَّاسٍ (النَّابِغَةُ الْمَوْهُوبُ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا تُوُفِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَحْفَظَ الْقُرْآنَ وَعُمْرُهُ سِتُّ سَنَوَاتٍ، أَوْ سَبْعُ سَنَوَاتٍ، كَمَا يَفْعَلُ الْمُتَأَخِّرُونَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَحْفَظُ سِوَى الْمُفَصَّلِ؛ أَيْ سُبْعَ الْقُرْآنِ فَقَطْ، وَالْأَمْثِلَةُ عَلَى هَذَا كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِينَا فِي هَذَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾، وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ مُفَرَّقًا فِي (٢٣) سَنَةً؛ مِنْ أَجْلِ تَثْبِيتِ قَلْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَقْرَبُ الطُّرُقِ لِحِفْظِ الْقُرْآنِ طَرِيقَةُ: (احْفَظْ وَاحْفَظْ)، وَتُسَمَّى (طَرِيقَةَ الْأَرْبَاعِ)؛ تَقُومُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ عَلَى أَنَّ مَا تَحْفَظُهُ لَا يَصِحُّ أَنْ تَتْرُكَهُ أَوْ تَنْسَاهُ، بَلْ تُحَافِظُ عَلَيْهِ مَا دُمْتَ حَيًّا.

وَمَتَى رَأَيْتَ أَنَّ مَا تَحْفَظُهُ زَادَ عَلَى مَا تَسْتَطِيعُ مُرَاجَعَتَهُ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ فَعَلَيْكَ بِالتَّوَقُّفِ، وَالِاكْتِفَاءِ بِمَا حَفِظْتَ، أَوْ حَتَّى التَّنَازُلِ عَنْ بَعْضِ مَا تَحْفَظُ مُقَابِلَ أَنَّكَ تُحَافِظُ عَلَى بَقِيَّةِ حِفْظِكَ.

تَقُومُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ عَلَى مَبْدَأِ (الْحِفْظِ الْمُسْتَمِرِّ)، عَدَمِ التَّوَقُّفِ؛ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ.

وَمِنَ الْفَوَائِدِ الْمُهِمَّةِ لِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنَّ مَا تَحْفَظُهُ يَبْقَى -بِعَوْنِ اللهِ- ثَابِتًا سَهْلاً حَتَّى بَعْدَ ضَعْفِ الذَّاكِرَةِ حِينَ الْكِبَرِ، فَلَا يَجِدُ الْكَبِيرُ عَنَاءً فِي اسْتِرْجَاعِهِ وَتَكْرَارِهِ.

لَيْسَ الْهَدَفُ حِفْظَ كُلِّ الْقُرْآنِ، بَلِ الْهَدَفُ حِفْظُ مَا أَمْكَنَ وَتَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً.

الْجَمِيعُ يُمْكِنُهُ الدُّخُولُ فِي مَشْرُوعِ حِفْظِ الْقُرْآنِ، وَالسَّيْرُ فِيهِ، وَلَا يَهُمُّ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يَصِلُ، بَلِ الْمُهِمُّ أَنَّهُ يَسِيرُ، وَإِنْ مَاتَ فَهُوَ عَلَى نِيَّتِهِ مَهْمَا كَانَ حِفْظُهُ قَلِيلاً، يُؤْجَرُ عَلَى نِيَّتِهِ، وَهَذَا خَيْرٌ مِنَ الْفَرَاغِ مِنْ نِيَّةِ حِفْظِ الْقُرْآنِ؛ فَيَفُوتُ عَلَيْهِ حَظٌّ كَبِيرٌ وَثَوَابٌ عَظِيمٌ، كَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُدْرِكَهُ بِالنِّيَّةِ الْجَازِمَةِ وَالْعَزِيمَةِ الصَّادِقَةِ وَالسَّيْرِ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ وَقُدْرَتِهِ.

اتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَاصِلِ السَّيْرَ مَا دُمْتَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَإِنْ مِتَّ قَبْلَ حِفْظِ الْقُرْآنِ كَامِلاً، فَأَنْتَ تُؤْجَرُ عَلَى نِيَّتِكَ الصَّادِقَةِ، فَيُكْتَبُ لَكَ حِفْظُ الْقُرْآنِ كَامِلاً، وَفِي خِلَالِ حَيَاتِكَ قَدْ كَسَبْتَ مَكَاسِبَ عَظِيمَةً لَا تَخْطُرُ لَكَ عَلَى بَالٍ، بِكَثْرَةِ تَكْرَارِ الْقُرْآنِ وَتَرْدِيدِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، وَهَذَا هُوَ الْهَدَفُ الْمُهِمُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ نُرَكِّزَ عَلَيْهِ.

مَنْ يَقُولُ: الْحِفْظُ يَأْخُذُ وَقْتِي، وَقِرَاءَةُ النَّظَرِ أَكْثَرُ وَأَسْرَعُ فِي الْقِرَاءَةِ، فَنَقُولُ لَهُ: إِنَّ مَنْ يَحْفَظُ وَيُكَرِّرُ فَهُوَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيُكْتَبُ لَهُ ثَوَابُ تَكْرَارِهِ وَتَرْدِيدِهِ، بَلْ إِنَّ مَنْ يُجَاهِدُ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ أَكْثَرُ قِرَاءَةً لِحُرُوفِ الْقُرْآنِ وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا مِنْ ثَوَابٍ وَحَسَنَاتٍ، مِمَّنْ يَخْتِمُهُ نَظَراً مَهْمَا كَثُرَتْ خَتَمَاتُهُ.

مَبْدَأُ الْاسْتِرَاتِيجِيَّةِ فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ مُهِمٌّ جِدّاً، لِأَنَّ السَّيْرَ الْمُسْتَمِرَّ هُوَ الَّذِي يُوصِلُ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى إِلَى تَحْقِيقِ الْهَدَفِ وَلَوْ طَالَ الزَّمَنُ، الْمُهِمُّ أَنَّكَ تَسِيرُ وَلَا تَتَوَقَّفُ، فَأَكْثَرُ مَا يَهْدِمُ الْمَشَارِيعَ وَيَئِدُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْمُوَ وَتَكْبُرَ هُوَ التَّوَقُّفُ بِسَبَبِ الْيَأْسِ، أَوْ بِسَبَبِ عَدَمِ التَّخْطِيطِ الْاسْتِرَاتِيجِيِّ.

مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَكُونَ الْحِفْظُ مُرَتَّبًا مُتَتَابِعًا، لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَصْرِفُ النَّاسَ عَنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ هُوَ أَنَّهُ لَا يَرَى ثَمَرَةَ حِفْظِهِ، بَلْ هُوَ مُشَتَّتٌ مُبَعْثَرٌ، كُلَّ يَوْمٍ فِي مَكَانٍ، وَكُلَّ فَتْرَةٍ لَهُ طَرِيقَةٌ، وَمَرَّةً يَحْفَظُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ، وَمَرَّةً مِنْ آخِرِهِ، وَمَرَّةً يَشْتَغِلُ بِحِفْظِ سُوَرٍ مُعَيَّنَةٍ، وَهَكَذَا

حِفْظُهُ مُشَتَّتٌ مُبَعْثَرٌ، لَا يُمْكِنُ جَمْعُهُ وَتَنْظِيمُهُ، وَضَبْطُهُ وَإِتْقَانُهُ.

ثانيا: طريقة حفظ القرآن

١- مَا تَحْفَظُهُ لَا يَصِحُّ أَنْ تَنْسَاهُ، بَلْ تُرَاجِعُهُ دُونَ تَوَقُّفٍ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ إِلَى عَشَرَةٍ.

٢- إِذَا عَجَزْتَ عَنْ ذَلِكَ فَتَوَقَّفْ عَنْ زِيَادَةِ الْحِفْظِ وَاقْتَصِرْ عَلَى مَا تَمَّ حِفْظُهُ.

٣- إِذَا عَجَزْتَ عَنْ ذَلِكَ فَيَتِمُّ تَخْفِيضُ مِقْدَارِ الْحِفْظِ إِلَى مَا يُمْكِنُ مُرَاجَعَتُهُ فِي عَشَرَةِ أَيَّامٍ، حَتَّى لَوْ كَانَ جُزْءاً وَاحِداً.

٤- تَتَوَقَّفُ الْمُرَاجَعَةُ عِنْدَ حِفْظِ الرُّبْعِ الْجَدِيدِ.

٥- يَتِمُّ حِفْظُ الرُّبْعِ الْجَدِيدِ فِي يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يَسْتَغْرِقَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

٦- عِنْدَ حِفْظِ الرُّبْعِ الْجَدِيدِ لَا تَنْتَقِلْ مِنْ وَجْهٍ لِلَّذِي يَلِيهِ حَتَّى تُتْقِنَ حِفْظَهُ، وَمِقْيَاسُ ذَلِكَ أَنْ تَقْرَأَهُ فِي دَقِيقَةٍ.

٧- الْحِفْظُ الْجَدِيدُ يَحْتَاجُ إِلَى الْمُرَاجَعَةِ وَالتَّكْرَارِ طُولَ الْيَوْمِ حَتَّى يَرْسَخَ، ثُمَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً لِمُدَّةِ شَهْرٍ.

٨- لَا تَبْدَأْ بِحِفْظِ رُبْعٍ جَدِيدٍ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ مَهْمَا كَانَتْ قُوَّةُ الْحِفْظِ؛ لَا تَسْتَعْجِلْ.

٩- إِذَا لَاحَظْتَ حَالَ الْمُرَاجَعَةِ ضَعْفاً فِي أَيِّ وَجْهٍ فَكَرِّرْهُ حَتَّى يُمْكِنَكَ أَنْ تَقْرَأَهُ فِي دَقِيقَةٍ.

١٠- يَجِبُ حِفْظُ رُؤُوسِ الْأَوْجُهِ لِكُلِّ رُبْعٍ، وَمَعْرِفَةُ تَرْتِيبِهَا، وَمَعْرِفَةُ أَرْبَاعِ كُلِّ سُورَةٍ.

١١- تَمَّ تَقْسِيمُ الْقُرْآنِ إِلَى (١٢٠) رُبْعاً، وَبِشَرْطِ أَلَّا يُوجَدَ رُبْعٌ بَيْنَ سُورَتَيْنِ.

١٢- انْظُرْ جَدْوَلَ أَرْبَاعِ الْقُرْآنِ.

١٣- التَّصْوِيرُ مُهِمٌّ جِدّاً لِتَثْبِيتِ الْحِفْظِ، وَالتَّصْوِيرُ هُوَ: التَّفْكِيرُ وَالنَّظَرُ بِقَلْبِكَ دُونَ قِرَاءَةٍ إِلَى الْآيَاتِ كَأَنَّكَ تَرَاهَا فِي الْمُصْحَفِ، تُقَلِّبُ صَفَحَاتِهِ بِقَلْبِكَ؛ بِمَعْنَى أَنْ تَنْظُرَ بِقَلْبِكَ إِلَى بِدَايَاتِ الْأَوْجُهِ، وَعَدَدِ آيَاتِ كُلِّ وَجْهٍ، وَمَوْقِعِ الْوَجْهِ: هَلْ يَمِينٌ أَوْ يَسَارٌ، وَبِدَايَاتِ الْآيَاتِ، وَنِهَايَةِ كُلِّ آيَةٍ، وَتَسْتَعْرِضُ آيَاتِ كُلِّ وَجْهٍ، وَالْمُقَارَنَةُ بَيْنَ الْأَوْجُهِ، كُلُّ ذَلِكَ دُونَ قِرَاءَةٍ، أَمَّا إِنِ احْتَاجَ هَذَا التَّذَكُّرُ إِلَى قِرَاءَةٍ دَلَّ عَلَى ضَعْفِ الْحِفْظِ.

١٤- مِنْ مَقَايِيسِ قُوَّةِ الْحِفْظِ أَنْ تَقْرَأَ بِسُرْعَةٍ، وَأَنْ تَتَذَكَّرَ الْآيَةَ التَّالِيَةَ قَبْلَ انْتِهَاءِ الْآيَةِ الْحَالِيَّةِ.

١٥- فِي حِفْظِ الْجَدِيدِ تَكُونُ الْقِرَاءَةُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ؛ مِنْ أَجْلِ اخْتِبَارِ قُوَّةِ الْحِفْظِ، فَأَيُّ تَعَثُّرٍ مَعَ سُرْعَةِ الْقِرَاءَةِ يَدُلُّ عَلَى خَلَلٍ فِي الْحِفْظِ، وَأَنَّهُ مَا زَالَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَثْبِيتٍ، وَأَمَّا فِي الْمُرَاجَعَةِ فَتَكُونُ الْقِرَاءَةُ بِتَرْتِيلٍ وَتَدَبُّرٍ؛ أَيْ: بِتَمَهُّلٍ، وَتَكْرَارٍ، وَدُعَاءٍ.

١٦- فِي حَالِ الِانْقِطَاعِ وَتَوَقُّفِ مُرَاجَعَةِ الْحِفْظِ لِأَيِّ سَبَبٍ أَوْ ظَرْفٍ؛ تَحْتَاجُ إِلَى تَرْمِيمِ الْحِفْظِ وَإِعَادَةِ تَأْهِيلِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِنَفْسِ طَرِيقَةِ حِفْظِ الرُّبْعِ الْجَدِيدِ.

١٧- أَهَمُّ قَاعِدَةٍ لِتَرْسِيخِ أَيِّ حِفْظٍ هِيَ تَكْرَارُهُ مُدَّةَ شَهْرٍ كَامِلٍ، مَرَّةً كُلَّ يَوْمٍ، أَمَّا تَكْرَارُهُ كَثِيراً لِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ تَرْكُهُ وَالِاشْتِغَالُ بِحِفْظِ غَيْرِهِ؛ فَهَذَا يُؤَدِّي لِتَسَرُّبِ الْحِفْظِ وَضَعْفِهِ.

وَبِاخْتِصَارٍ: أَهَمُّ قَانُونٍ لِلْحِفْظِ هُوَ: التَّكْرَارُ الْمُتَتَالِي الْمُسْتَمِرُّ مِثْلَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَلَا يَصْلُحُ كَثِيراً دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَلَا يَصْلُحُ تَرْكُهُ طَوِيلاً.

١٨- يَجِبُ التَّوَقُّفُ عَنِ الْحِفْظِ الْجَدِيدِ إِذَا رَأَيْتَ أَنَّ الْوَقْتَ الْيَوْمِيَّ الْمُخَصَّصَ لِلْقُرْآنِ لَا يَكْفِي لِلْمُرَاجَعَةِ، أَوْ عِنْدَ حُصُولِ خَلَلٍ فِي الْمُرَاجَعَةِ.

١٩- لَوْ تَحْفَظُ رُبْعًا كُلَّ شَهْرٍ تَحْتَاجُ (١٢٠) شَهْراً؛ أَيْ تَحْفَظُ الْقُرْآنَ فِي عَشْرِ سَنَوَاتٍ فَقَطْ، وَلَيْسَ أَيَّ حِفْظٍ، بَلْ حِفْظٌ بِإِتْقَانٍ وَإِحْكَامٍ، يَتِمُّ اسْتِثْمَارُهُ وَالِانْتِفَاعُ بِهِ مِنْ بِدَايَةِ الْحِفْظِ، وَإِلَى مَا شَاءَ اللهُ مِنْ سَنَوَاتِ الْعُمْرِ، ثُمَّ الْفَرَحُ بِهِ عِنْدَ لِقَاءِ اللهِ، وَرِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّاتِ، نَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ مِنْ فَضْلِهِ.

ثالثا: أرباع القرآن

- تَمَّ تَقْسِيمُ الْقُرْآنِ إِلَى (١٢٠) رُبُعًا، كُلُّ رُبُعٍ خَمْسَةُ أَوْجُهٍ
- الْأَرْبَاعُ ضَرُورِيَّةٌ لِتَصَوُّرِ جِهَاتِ الصَّفَحَاتِ؛ لِئَلَّا يَتَدَاخَلَ الْحِفْظُ.
- تَمَّتْ تَسْمِيَةُ الرُّبْعِ بِأَوَّلِ سُورَةٍ فِيهِ؛ فَمَثَلاً رُبْعُ (الضُّحَى) يَعْنِي: مِنَ الضُّحَى إِلَى النَّاسِ.
- الْغَالِبُ أَنَّ الرُّبُعَ خَمْسَةُ أَوْجُهٍ، وَقَدْ يَنْقُصُ إِلَى أَرْبَعَةٍ، أَوْ يَزِيدُ إِلَى سِتَّةٍ أَوْ سَبْعَةٍ، وَهُوَ قَلِيلٌ؛ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ عَدَمِ تَقْسِيمِ الرُّبْعِ بَيْنَ سُورَتَيْنِ.

(جدول أرباع القرآن وتخطيط الحفظ)

الربع	التاريخ	الربع	التاريخ	الربع	التاريخ	الربع	التاريخ
الضحى		يس١		الكهف١		الأنعام١	
الأعلى		يس٢		الكهف٢		الأنعام٢	
الانفطار		فاطر		الإسراء ١		الأنعام٣	
عمَّ		سبأ		الإسراء ٢		الأنعام٤	
القيامة		الأحزاب١		النحل ١		الأنعام٥	
الجن		الأحزاب٢		النحل ٢		المائدة١	
الحاقة		لقمان		النحل ٣		المائدة٢	
تبارك		الروم		الحجر		المائدة٣	
الطلاق		العنكبوت١		إبراهيم		المائدة٤	
الجمعة		العنكبوت٢		الرعد		النساء١	
الممتحنة		القصص١		يوسف ١		النساء٢	
المجادلة		القصص٢		يوسف ٢		النساء٣	
الحديد		النمل١		يوسف ٣		النساء٤	
الرحمن		النمل٢		هود١		النساء٥	
النجم		الشعراء١		هود ٢		النساء٦	
الذاريات		الشعراء ٢		هود ٣		آل عمران١	
الحجرات		الفرقان ١		يونس ١		آل عمران٢	
الفتح		الفرقان ٢		يونس ٢		آل عمران٣	
محمد		النور ١		يونس ٣		آل عمران٤	
الأحقاف		النور ٢		التوبة ١		آل عمران٥	
الدخان		المؤمنون ١		التوبة ٢		البقرة١	
الزخرف		المؤمنون ٢		التوبة ٣		البقرة٢	

الربع	التاريخ	الربع	التاريخ	الربع	التاريخ	الربع	التاريخ
الشورى		الحج ١		التوبة ٤		البقرة٣	
فصلت		الحج ٢		الأنفال ١		البقرة٤	
غافر١		الأنبياء ١		الأنفال ٢		البقرة٥	
غافر٢		الأنبياء ٢		الأعراف١		البقرة٦	
الزمر١		طه ١		الأعراف٢		البقرة٧	
الزمر٢		طه ٢		الأعراف٣		البقرة٨	
ص		مريم ١		الأعراف٤		البقرة٩	
الصافات		مريم ٢		الأعراف٥		البقرة١٠	

تنبيه:

كَانَ الْحِفْظُ التَّرْبَوِيُّ أَحَدَ مَسَائِلِ هَذَا الْمِفْتَاحِ، وَقَدْ صَدَرَ فِي كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ بِعُنْوَانِ: (الْحِفْظُ التَّرْبَوِيُّ لِلْقُرْآنِ وَصِنَاعَةُ الْإِنْسَانِ).

وَمِنَ الْمُهِمِّ جِدّاً أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ عَلَى عِلْمٍ وَدِرَايَةٍ بِمَفْهُومِ الْحِفْظِ التَّرْبَوِيِّ لِلْقُرْآنِ، وَأَنْ يُطَبِّقَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ لِكَيْ يَنْتَفِعَ بِالْقُرْآنِ غَايَةَ الِانْتِفَاعِ، وَيَسْعَدَ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

المفتاح الرابع: أن تكون القراءة في صلاة

- **المسألة الأولى: نصوص تؤكد أهميته**

إِنَّ هَذَا الْمِفْتَاحَ مِنْ أَهَمِّ مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنَ، وَأَعْظَمِهَا شَأْنًا، وَقَدْ وَرَدَ عَدَدٌ مِنَ النُّصُوصِ تَدُلُّ عَلَيْهِ وَتُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّتَهُ؛ مِنْ ذَلِكَ:

١- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً**﴾، فَدَلَّتِ الْآيَاتُ عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ طَرِيقٌ لِلْوُصُولِ إِلَى الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْآيَةُ خِطَابٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأُمَّتِهِ وَإِنْ كَانَ مَقَامُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَى مِنْ مَقَامِ بَقِيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ.

٢-وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً * نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً**﴾، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ هِيَ السَّبِيلُ لِتَحَمُّلِ الْأَحْمَالِ الثَّقِيلَةِ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ الدِّينِيَّةُ أَوِ الدُّنْيَوِيَّةُ؛ فَهُوَ الطَّرِيقُ لِمُوَاجَهَةِ وَحَلِّ مَشَاكِلِ وَصُعُوبَاتِ الْحَيَاةِ كُلِّهَا.

٣- وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾، فَأَثْنَى اللهُ تَعَالَى عَلَى الثُّلَّةِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِآيَاتِهِ لَيْلاً.

٤- وَقَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ الْعُلَمَاءَ هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِالْقُرْآنِ لَيْلاً، وَأَنَّهُمْ أَعْلَى مَكَانًا وَأَرْفَعُ مَكَانَةً.

٥- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ».

فَنَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ التَّنَافُسَ وَالتَّسَابُقَ وَالشَّرَفَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي أَمْرَيْنِ اثْنَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، وَهُمَا الطَّرِيقُ لِكُلِّ الْفَضَائِلِ الْأُخْرَى:

الْأَوَّلُ: الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ، وَهُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

الثَّانِي: إِنْفَاقُ الْمَالِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ الرَّافِدُ لِلْمَشَارِيعِ وَتَنْفِيذِ الْأَعْمَالِ.

وَالثَّانِي تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ؛ فَالْعَمَلُ ثَمَرَةٌ وَنَتِيجَةٌ لِلْعِلْمِ.

وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: (يُنْفِقُهُ) مَعَ قَوْلِهِ: (يَقُومُ بِهِ)؛ فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ وَلَمْ يَقُمْ بِهِ؛ أَيْ: لَمْ يَقْرَأْهُ فِي صَلَاةٍ فَهُوَ مِثْلُ مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً وَلَمْ يُنْفِقْهُ، وَيُؤَكِّدُ هَذَا الْحَدِيثُ الْآتِي:

٦- أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَاقْرَؤُهُ وَأَقْرِئُوهُ، فَإِنَّ مَثَلَ الْقُرْآنِ لِمَنْ تَعَلَّمَهُ فَقَامَ بِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ مَحْشُوٍّ مِسْكًا يَفُوحُ رِيحُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَثَلُ مَنْ تَعَلَّمَهُ فَرَقَدَ وَهُوَ فِي جَوْفِهِ كَمَثَلِ جِرَابٍ أُوكِيَ عَلَى مِسْكٍ» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ]؛ فَدَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ مَنْ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَرَقَدَ وَلَمْ يَقُمْ بِهِ فَهُوَ مِثْلُ مَنِ اشْتَرَى طِيبًا وَتَرَكَهُ مُغْلَقًا وَلَمْ يَسْتَخْدِمْهُ، وَيُبَيِّنُ الْحَدِيثُ التَّالِي الْهَدَفَ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ، وَسَبَبَ هَذَا الْفَرْقِ الْكَبِيرِ بَيْنَ مَنْ يَقُومُ بِهِ، وَمَنْ لَا يَقُومُ بِهِ.

٧- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِنْ لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»، فَنَصَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَتَذَكُّرِ مَعَانِيهِ وَتَثْبِيتِهَا فِي الْقَلْبِ هُوَ الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ؛ أَيْ قِرَاءَتِهِ فِي صَلَاةٍ، ثُمَّ أَكَّدَ الطَّرَفَ الْآخَرَ مِنَ الْقَضِيَّةِ؛ وَهُوَ أَنَّ عَدَمَ الْقِيَامِ سَبَبُ النِّسْيَانِ، فَلَمْ يَدَعْ بِذَلِكَ مَجَالاً لِلشَّكِّ فِي أَهَمِّيَّةِ وَعَظَمَةِ هَذَا الْمِفْتَاحِ مِنْ مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ.

إِنَّ حِفْظَ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَرُسُوخَهَا فِي الْقَلْبِ، وَكَوْنَهَا حَاضِرَةً فِي كُلِّ آنٍ، وَخَاصَّةً فِي الْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ فِي الْحَيَاةِ؛ مَوَاقِفِ الشِّدَّةِ وَالذُّهُولِ، الْمَوَاقِفِ الَّتِي يُفْتَنُ فِيهَا الْمَرْءُ

وَيُمْتَحَنُ وَيُخْتَبَرُ، هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ؛ ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾.

فَمَنْ كَانَ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ فَتَجِدُ إِجَابَاتِهِ حَاضِرَةً وَسَرِيعَةً وَقَوِيَّةً، تَجِدُهُ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مُفَرِّطاً فِي اسْتِخْدَامِ هَذَا الْمِفْتَاحِ فَمَا أَسْرَعَ مَا يَسْقُطُ وَيَهْوِي.

فَمَنْ يَتَرَبَّى عَلَى هَذَا الْمِفْتَاحِ -وَخَاصَّةً مُنْذُ الصِّغَرِ- يَسْهُلُ عَلَيْهِ الِانْتِفَاعُ بِهِ فِي الْحَيَاةِ، أَمَّا مَنْ لَمْ يَتَرَبَّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ تَضِيقُ بِهِ الْحَيَاةُ فِي حَالِ الشِّدَّةِ، وَتَضِيعُ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ حَالَ الرَّخَاءِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقِرَاءَةِ دَاخِلَ الصَّلَاةِ إِلَّا الِانْقِطَاعُ عَنِ الشَّوَاغِلِ وَالْمُلْهِيَاتِ لَكَفَى، فَإِنَّ الْمُصَلِّيَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ حَرُمَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ وَالِالْتِفَاتُ وَالْحَرَكَةُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ، فَهَذَا أَعْوَنُ عَلَى التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ وَأَجْمَعُ لِلْقَلْبِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ مَنْ حَوْلَهُ لَا يُقَاطِعُهُ وَلَا يَشْغَلُهُ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ.

• المسألة الثانية: اجتماع القرآن والصلاة هو الحياة

إِنَّ اجْتِمَاعَ الْقُرْآنِ مَعَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ يُمْكِنُ أَنْ يُشَبَّهَ بِاجْتِمَاعِ الْأُكْسُجِينِ مَعَ الْهَيْدْرُوجِينِ؛ حَيْثُ يَنْتِجُ مِنْ تَرْكِيبِهِمَا الْمَاءُ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَبْدَانِ؛ فَكَذَلِكَ اجْتِمَاعُ الْقُرْآنِ مَعَ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ؛ يَنْتِجُ عَنْهُ مَاءُ حَيَاةِ الْقَلْبِ وَصِحَّتِهِ وَقُوَّتِهِ.

لِذَلِكَ جَاءَ التَّأْكِيدُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي الْقُرْآنِ كَثِيراً؛ إِمَّا بِالْعِبَارَةِ أَوْ بِالْإِشَارَةِ؛ مِنْ ذَلِكَ:

١- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، فَالصَّبْرُ هُوَ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ وَسِيلَتُهُ الْقِرَاءَةُ بِتَدَبُّرٍ، وَهُوَ حَاصِلٌ لِمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي صَلَاةٍ.

٢- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

٣- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ وَهَذِهِ الْآيَةُ نَصٌّ صَرِيحٌ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ.

٤- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾؛ فَدَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ مَنْ جَمَعَ هَذِهِ الْأُمُورَ الثَّلَاثَةَ حَصَلَتْ لَهُ التِّجَارَةُ الرَّابِحَةُ.

٥- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ...**﴾، وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ نَصٌّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَثْبُتُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَتَحْصُلُ لَهُ الْقُوَّةُ إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، الَّتِي بَدَأَتْ بِالصَّلَاةِ، وَخُتِمَتْ بِالصَّلَاةِ؛ لِلتَّأْكِيدِ أَنَّ تَحْصِيلَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْقُوَّةِ وَسِيلَتُهُ وَالطَّرِيقُ إِلَيْهِ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةٍ.

٦- كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَيُطِيلُ فِيهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، كَمَا فِي صَلَاةِ الْكُسُوفِ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةٍ هِيَ الْمَفْزَعُ إِلَى اللهِ تَعَالَى لِدَفْعِ الضُّرِّ وَجَلْبِ النَّفْعِ، وَهَذَا عَيْنُ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٧- يَقُولُ الشَّيْخُ عَطِيَّه سَالِم عَنْ شَيْخِهِ الشِّنْقِيطِيِّ: «وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَا يَتْرُكُ وِرْدَهُ مِنَ اللَّيْلِ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً، وَقَدْ أَفَادَ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾؛ فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ، وَهَكَذَا هُنَا، فَإِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ كَانَتْ عَوْنًا لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَا سَيُلْقَى عَلَيْهِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ»

• المسألة الثالثة: القيام بالقرآن وقيام الليل

هَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ وَقِيَامِ اللَّيْلِ؟

لِلْجَوَابِ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ نَقُولُ:

إِنَّ الْقِيَامَ بِالْقُرْآنِ لَهُ مَعْنَيَانِ:

الْأَوَّلُ: عَامٌّ؛ وَهُوَ الْقِيَامُ بِحَقِّ الْقُرْآنِ وَتَطْبِيقُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ.

وَالثَّانِي: خَاصٌّ، وَهُوَ الْمَقْصُودُ فِي هَذَا السُّؤَالِ، وَهُوَ قِرَاءَتُهُ فِي قِيَامٍ؛ أَيْ فِي الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ لَيْلاً فَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، لَكِنْ وُجِدَ مِنَ الْبَعْضِ مَنْ جَعَلَ

قِيَامَ اللَّيْلِ صَلَاةً شَكْلِيَّةً لَا رُوحَ فِيهَا، فَهِيَ خَالِيَةٌ مِنَ الْعِنَايَةِ بِالْقُرْآنِ وَقَصْدِ تَدَبُّرِهِ وَكَثْرَةِ قِرَاءَتِهِ؛ فَلِذَلِكَ تَرَى قِرَاءَتَهُ لِلْقُرْآنِ فِي صَلَاتِهِ بِاللَّيْلِ لَا يُطَبِّقُ فِيهَا أَيًّا مِنْ مَفَاتِيحِ التَّدَبُّرِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَرَى انْتِفَاعَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْقِيَامِ يَكُونُ مَحْدُوداً وَضَعِيفًا، أَخْرَجَ ابْنُ مَاجَهْ، عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُوراً. قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا» [صَحَّحَهُ الْبُوصِيرِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الصَّحِيحَةِ]؛ لِذَلِكَ لَا تَسْتَغْرِبُ أَنَّهُ رُبَّمَا وُجِدَ مَنْ يَقُومُ اللَّيْلَ، وَفِي النَّهَارِ يَقَعُ فِي الْغِيبَةِ، وَيَأْكُلُ الرِّبَا، وَلَا يُرَاعِي حُقُوقَ النَّاسِ، وَيَغُشُّ وَيَخْدَعُ وَيَكْذِبُ وَيَجْزَعُ وَيَتَسَخَّطُ وَيَقْلَقُ... إِلَخْ مِنْ مَظَاهِرِ الضَّعْفِ وَالْفَشَلِ فِي الْحَيَاةِ، وَقَدْ تَسْمَعُ مَنْ يَشْكُو حَالَهُ فِي أَنَّهُ يَقَعُ فِي بَعْضِ الْمُنْكَرَاتِ مَعَ أَنَّهُ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَالسَّبَبُ أَنَّ قِيَامَهُ قِيَامُ لَيْلٍ وَلَيْسَ قِيَامًا بِالْقُرْآنِ؛ فَهُوَ خَالٍ مِنْ أَيِّ عِلْمٍ أَوْ إِيمَانٍ؛ إِنَّهُ قِيَامٌ أَجْوَفُ، مُجَرَّدُ حَرَكَاتٍ لَا يَعْقِلُ مِنْهَا شَيْئًا، وَقَدْ جَاءَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «رَكْعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ»، الْمَعْنَى أَنَّهُ رُبَّمَا وُجِدَ مِنَ الْبَعْضِ قَصْدُ تَكْثِيرِ الرَّكَعَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ دُونَ عِنَايَةٍ بِإِقَامَتِهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، وَقَدْ تَجِدُ مَنْ يُصَلِّي عَشْرَ رَكَعَاتٍ فِي عَشْرِ دَقَائِقَ.

وَأَيْضًا وُجِدَ مِنْ بَعْضِ حُفَّاظِ الْقُرْآنِ مَنْ جَعَلَ الصَّلَاةَ وَسِيلَةً لِمُرَاجَعَةِ حِفْظِهِ دُونَ أَنْ يَعِيَ عَظِيمَ قَدْرِ الصَّلَاةِ، فَتَرَاهُ قَدْ قَصَرَ هَمَّهُ عَلَى قِرَاءَةٍ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنْ حِفْظِهِ فِي الْقِيَامِ، ثُمَّ يَخْطِفُ بَقِيَّةَ الْأَرْكَانِ خَطْفًا لَا يَطْمَئِنُّ فِيهَا وَلَا يُقِيمُهَا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ، وَهَذَا مِنَ الْعَجَائِبِ، وَلَوْلَا أَنَّهُ وُجِدَ لَمَا ذَكَرْتُهُ هُنَا، وَالسَّبَبُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ هُوَ أَنَّهُ لَمَسَ فِعْلاً أَثَرَ الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ فِي تَثْبِيتِ الْحِفْظِ، فَقَصَرَ هِمَّتَهُ وَنِيَّتَهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي يُحَقِّقُ لَهُ بَعْضَ الْمَكَاسِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ.

وَبَعْضُ الْأَئِمَّةِ فِي صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ وَالْقِيَامِ فِي رَمَضَانَ يُطِيلُونَ الْقِرَاءَةَ مَعَ سُرْعَةٍ عَالِيَةٍ، ثُمَّ يُطَفِّفُونَ بَقِيَّةَ الْأَرْكَانِ، وَالْقَصْدُ مِنْ هَذَا تَحْصِيلُ خَتْمِ الْقُرْآنِ وَالدُّعَاءِ عِنْدَ ذَلِكَ، فَهَلْ مِثْلُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَلِيقُ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهَلْ تَمَّ تَحْصِيلُ الْمَقْصُودِ مِنَ الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ؟

- **المسألة الرابعة: ثواب قراءة القرآن في صلاة**

١- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُوداً**﴾.

٢- قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾.

٣- أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي دَاوُدَ].

٤- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ».

• المسألة الخامسة: الصلاة دخول على الله تعالى وقرب منه

قَدْ دَلَّتْ نُصُوصٌ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ يَزْدَادُ قُرْبـًا مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُقْبِلُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ؛ مِنْ ذَلِكَ:

١- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ مُنَاجٍ رَبَّهُ، وَرَبُّهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ».

٢- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَمَامَهُ؛ فَإِنَّهُ مُسْتَقْبِلٌ رَبَّهُ».

٣- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قُلْتُ لِعَطَاءٍ: «أَيَجْعَلُ الرَّجُلُ يَدَهُ عَلَى أَنْفِهِ أَوْ ثَوْبِهِ؟ قَالَ: فَلَا، قُلْتُ: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأُحِبُّ أَلَّا يُخَمِّرَ فَاهُ».

٤- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ عَنْ عَطَاءٍ قَالَ: «بَلَغَنَا أَنَّ الرَّبَّ يَقُولُ: إِلَى أَيْنَ تَلْتَفِتُ؟ إِلَيَّ يَا ابْنَ آدَمَ؛ إِنِّي خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ تَلْتَفِتُ إِلَيْهِ».

• المسألة السادسة: مقاصد الصلاة

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَصْنَعُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ، أَفَلَا أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً».

إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُصَلِّي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةَ عَلَى أَنَّهَا وَاجِبٌ يُؤَدِّيهِ، وَرُبَّمَا صَلَّى بَعْضَ النَّوَافِلِ طَمَعـًا فِي زِيَادَةِ الثَّوَابِ وَالْحَسَنَاتِ أَوْ تَكْفِيرِ الذُّنُوبِ وَمَحْوِ السَّيِّئَاتِ، نَعَمْ هَذِهِ بَعْضُ مَقَاصِدِ الصَّلَاةِ، وَبِهَذَا الْفَهْمِ كَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَنْظُرُ إِلَى الصَّلَاةِ -وَهِيَ مَا زَالَتْ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ-؛ فَلِذَلِكَ تَعَجَّبَتْ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ تَظُنُّ أَنَّ مَنْ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى الِاجْتِهَادِ فِي الصَّلَاةِ، فَجَاءَ تَوْجِيهُ الْعَالِمِ

بِرَبِّهِ، الْعَارِفِ بِمَا يَجِبُ لَهُ نَحْوَهُ فَقَالَ كَلِمَتَهُ الْعَظِيمَةَ: أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً».

وَقَدْ فَصَّلْتُ الْكَلاَمَ عَلَى مَقَاصِدِ الْصَّلاَةِ فِيْ كِتَابِ (مَفَاتِحِ إِقَامَةِ الْصَّلاَةِ)

المفتاح الخامس: أن تكون القراءة في ليل

مقدمة:

إِنَّ اللَّيْلَ -وَخَاصَّةً وَقْتَ السَّحَرِ- مِنْ أَفْضَلِ الْأَوْقَاتِ لِلتَّذَكُّرِ، فَالذَّاكِرَةُ تَكُونُ فِي أَعْلَى مُسْتَوىً بِسَبَبِ الْهُدُوءِ وَالصَّفَاءِ، وَبِسَبَبِ بَرَكَةِ الْوَقْتِ حَيْثُ النُّزُولُ الْإِلَهِيُّ، وَفَتْحُ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، فَأَيُّ أَمْرٍ تُرِيدُ تَثْبِيتَهُ فِي الذَّاكِرَةِ بِحَيْثُ تَتَذَكَّرُهُ خِلَالَ النَّهَارِ فَقُمْ بِمُرَاجَعَتِهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ، وَقَدِ اسْتَفَادَ مِنْ هَذَا أَهْلُ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ السِّيَاسَةِ وَالِاقْتِصَادِ؛ حَيْثُ ذَكَرَ عَدَدٌ مِنْهُمْ أَنَّهُ يَقُومُ بِمُرَاجَعَةِ لَوَائِحِهِ، أَوْ حِسَابَاتِهِ، أَوْ مُعَامَلَاتِهِ وَأَوْرَاقِهِ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ، وَأَنَّهُ يُوَفَّقُ لِلصَّوَابِ فِي قَرَارَاتِهِ.

إِنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ أَهْلُ الْآخِرَةِ أَوْلَى بِاغْتِنَامِ هَذِهِ الْفُرْصَةِ لِتَثْبِيتِ إِيمَانِهِمْ وَعِلْمِهِمْ.

وَإِنَّ مِنَ الْحَقَائِقِ التَّارِيخِيَّةِ الْجَدِيرَةِ بِالدِّرَاسَةِ وَالتَّأَمُّلِ تِلْكَ الْعَلَاقَةُ بَيْنَ قُوَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ قِيَامِهِمْ بِالْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ، فَمِنْ خِلَالِ تَأَمُّلٍ سَرِيعٍ تَجِدُ أَنَّ انْتِصَارَاتِ الْمُسْلِمِينَ وُجِدَتْ حِينَمَا كَانَتْ جُنُودُهُ تُوصَفُ بِأَنَّهُمْ: (رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، فُرْسَانٌ فِي النَّهَارِ).

إِنَّ الْعِلْمَ بِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ أَمْرٌ فِي غَايَةِ الْأَهَمِّيَّةِ، وَقَدْ كُتِبَ فِيهِ كَثِيراً، وَكُتُبُ السُّنَّةِ غَنِيَّةٌ بِبَيَانِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ؛ فَيَحْسُنُ التَّفَقُّهُ فِيهَا وَكَثْرَةُ قِرَاءَةِ نُصُوصِهَا.

المسألة الأولى: نصوص تؤكد أهميته

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِ الْقِرَاءَةِ فِي لَيْلٍ أَحَدُ مَفَاتِحِ التَّدَبُّرِ:

١- قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُوداً**﴾.

٢- قَوْلُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً**﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «هُوَ أَجْدَرُ أَنْ يَفْقَهَ الْقُرْآنَ» ، وَمَعْنَى نَاشِئَةِ اللَّيْلِ: أَيِ الْقِيَامِ بَعْدَ النَّوْمِ، وَبِهِ

يَجْتَمِعُ رَاحَةُ الْبَدَنِ وَالرُّوحِ؛ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ اجْتِمَاعُ الْقَلْبِ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ، أَمَّا الْقِرَاءَةُ حِينَ التَّعَبِ وَالْإِجْهَادِ فَإِنَّ التَّدَبُّرَ وَالْفَهْمَ يَكُونُ ضَعِيفًا.

٣- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾.

٤- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ**﴾.

٥- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْقِيَامِ بِالْحِزْبِ مِنَ الْقُرْآنِ هُوَ اللَّيْلُ، وَفِي حَالَةِ الْعُذْرِ فَإِنَّهُ يُعْطَى الثَّوَابَ نَفْسَهُ إِذَا قَضَاهُ فِي النَّهَارِ.

٦- يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ فِي (فَتْحِ الْبَارِي)، فِي شَرْحِ حَدِيثِ مُدَارَسَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ: «الْمَقْصُودُ مِنَ التِّلَاوَةِ الْحُضُورُ وَالْفَهْمُ، لِأَنَّ اللَّيْلَ مَظِنَّةُ ذَلِكَ؛ لِمَا فِي النَّهَارِ مِنَ الشَّوَاغِلِ وَالْعَوَارِضِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ»

٧- قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوُا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ، وَيَتَفَقَّدُونَهَا فِي النَّهَارِ»

٨- قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أَوَّلُ مَا يُنْقَصُ مِنَ الْعِبَادَةِ: التَّهَجُّدُ بِاللَّيْلِ، وَرَفْعُ الصَّوْتِ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ».

٩- يَقُولُ الشَّيْخُ عَطِيه سَالِم -حَاكِيًا عَنْ شَيْخِهِ الشَّنْقِيطِيِّ -: «وَقَدْ سَمِعْتُ الشَّيْخَ يَقُولُ: لَا يُثَبِّتُ الْقُرْآنَ فِي الصَّدْرِ، وَلَا يُسَهِّلُ حِفْظَهُ، وَيُيَسِّرُ فَهْمَهُ إِلَّا الْقِيَامُ بِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ»

١٠- يَقُولُ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ: «رَأَيْتُ الْفَوَائِدَ تَرِدُ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ».

١١- يَقُولُ النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِهِ (التِّبْيَانِ): «يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ اعْتِنَاؤُهُ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي اللَّيْلِ

أَكْثَرَ، وَفِي صَلَاةِ اللَّيْلِ أَكْثَرَ، وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ، وَإِنَّمَا رَجَحَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ وَقِرَاءَتُهُ لِكَوْنِهَا أَجْمَعَ لِلْقَلْبِ، وَأَبْعَدَ عَنِ الشَّاغِلَاتِ وَالْمُلْهِيَاتِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْحَاجَاتِ، وَأَصْوَنَ عَنِ الرِّيَاءِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُحْبِطَاتِ، مَعَ مَا جَاءَ بِهِ الشَّرْعُ مِنْ إِيجَادِ الْخَيْرَاتِ فِي اللَّيْلِ، فَإِنَّ الْإِسْرَاءَ بِالرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَيْلاً»

١٢- ذَكَرَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ الْجَفْرِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى كُرْزِ بْنِ وَبَرَةَ فِي بَيْتِهِ، فَإِذَا هُوَ يَبْكِي، فَقُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: إِنَّ بَابِي مُغْلَقٌ، وَإِنَّ سَتْرِي لَمُسْبَلٌ، وَمُنِعْتُ حِزْبِي أَنْ أَقْرَأَهُ الْبَارِحَةَ».

المسألة الثانية: القراءة للقلب مثل السقي للنبات

إِنَّ الْقِرَاءَةَ لِلْقَلْبِ مِثْلُ السَّقْيِ لِلنَّبَاتِ، فَالسَّقْيُ لَا يَكُونُ فِي حَرِّ الشَّمْسِ؛ فَإِنَّ هَذَا يُضْعِفُ أَثَرَهُ، خَاصَّةً مَعَ قِلَّةِ الْمَاءِ؛ فَإِنَّهُ يَتَبَخَّرُ، وَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ إِذَا كَانَتْ قَلِيلَةً، وَكَانَتْ فِي النَّهَارِ وَقْتَ الضَّجِيجِ وَالْمُشْغِلَاتِ، فَإِنَّ مَا يَرِدُ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْمَعَانِي يَتَبَخَّرُ وَلَا يُؤَثِّرُ فِيهِ، وَهَذَا يُجِيبُ عَلَى تَسَاؤُلِ الْبَعْضِ إِذْ يَقُولُ: إِنِّي أُكْثِرُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ لَكِنْ لَا أَتَأَثَّرُ بِهِ؟ فَعِنْدَمَا تَسْأَلُهُ: مَتَى تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ يَتَبَيَّنُ أَنَّ كُلَّ قِرَاءَتِهِ فِي النَّهَارِ، وَفِي وَقْتِ الضَّجِيجِ، وَبِشَيْءٍ مِنَ الْمُكَابَدَةِ لِحُصُولِ التَّرْكِيزِ؛ فَكَيْفَ سَيَتَأَثَّرُ؟

إِنَّ الْقِرَاءَةَ فِي اللَّيْلِ يَحْصُلُ مَعَهَا الصَّفَاءُ وَالْهُدُوءُ؛ حَيْثُ لَا أَصْوَاتَ تَشْغَلُ الْأُذُنَ، وَلَا صُوَرَ تَشْغَلُ الْعَيْنَ فَيَحْصُلُ التَّرْكِيزُ التَّامُّ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى وُصُولِ مَعَانِي الْقُرْآنِ إِلَى الْقَلْبِ؛ فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ قُوَّةُ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَقُوَّةُ الْحِفْظِ وَالرُّسُوخِ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ وَمَعَانِيهِ.

المفتاح السادس: الجهر والتغني بالقراءة

المسألة الأولى: تعريفهما

الْجَهْرُ: هُوَ رَفْعُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ.

وَالتَّغَنِّي: هُوَ التَّطْرِيبُ وَالتَّلْحِينُ وَتَزْيِينُ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ وَفْقَ مَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

المسألة الثانية: أدلة مشروعيتهما

١- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ».

٢- أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالدَّارِمِيُّ، وَالْحَاكِمُ، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ؛ فَإِنَّ الصَّوْتَ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حُسْنًا» [صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٣- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ».

٤- أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ أَذَنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ؛ يَجْهَرُ بِهِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ» [قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٥- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، فَقَالَ أَبُو مُوسَى: لَوْ عَلِمْتُ مَكَانَكَ؛ لَحَبَّرْتُ لَكَ تَحْبِيراً».

٦- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ، وَأَعْرِفُ

مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ؛ وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ».

٧- أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، عَنْ أُمِّ هَانِئٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي» [حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ النَّسَائِيِّ].

٨- أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ لَيْلَةً فَإِذَا بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلِّي يَخْفِضُ صَوْتَهُ، وَمَرَّ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يُصَلِّي رَافِعًا صَوْتَهُ، قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَخْفِضُ مِنْ صَوْتِكَ؟ قَالَ: قَدْ أَسْمَعْتُ مِنْ نَاجَيْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَالَ لِعُمَرَ: مَرَرْتُ بِكَ وَأَنْتَ تُصَلِّي تَرْفَعُ صَوْتَكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرِدُ الشَّيْطَانَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا، وَقَالَ لِعُمَرَ: اخْفِضْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا» [صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ فِي الْمَجْمُوعِ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صِفَةِ الصَّلَاةِ].

٩- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقِرَاءَةِ بِاللَّيْلِ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي حُجْرَتِهِ قِرَاءَةً لَوْ أَرَادَ حَافِظٌ أَنْ يَحْفَظَهَا فَعَلَ».

١٠- أَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ ذُكِرَ لَهُ أَنَّهُ سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ: «إِنْ كُنْتَ فَاعِلاً فَاقْرَأْ قِرَاءَةً تَسْمَعُهَا أُذُنُكَ، وَيَعِيهَا قَلْبُكَ».

١١- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: «إِذَا قَرَأْتَ فَأَسْمِعْ أُذُنَيْكَ؛ فَإِنَّ الْقَلْبَ عَدْلٌ بَيْنَ اللِّسَانِ وَالْأُذُنِ».

إِنَّ الْجَهْرَ بِمَا يَدُورُ فِي الْقَلْبِ أَعْوَنُ عَلَى التَّرْكِيزِ وَالِانْتِبَاهِ؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْإِنْسَانَ يَلْجَأُ إِلَيْهِ قَسْراً عِنْدَمَا تَتَعَقَّدُ الْأُمُورُ، وَيَصْعُبُ التَّفْكِيرُ.

إِنَّ الْبَعْضَ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ يُسِرُّ بِقِرَاءَتِهِ؛ طَلَبًا لِلسُّرْعَةِ وَقِرَاءَةِ أَكْبَرِ قَدْرٍ مُمْكِنٍ، وَهَذَا

خَطَأٌ، وَمِنَ الْوَاضِحِ غِيَابُ قَصْدِ التَّدَبُّرِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ.

المسألة الثالثة: حد الجهر ومقداره

إِنَّ الْجَهْرَ دَرَجَاتٌ، أَدْنَاهَا أَنْ يُسْمِعَ الْمَرْءُ أُذُنَهُ، وَتَحْرِيكُ أَدَوَاتِ النُّطْقِ مِنْ لِسَانٍ وَشَفَتَيْنِ، وَأَعْلَاهَا أَنْ يُسْمِعَ مَنْ قَرُبَ مِنْهُ، فَمَا دُونَهُ لَيْسَ بِجَهْرٍ، وَمَا فَوْقَهُ يُعِيقُ التَّدَبُّرَ وَيُرْهِقُ الْقَارِئَ.

وَكُلَّمَا كَانَ الصَّوْتُ مَشْدُوداً حَيّاً كَانَ أَعْوَنَ عَلَى التَّدَبُّرِ، وَطَرْدِ الْوَسَاوِسِ وَالْأَفْكَارِ الْمُتَطَفِّلَةِ عَلَى الْقَلْبِ أَثْنَاءَ الْقِرَاءَةِ.

المسألة الرابعة: فوائد الجهر بقراءة القرآن

مِنْ فَوَائِدِ الْجَهْرِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مَا يَلِي:

١ - يَزِيدُ مِنْ تَرْكِيزِ الْقَلْبِ وَتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ.

٢ - اسْتِمَاعُ الْمَلَائِكَةِ الْمُوكَلَةِ بِسَمَاعِ الذِّكْرِ لِقِرَاءَةِ الْقَارِئِ.

٣ - هُرُوبُ وَفِرَارُ الشَّيَاطِينِ عَنِ الْقَارِئِ وَالْمَكَانِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ.

٤ - تَطْهِيرٌ لِلْبَيْتِ وَتَعْطِيرٌ لَهُ وَجَعْلُهُ بِيئَةً صَالِحَةً لِلتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ.

أَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يُتْلَى فِيهِ كِتَابُ اللهِ كَثُرَ خَيْرُهُ، وَحَضَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ، وَالْبَيْتَ الَّذِي لَا يُتْلَى فِيهِ كِتَابُ اللهِ ضَاقَ بِأَهْلِهِ، وَقَلَّ خَيْرُهُ وَحَضَرَتْهُ الشَّيَاطِينُ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ».

المسألة الخامسة: كيفية التغني

التَّغَنِّي يَحْصُلُ بِالتَّلْحِينِ وَشَدِّ الصَّوْتِ؛ بِأَنْ تَشْتَغِلَ جَمِيعُ الْجَوَارِحِ الصَّوْتِيَّةِ؛ أَيْ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ مِنَ الشَّفَتَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالْحَلْقِ أَيِ الْحَنْجَرَةِ، فَالْمُلَاحَظُ أَنَّهُ يُمْكِنُ الْقِرَاءَةُ بِتَشْغِيلِ بَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ؛ وَذَلِكَ مُسْتَوَيَاتٌ:

١ - الْقِرَاءَةُ الصَّامِتَةُ الْقَلْبِيَّةُ دُونَ تَحْرِيكِ أَيٍّ مِنْ جَوَارِحِ الصَّوْتِ.

٢- الْقِرَاءَةُ الْحَلْقِيَّةُ مَعَ صَمْتِ اللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ.

٣- الْقِرَاءَةُ الشَّفَوِيَّةُ بِتَحْرِيكِ الشَّفَتَيْنِ لِوَحْدِهَا دُونَ الْحَلْقِ.

٤- الْقِرَاءَةُ اللِّسَانِيَّةُ؛ أَيْ بِاللِّسَانِ وَحْدَهُ.

وَالْأَفْضَلُ وَالْأَكْمَلُ أَنْ تَعْمَلَ جَمِيعُ هَذِهِ الْأَجْهِزَةِ مَعًا وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ خَاصَّةً الْحَنْجَرَةَ؛ أَيِ الْحَلْقَ فَهُوَ مُرْتَكَزُ التَّغَنِّي وَالتَّطْرِيبِ.

وَكُلَّمَا كَانَتِ الْقِرَاءَةُ بِتَغَنٍّ كَانَتْ أَقْوَى تَأْثِيراً وَأَقْوَى تَوْصِيلاً لِلْمَعَانِي إِلَى الْقَلْبِ، وَأَكْبَرَ أَثَراً فِي خُشُوعِ الْقَلْبِ.

إِنَّ حُسْنَ الصَّوْتِ لَهُ ارْتِبَاطٌ قَوِيٌّ بِخُشُوعِ الْقَلْبِ، وَبَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ كَبِيرٌ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُؤَثِّرُ فِي الْآخَرِ؛ فَخُشُوعُ الْقَلْبِ يُؤَدِّي إِلَى قُوَّةِ التَّغَنِّي، وَقُوَّةُ التَّغَنِّي تُؤَدِّي إِلَى خُشُوعِ الْقَلْبِ... وَهَكَذَا يَتَعَاضَدَانِ فِي التَّرَقِّي وَالصُّعُودِ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ النَّهْيُ عَنِ التَّشَبُّهِ بِلُحُونِ أَهْلِ الْفِسْقِ وَالطَّرَبِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي التَّلْحِينِ بِحَيْثُ يَخْرُجُ عَنِ الْمَقْصُودِ.

إِنَّ التَّغَنِّيَ الصَّحِيحَ هُوَ الْمُرْتَبِطُ بِخُشُوعِ الْقَلْبِ وَفَهْمِ الْآيَاتِ، أَمَّا التَّغَنِّي الْأَبْلَهُ أَوِ السَّاذِجُ؛ أَيِ الْمُنْفَكُّ عَنِ التَّدَبُّرِ وَالْفِقْهِ وَالتَّأَمُّلِ فِي الْآيَاتِ فَهُوَ مَذْمُومٌ لَا خَيْرَ فِيهِ.

إِنَّ الْمُتَأَمِّلَ لِأَحْكَامِ التَّجْوِيدِ يَجِدُ أَنَّ مُعْظَمَ التَّغَنِّي يَدُورُ عَلَى أَمْرَيْنِ هُمَا: الْمَدُّ، وَالْغُنَّةُ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا مَوَاضِعُ وَأَحْكَامٌ، مَنْ رَكَّزَ عَلَيْهِمَا تَحَسَّنَتْ قِرَاءَتُهُ كَثِيراً، وَأَمْكَنَهُ التَّغَنِّي، وَزِيَادَةُ مُسْتَوَى تَدَبُّرِهِ لِلْقُرْآنِ.

المفتاح السابع: الترتيل

المسألة الأولى: تعريفه

التَّرْتِيلُ: يَعْنِي التَّرَسُّلَ وَالتَّمَهُّلَ.

وَالْبَعْضُ يُطْلِقُ التَّرْتِيلَ عَلَى تَزْيِينِ الصَّوْتِ بِالْقِرَاءَةِ وَتَحْسِينِهَا، وَهَذَا يُعْرَفُ بِالتَّغَنِّي، أَمَّا التَّرْتِيلُ فَالْمُرَادُ بِهِ حَيْثُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ: التَّمَهُّلُ وَالتَّرَسُّلُ وَالتَّأَنِّي حِينَ الْقِرَاءَةِ، قَالَ الدَّانِي فِي كِتَابِهِ (التَّحْدِيدِ): «التَّرْتِيلُ مَصْدَرٌ مِنْ رَتَّلَ فُلَانٌ كَلَامَهُ: أَتْبَعَ بَعْضَهُ بَعْضًا عَلَى مُكْثٍ وَتُؤَدَةٍ، وَالِاسْمُ مِنْهُ الرَّتَلُ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: ثَغْرٌ رَتِلٌ؛ إِذَا كَانَ مُتَفَرِّقًا، وَقَالَ الشِّيرَازِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْمُوَضِّحِ): «هُوَ: تَبْيِينُ الْقِرَاءَةِ، وَإِتْبَاعُ بَعْضِهَا بَعْضًا عَلَى تَأَنٍّ وَتُؤَدَةٍ، مَعَ تَجْوِيدِ اللَّفْظِ وَحُسْنِ تَأْدِيَتِهِ وَتَقْوِيمِهِ».

المسألة الثانية: أدلة مشروعيته

١- قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَيِ اقْرَأْهُ عَلَى تَمَهُّلٍ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ عَوْنًا عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ وَتَدَبُّرِهِ.

٢- وَكَذَلِكَ كَانَ يَقْرَأُ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ السُّورَةَ فَيُرَتِّلُهَا حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا.

٣- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسًا عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «كَانَ يَمُدُّ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِبِسْمِ اللهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ.

٤- أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «قَرَأَ رَسُولُ اللهِ: ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ أَبِي

دَاوُدَ].

٥- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ.

٦- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ جَهْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقِرَاءَةِ بِاللَّيْلِ فَقَالَ: «كَانَ يَقْرَأُ فِي حُجْرَتِهِ قِرَاءَةً لَوْ أَرَادَ حَافِظٌ أَنْ يَحْفَظَهَا فَعَلَ».

٧- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ يَرِقُّ قَلْبُكَ وَإِنَّمَا هِمَّتُكَ آخِرُ السُّورَةِ».

٨- أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ: «أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ: إِنِّي قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذّاً كَهَذِّ الشِّعْرِ؟! فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرِنُ بَيْنَهُنَّ، قَالَ: فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ: سُورَتَيْنِ سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ».

٩- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَسَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِعَلْقَمَةَ -وَقَدْ عَجِلَ فِي الْقِرَاءَةِ-: «فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي رَتِّلْ؛ فَإِنَّهُ زَيْنُ الْقُرْآنِ».

١٠- ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي (مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ) عَنْ أَبِي جَمْرَةَ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ. قَالَ: لَأَنْ أَقْرَأَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ فَأَتَدَبَّرَهَا وَأُرَتِّلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كَمَا تَقْرَأُ».

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي (زَادِ الْمَعَادِ): «إِنَّ مَنْ رَتَّلَ وَتَأَمَّلَ كَمَنْ تَصَدَّقَ بِجَوْهَرَةٍ وَاحِدَةٍ ثَمِينَةٍ، وَمَنْ أَسْرَعَ كَمَنْ تَصَدَّقَ بِعِدَّةِ جَوَاهِرَ لَكِنَّ قِيمَتَهَا قِيمَةُ الْوَاحِدَةِ، وَقَدْ تَكُونُ قِيمَةُ الْوَاحِدَةِ أَكْثَرَ مِنْ قِيمَةِ الْأُخْرَيَاتِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَكْسُ» اهـ.

وَهَذَا كَلَامٌ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّ مَنْ أَسْرَعَ فَقَدِ اقْتَصَرَ عَلَى مَقْصِدٍ وَاحِدٍ مِنْ

مَقَاصِدِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ وَهُوَ ثَوَابُ قِرَاءَةِ الْحُرُوفِ، وَمَنْ رَتَّلَ وَتَأَمَّلَ فَقَدْ حَقَّقَ الْمَقَاصِدَ كُلَّهَا وَكَمُلَ انْتِفَاعُهُ بِالْقُرْآنِ، وَاتَّبَعَ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

إِنَّ أَهَمَّ أَمْرٍ يَنْبَغِي أَنْ نَحْرِصَ عَلَيْهِ وَنَهْتَمَّ بِهِ، هُوَ أَنْ نَتَأَكَّدَ أَنَّنَا نَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِمَنْهَجِيَّةٍ صَحِيحَةٍ، وَقَدْ حَظِيَ هَذَا الْأَمْرُ بِاهْتِمَامِ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَبَيَّنُوا لَنَا هَذَا الْأَمْرَ غَايَةَ الْبَيَانِ، وَتَوَاتَرَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ ضَرُورَةُ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِتَرْتِيلٍ وَتَدَبُّرٍ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْهَذِّ وَالسُّرْعَةِ وَالْعَجَلَةِ، فَلَمْ يَأْتِ الْقَوْلُ بِهَا إِلَّا مُتَأَخِّراً بَعْدَ الْقُرُونِ الْمُفَضَّلَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ هَذَا الْقَوْلَ فِي زَادِ الْمَعَادِ وَلَمْ يَنْسُبْهُ إِلَّا لِلْمُتَأَخِّرِينَ.

إِنَّ قِرَاءَةَ الْهَذِّ مُخَالِفَةٌ لِصَرِيحِ نُصُوصِ الْقُرْآنِ، وَمُخَالِفَةٌ لِهَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمَلِ السَّلَفِ مِنْ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

المسألة الثالثة: مقياس الترتيل

١- أَخْرَجَ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سُئِلَ: كَيْفَ تَرَى فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي سَبْعٍ؟ قَالَ: حَسَنٌ، وَلَأَنْ أَقْرَأَهُ فِي نِصْفِ شَهْرٍ أَوْ عِشْرِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ، وَسَلْنِي لِمَ ذَلِكَ؟ قَالَ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ، قَالَ: لِكَيْ أَتَدَبَّرَهُ وَأَقِفَ عَلَيْهِ» اهـ.

٢- قَالَ ابْنُ مُفْلِحٍ فِي الْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ: «أَقَلُّ التَّرْتِيلِ تَرْكُ الْعَجَلَةِ فِي الْقُرْآنِ عَنِ الْإِبَانَةِ، وَأَكْمَلُهُ أَنْ يُرَتِّلَ الْقِرَاءَةَ وَيَتَوَقَّفَ فِيهَا».

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي (مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ): «فَلَا شَيْءَ أَنْفَعُ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ؛ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ وَأَحْوَالِ الْعَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالشَّوْقَ وَالْخَوْفَ وَالرَّجَاءَ وَالْإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيضَ وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ وَسَائِرَ الْأَحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنْ جَمِيعِ

الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي بِهَا فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ كَرَّرَهَا وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ وَلَوْ لَيْلَةً فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفَهُّمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَتْمَةٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ وَأَدْعَى إِلَى حُصُولِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ» اهـ.

مِمَّا سَبَقَ يُمْكِنُنَا وَضْعُ مِقْيَاسٍ وَضَابِطٍ لِمِفْتَاحِ التَّرْتِيلِ؛ وَهُوَ:

إِمْكَانُ التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ حِينَ الْقِرَاءَةِ، وَهَذَا يَتَطَلَّبُ الْأَنَاةَ وَالتَّمَهُّلَ، بَلِ التَّكْرَارَ وَالتَّوَقُّفَ.

وَهَلْ يُمْكِنُ ضَبْطُ ذَلِكَ بِالْوَقْتِ؟ أَيْ فِي كَمْ دَقِيقَةٍ تَقْرَأُ الْوَجْهَ لِتَكُونَ الْتَزَمْتَ بِمِفْتَاحِ التَّرْتِيلِ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ هَذَا يَتَفَاوَتُ كَثِيراً مِنْ قَارِئٍ إِلَى آخَرَ، وَمِنْ حَالَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ مِنْ تَحْدِيدٍ تَقْرِيبِيٍّ لِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْ دَقِيقَتَيْنِ إِلَى خَمْسِ دَقَائِقَ لِلْوَجْهِ.

فَإِذَا أَخَذْنَا بِالْحَدِّ الْأَدْنَى فَإِنَّ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ كَامِلاً خَارِجَ الصَّلَاةِ يَحْتَاجُ إِلَى (١٢٠٠) دَقِيقَةً، وَتُسَاوِي عِشْرِينَ سَاعَةً، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي شَهْرٍ فَعَلَيْهِ أَنْ يُخَصِّصَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْتِمَهُ فِي أُسْبُوعَيْنِ فَيَحْتَاجَ إِلَى ثَمَانِينَ دَقِيقَةً، وَفِي أُسْبُوعٍ يَحْتَاجُ إِلَى (١٦٠) دَقِيقَةً، وَتُسَاوِي: سَاعَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ دَقِيقَةً كُلَّ يَوْمٍ.

المفتاح الثامن: التكرار والتوقف

المسألة الأولى: بيان المراد بهما

أَيِ التَّوَقُّفُ حِينَ الْقِرَاءَةِ، أَوْ تَكْرَارُ الْآيَةِ لِاسْتِحْضَارِ الْمَعَانِي وَالتَّعَمُّقِ فِي فَهْمِهَا، وَكُلَّمَا طَالَ التَّوَقُّفُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ كُلَّمَا زَادَتِ الْمَعَانِي الَّتِي تُفْهَمُ مِنَ النَّصِّ بِشَرْطِ عَدَمِ سَهْوِ الْقَلْبِ.

وَالتَّكْرَارُ -أَيْضًا- قَدْ يَحْصُلُ لَا إِرَادِيًّا تَعْظِيمًا أَوْ إِعْجَابًا بِمَا قَرَأَ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ فِي وَاقِعِ النَّاسِ حِينَمَا يُعْجَبُ أَحَدُهُمْ بِجُمْلَةٍ أَوْ قِصَّةٍ فَإِنَّهُ يُكْثِرُ مِنْ تَكْرَارِهَا عَلَى نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ.

التَّكْرَارُ: نَتِيجَةٌ وَثَمَرَةٌ لِلْفَهْمِ وَالتَّدَبُّرِ، وَهُوَ أَيْضًا وَسِيلَةٌ إِلَيْهِ حِينَمَا لَا يُوجَدُ.

المسألة الثانية: بيان أهميتهما

١- أَخْرَجَ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الْإِيمَانِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَهُذُّوهُ هَذَّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، قِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّورَةِ».

٢- قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي (مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ): لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدَبُّرِ لَاشْتَغَلُوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ حَتَّى مَرَّ بِآيَةٍ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ كَرَّرَهَا وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ وَلَوْ لَيْلَةً، فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفَهُّمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَتْمَةٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَتَفَهُّمٍ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ وَأَدْعَى إِلَى حُصُولِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ، هَذِهِ عَادَةُ السَّلَفِ؛ يُرَدِّدُ أَحَدُهُمُ الْآيَةَ إِلَى الصُّبْحِ».

٣- قَالَ النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِهِ (الْأَذْكَارِ): «وَقَدْ بَاتَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَتْلُو الْوَاحِدُ مِنْهُمُ الْآيَةَ الْوَاحِدَةَ لَيْلَةً كَامِلَةً أَوْ مُعْظَمَهَا، يَتَدَبَّرُهَا عِنْدَ الْقِرَاءَةِ».

٤- وَقَالَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي (مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ): «وَلْيَعْلَمْ أَنَّ مَا يَقْرَؤُهُ لَيْسَ كَلَامَ بَشَرٍ، وَأَنْ يَسْتَحْضِرَ عَظَمَةَ الْمُتَكَلِّمِ سُبْحَانَهُ، وَيَتَدَبَّرَ كَلَامَهُ؛ فَإِنَّ التَّدَبُّرَ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ

الْقِرَاءَةِ، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ التَّدَبُّرُ إِلَّا بِتَرْدِيدِ الْآيَةِ فَلْيُرَدِّدْهَا».

المسألة الثالثة: نماذج عملية

١- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ.

٢- أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا؛ ﴿**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾» [صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ النَّسَائِيِّ].

٣- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ حَمْزَةَ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَهِيَ تَقْرَأُ: ﴿**فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**﴾ قَالَ: فَوَقَفَتْ عَلَيْهَا فَجَعَلَتْ تَسْتَعِيذُ وَتَدْعُو، قَالَ عَبَّادٌ: فَذَهَبْتُ إِلَى السُّوقِ فَقَضَيْتُ حَاجَتِي، ثُمَّ رَجَعْتُ وَهِيَ فِيهَا بَعْدُ تَسْتَعِيذُ وَتَدْعُو».

٤- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي أَيُّوبَ: «أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ رَدَّدَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ**﴾ بِضْعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً».

٥- أَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزُّهْدِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: «لَأَنْ أَقْرَأَ (إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا) وَ(الْقَارِعَةُ)، أُرَدِّدُهُمَا وَأَتَفَكَّرُ فِيهِمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَبِيتَ أَهُذُّ الْقُرْآنَ.

٦- أَخْرَجَ الْمَرْوَزِيُّ فِي قِيَامِ اللَّيْلِ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ: «أَنَّهُ رَدَّدَ لَيْلَةً: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ حَتَّى أَصْبَحَ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ فِيهَا مُعْتَبَراً مَا نَرْفَعُ طَرْفًا وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَى نِعْمَةٍ، وَمَا لَا نَعْلَمُهُ مِنْ نِعَمِ اللهِ أَكْثَرُ».

٧- ذَكَرَ ابْنُ قُدَامَةَ فِي (مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ)، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّهُ قَامَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ؛ ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾».

٨- ذَكَرَ الشَّعْرَانِيُّ فِي كِتَابِهِ (تَنْبِيهُ الْمُغْتَرِّينَ)، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: «رُبَّمَا أَقُومُ خَمْسَ لَيَالٍ مُتَوَالِيَةٍ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ أُرَدِّدُهَا، وَأُطَالِبُ نَفْسِي بِالْعَمَلِ بِمَا فِيهَا، وَلَوْلَا أَنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَيَّ بِالْغَفْلَةِ لَمَا تَعَدَّيْتُ تِلْكَ الْآيَةَ طُولَ عُمْرِي؛ لِأَنِّي لِي فِي كُلِّ تَدَبُّرٍ عِلْماً جَدِيداً، وَالْقُرْآنُ لَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ» اهـ.

٩- «وَقَامَ أَبُو حَنِيفَةَ لَيْلَةً كَامِلَةً بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾ يُرَدِّدُهَا وَيَبْكِي وَيَتَضَرَّعُ» [كِتَابُ رُهْبَانِ اللَّيْلِ لِلْعَفَّانِيِّ].

١٠- ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ الْكُمَيْتِ قَالَ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنَ اللهِ، فَقَرَأَ بِنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُؤَذِّنُ لَيْلَةً فِي عِشَاءِ الْآخِرَةِ (إِذَا زُلْزِلَتْ) وَأَبُو حَنِيفَةَ خَلْفَهُ، فَظَلَّ قَائِماً إِلَى الصَّبَاحِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا مَنْ يَجْزِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً خَيْراً، وَيَا مَنْ يَجْزِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً شَرّاً، أَجِرِ النُّعْمَانَ عَبْدَكَ مِنَ النَّارِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهَا مِنَ السُّوءِ، وَأَدْخِلْهُ فِي سَعَةِ رَحْمَتِكَ».

إِنَّ مَقْصُودَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ تَحْصِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، هَذَا الْمَقْصُودُ الْأَوَّلُ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ الْعَمَلُ بِهِ هُوَ الْمَقْصِدُ الثَّانِي، أَمَّا كَثْرَةُ الْحَسَنَاتِ عَلَى قِرَاءَةِ حُرُوفِهِ فَهُوَ لِأَجْلِ التَّرْغِيبِ فِي فِقْهِ وَفَهْمِ مَعَانِيهِ، وَالْحَثِّ عَلَى تَعَلُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ تَغِيبُ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ، وَيَقْصُرُ قَصْدُهُ عَلَى الْحَسَنَاتِ فَقَطْ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِيُعْمَلَ بِهِ فَاتَّخَذُوا تِلَاوَتَهُ عَمَلاً».

فَتَنَبَّهْ يَا عَبْدَ اللهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ تَسْتَفْتِحُ فِيهَا كِتَابَ رَبِّكَ؛ أَنَّكَ تَقْرَؤُهُ لِتُذَاكِرَ وَتَحْفَظَ مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، مَعَ مَا يَكْتُبُهُ اللهُ لَكَ مِنَ الْحَسَنَاتِ عَلَى قِرَاءَةِ حُرُوفِهِ، هَذِهِ الْقِرَاءَةُ الَّتِي تُثْمِرُ

الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ، وَتَرْفَعُ الْعَبْدَ دَرَجَاتٍ لَا تَخْطُرُ لَهُ عَلَى بَالٍ، كَيْفَ يَسْمَحُ الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ أَنْ يَهُذَّ كَلَامَ رَبِّهِ؟! أَمْ كَيْفَ يَسْمَحُ لِنَفْسِهِ أَنْ يَقْرَأَهُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبُهُ غَافِلٌ عَمَّا يَقْرَأُ؟!

اللهُ يُخَاطِبُهُ يَقُولُ لَهُ: أَلَمْ تَرَ؟! فَيَمْضِي وَلَا يُجِيبُ، وَيَقُولُ لَهُ: هَلْ أَتَاكَ؟! فَلَا يُجِيبُ، وَيَقُولُ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، فَيَمْضِي وَلَا يُصَلِّي وَلَا يُسَلِّمُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ**﴾، فَيَمْضِي وَلَا يُكْثِرُ مِنْ حَمْدِ اللهِ تَعَالَى عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعُظْمَى، كَيْفَ تَسْمَعُ رَبَّكَ جَلَّ جَلَالُهُ يَمْدَحُ نَفْسَهُ، ثُمَّ لَا تُسَبِّحُهُ وَلَا تُمَجِّدُهُ؟! كَيْفَ تَقْرَأُ الْآيَةَ فِيهَا الْوَعْدُ وَالرَّحْمَةُ وَالْجَزَاءُ الْعَظِيمُ فَلَا تَقِفُ وَتَسْأَلُ اللهَ مِنْ فَضْلِهِ؟! كَيْفَ تَمُرُّ بِالْآيَةِ فِيهَا الْوَعِيدُ وَالتَّهْدِيدُ وَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ ثُمَّ لَا يَقَعُ فِي قَلْبِكَ الْخَوْفُ وَالْوَجَلُ؟! فَتَقِفُ وَتَسْتَعِيذُ، الْقُرْآنُ كُلُّهُ خِطَابٌ مُبَاشِرٌ لَكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ، آيَةً آيَةً.

كُلَّمَا سَمِعْتَ فِي الْقُرْآنِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا)، أَوْ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فَاعْلَمْ أَنَّهُ خِطَابٌ لَكَ أَنْتَ بِعَيْنِكَ.

فَيَا مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بِقِرَاءَةِ كِتَابِ رَبِّكَ اعْقِلْ خِطَابَهُ إِلَيْكَ، وَاسْتَحْضِرْ عَظَمَةَ هَذِهِ الْمُنَاجَاةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ .

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾، وَالْإِنْصَاتُ مَعْنَاهُ التَّفَاعُلُ مَعَ الْكَلَامِ الَّذِي يُلْقَى عَلَيْكَ، وَهَذَا مُشَاهَدٌ فِي الْوَاقِعِ، فَإِنَّكَ حِينَ تُحَدِّثُ شَخْصًا فَلَا يَتَفَاعَلُ مَعَكَ فَإِنَّكَ تَعْتَبِرُهُ غَيْرَ مُبَالٍ بِمَا تَقُولُ، فَتَتَوَقَّفُ عَنِ الْكَلَامِ.

لَوْ أَنَّ طَالِبًا عِنْدَهُ اخْتِبَارٌ فِي كِتَابٍ فَيَقْرَؤُهُ هَذّاً، فَلَوْ خَتَمَهُ أَلْفَ مَرَّةٍ لَمَا أَمْكَنَهُ النَّجَاحُ فِيهِ، حَتَّى يَتَأَنَّى فِي قِرَاءَتِهِ وَيُكَرِّرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَكْرَارٍ، وَيَحْفَظَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى حِفْظٍ، وَيَفْهَمَ مَا يَحْتَاجُ إِلَى فَهْمٍ، فَنَحْنُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مُخْتَبَرُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ قَدْ قَرَّرَ عَلَيْنَا قِرَاءَتَهُ

وَالْإِيمَانَ بِمَا فِيهِ، فَيَجِبُ أَنْ نَقْرَأَهُ بِتَعَقُّلٍ، وَتَبَصُّرٍ، وَتَدَبُّرٍ، حَتَّى يُحَقِّقَ لَنَا النَّجَاحَ، وَالْفَوْزَ، وَالْفَلَاحَ فِي الدُّنْيَا، وَفِي الْآخِرَةِ.

إِنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُكْرِمَ الْقُرْآنَ وَنُنَزِّهَهُ عَنْ نَوْعَيْنِ مِنَ الْقِرَاءَةِ:

الْأُولَى: قِرَاءَةُ الْهَذِّ وَالِاسْتِعْجَالِ، وَلَوْ كَانَتْ بِتَرْكِيزٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ.

وَالثَّانِيَةُ: قِرَاءَةُ الْهَوَاجِيسِ وَالسَّهْوِ، وَإِنْ كَانَتْ بِتَرْتِيلٍ وَتَمَهُّلٍ.

يَنْبَغِي أَنْ نَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِدُعَاءٍ، فَهَذَا يُحَقِّقُ لَنَا التَّرْتِيلَ وَيُحَقِّقُ لَنَا التَّدَبُّرَ فَنَنْتَفِعُ بِكِتَابِ رَبِّنَا غَايَةَ الِانْتِفَاعِ فَتَزْكُو بِهِ قُلُوبُنَا، وَتَصْفُو بِهِ نُفُوسُنَا.

المفتاح التاسع: التحزيب

المسألة الأولى: أهمية تحزيب القرآن

الْقُرْآنُ أُنْزِلَ لِيُعْمَلَ بِهِ، وَوَسِيلَةُ الْعَمَلِ الْعِلْمُ بِهِ، وَهُوَ يَحْصُلُ بِقِرَاءَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ.

وَكُلَّمَا تَقَارَبَتْ أَوْقَاتُ الْقِرَاءَةِ، وَكُلَّمَا كَثُرَ التَّكْرَارُ كَانَ أَقْوَى فِي رُسُوخِ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ يُوَاظِبُونَ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَيَحْرِصُونَ عَلَى كَثْرَةِ تِلَاوَتِهِ وَتَكْرَارِهَا.

وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُمْ يَقْرَؤُونَهُ مِنْ أَجْلِ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ فَحَسْبُ فَقَدْ قَصُرَ فَهْمُهُ فِي هَذَا الْبَابِ.

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِثْلُ الْعِلَاجِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بِمِقْدَارٍ مُعَيَّنٍ لَا يَزِيدُ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ حَتَّى يُحْدِثَ أَثَرَهُ، مِثْلَ الْمُضَادِّ الْحَيَوِيِّ إِنْ طَالَتِ الْمُدَّةُ ضَعُفَ أَثَرُهُ، وَإِنْ تَقَارَبَ أَكْثَرَ مِنَ الْمُنَاسِبِ أَضَرَّ بِالْبَدَنِ، فَكَذَلِكَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ: الْمُدَّةُ الَّتِي أَقَرَّهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ، لِمَنْ رَغِبَ فِي الْخَيْرِ هِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ إِلَى شَهْرٍ، وَنَهَى عَنْ أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ.

وَقَدْ وَرَدَتْ نُصُوصٌ كَثِيرَةٌ عَنِ السَّلَفِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُهِمَّةِ، تُؤَكِّدُ ضَرُورَةَ تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا يَتِمُّ تَحْزِيبُهُ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَوْلَوِيَّةُ الْأُولَى فِي كُلِّ وَقْتٍ.

يَنْبَغِي أَنْ يُوجَدَ الْحِرْصُ التَّامُّ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُقَدَّمَ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ، وَأَلَّا يَهْدَأَ لَكَ بَالٌ حَتَّى تَقُومَ بِهِ، حَتَّى تُؤَدِّيَهُ فِي وَقْتِهِ، أَوْ تَقْضِيَهُ إِنْ فَاتَ أَدَاؤُهُ فِي وَقْتِهِ.

إِنَّ الْعَمَلَ الَّذِي لَا تَقْضِيهِ إِذَا فَاتَ يَعْنِي تَسَاوِيَ الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ عِنْدَكَ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ أَهَمِّيَّتِهِ لَدَيْكَ.

مَتَى وُجِدَ هَذَا الْحِرْصُ فَهُوَ مِفْتَاحُ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ.

إِنَّهُ مِفْتَاحٌ لَا نَحْتَاجُ إِلَى إِثْبَاتِهِ بِالْقَصَصِ وَالتَّجَارِبِ؛ فَهُوَ ثَابِتٌ بِالْخَبَرِ عَنِ اللهِ تَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا**

﴿يَشْقَى﴾، وَهَلْ يُعْقَلُ أَوْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُوجَدَ اتِّبَاعٌ دُونَ قِرَاءَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، وَدُونَ مُذَاكَرَةٍ لِقَوَاعِدِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ.

إِنَّنَا فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ نَجِدُ أَنَّ الْإِدَارِيَّ الَّذِي لَا يَحْفَظُ اللَّائِحَةَ وَلَا يَفْهَمُ مَا فِيهَا هُوَ إِدَارِيٌّ فَاشِلٌ، وَالطَّالِبُ الَّذِي لَا يُذَاكِرُ دُرُوسَهُ كَذَلِكَ.

وَمَتَى عَلِمَ اللهُ مِنْكَ صِدْقَ الرَّغْبَةِ وَالْحِرْصَ عَلَى هَذَا الْغِذَاءِ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَهُ وَيُبَارِكُ لَكَ فِيهِ، وَيَمْتَدُّ أَثَرُهُ لِيَشْمَلَ جَمِيعَ جَوَانِبِ حَيَاتِكَ.

لَا أَقُولُ: إِنَّ التَّجْرِبَةَ تَشْهَدُ لِذَلِكَ، فَثَبَاتُ نَتَائِجِ هَذَا الْعَمَلِ أَقْوَى وَأَصْدَقُ مِنْ أَنْ تَخْضَعَ لِلتَّجْرِبَةِ.

وَمَا يُوجَدُ فِي حَيَاتِنَا مِنْ نَقْصٍ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ تَرْكِ وَإِهْمَالِ هَذَا الْعَمَلِ الْيَسِيرِ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، الْعَظِيمِ فِي نَفْعِهِ وَأَثَرِهِ، الشَّامِلِ فِي تَحْقِيقِ النَّجَاحِ الْكَامِلِ لِكُلِّ مَنْ أَخَذَ بِهِ بِدِقَّةٍ.

وَهُوَ مَجَّانِيٌّ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَوْرَاتٍ وَلَا رُسُومٍ وَلَا مُدَرِّبٍ.

إِنَّ عَادَاتِ النَّجَاحِ لَيْسَتْ سَبْعًا، وَلَا عَشْراً، بَلْ هِيَ عَادَةٌ وَاحِدَةٌ؛ إِنَّهَا: الْمُحَافَظَةُ عَلَى قِرَاءَةِ حِزْبِكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مَنْ يَسَّرَ اللهُ لَهُ الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا حَصَلَتْ لَهُ كُلُّ مَعَانِي النَّجَاحِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ.

إِنَّ أَوَّلَ خُطْوَةٍ، وَأَوَّلَ مَرْحَلَةٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ هُوَ الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ حِفْظًا كُلَّ سَبْعِ لَيَالٍ، وَأَيُّ اسْتِعْجَالٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ هُوَ إِتْيَانٌ لِلْبُيُوتِ مِنْ ظُهُورِهَا، وَاسْتِعْجَالٌ فِي حَصْدِ النَّتَائِجِ قَبْلَ نُضْجِهَا، وَقَدْ يُؤَدِّي إِلَى نَقَائِصَ كَثِيرَةٍ وَتَأَخُّرٍ فِي الْوُصُولِ، وَبُلُوغِ الْهَدَفِ، يُوجَدُ عَدَدٌ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ، تَجِدُهُ يَصْرِفُ الْأَوْقَاتَ الطَّوِيلَةَ لِتَعَلُّمِ فُرُوعِ الْعِلْمِ، بَيْنَمَا الْقِيَامُ بِالْقُرْآنِ وَتَدَبُّرُهُ لَا يَصْرِفُ لَهُ إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْ وَقْتِهِ، وَهَذَا مُخَالِفٌ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَأَخْبَارُهُمْ فِي هَذَا مَشْهُورَةٌ؛ فَلَقَدْ عَجِبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَالِبِ حَدِيثٍ لَا يَكُونُ لَهُ وِرْدٌ بِاللَّيْلِ.

المسألة الثانية: أدلة التحزيب عامة

١- أَخْرَجَ مُسْلِمٌ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ».

٢- أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، قَالَتْ: «إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيُوقِظُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِاللَّيْلِ، فَمَا يَجِيءُ السَّحَرُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حِزْبِهِ» [حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ].

٣- أَخْرَجَ الْمُتَّقِي فِي (كَنْزِ الْعُمَّالِ)، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَهُوَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَقَالَ: قَدْ فَاتَنِي اللَّيْلَةَ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنِّي لَا أُوثِرُ عَلَيْهِ شَيْئًا».

٤- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ خَيْثَمَةَ قَالَ: «انْتَهَيْتُ إِلَيْهِ -يَعْنِي: عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ فَقَالَ: هَذَا حِزْبِي الَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَقُومَ بِهِ اللَّيْلَةَ».

٥- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: «كُنَّا نَأْتِي عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَأَتَيْنَاهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا هِيَ تُصَلِّي، فَقَالَتْ: نِمْتُ عَنْ حِزْبِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَدَعَهُ».

٦- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: «أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالْهَاجِرَةِ فَحَجَبَهُ طَوِيلاً، ثُمَّ أَذِنَ لَهُ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ نِمْتُ عَنْ حِزْبِي فَكُنْتُ أَقْضِيهِ».

٧- أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنِ ابْنِ الْهَادِ قَالَ: سَأَلَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ فَقَالَ لِي: فِي كَمْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَقُلْتُ: مَا أُحَزِّبُهُ، فَقَالَ لِي نَافِعٌ: لَا تَقُلْ: مَا أُحَزِّبُهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَرَأْتُ جُزْءاً مِنَ الْقُرْآنِ».

٨- أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي (حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ)، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: «أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ رُبْعَ الْقُرْآنِ كُلَّ

يَوْمٍ فِي الْمُصْحَفِ، وَيَقُومُ بِهِ لَيْلَهُ».

٩- أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي (فَضَائِلِ الْقُرْآنِ)، عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ حِزْبَ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِنْ لَيْلَتِهَا مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ».

١٠- أَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي (حِلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ: «كَانَ أَبِي يَقْرَأُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سُبْعًا، يَخْتِمُ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ لَهُ خَتْمَةٌ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ سِوَى صَلَاةِ النَّهَارِ، وَكَانَ سَاعَةَ يُصَلِّي عِشَاءَ الْآخِرَةِ يَنَامُ نَوْمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الصَّبَاحِ، يُصَلِّي وَيَدْعُو» اهـ.

١١- وَقَالَ الشَّيْخُ عَطِيَّةُ سَالِمٍ عَنْ شَيْخِهِ الشَّنْقِيطِيِّ: «وَقَدْ كَانَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لَا يَتْرُكُ وِرْدَهُ مِنَ اللَّيْلِ صَيْفًا أَوْ شِتَاءً» [تَتِمَّةُ أَضْوَاءِ الْبَيَانِ].

المسألة الثالثة: أدلة التحزيب الأسبوعي

١- أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، عَنْ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سَأَلْتُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ كَيْفَ يُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: ثَلَاثٌ، وَخَمْسٌ، وَسَبْعٌ، وَتِسْعٌ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ» [ضَعَّفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ أَبِي دَاوُدَ].

٢- أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنِّي لَأَقْرَأُ جُزْئِي، أَوْ قَالَتْ: سُبْعِي وَأَنَا جَالِسَةٌ عَلَى فِرَاشِي، أَوْ عَلَى سَرِيرِي».

٣- أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «لَا يُقْرَأُ الْقُرْآنُ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ، اقْرَؤُوهُ فِي سَبْعٍ، وَيُحَافِظُ الرَّجُلُ عَلَى حِزْبِهِ».

٤- قَالَ النَّوَوِيُّ فِي كِتَابِهِ (التِّبْيَانِ)، عَنِ الْخَتْمِ فِي سَبْعٍ: «فِعْلُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ السَّلَفِ».

٥- كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَخْتِمُهُ كُلَّ سَبْعٍ.

٦- قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي (الْإِتْقَانِ): «وَهَذَا أَوْسَطُ الْأُمُورِ، وَأَحْسَنُهَا، وَهُوَ فِعْلُ الْأَكْثَرِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ».

وَالْمَقْصُودُ بِالتَّحْزِيبِ فِي النُّصُوصِ الْمَذْكُورَةِ هُوَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَالْمُشْكِلَةُ أَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ -الْيَوْمَ- فَهِمُوا تَحْزِيبَ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتَهُ أَنَّهَا فِي غَيْرِ صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَهَذَا -بِلَا شَكٍّ وَبِكُلِّ تَأْكِيدٍ- فَهْمٌ خَاطِئٌ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ كُلَّ مَا وَرَدَ عَنِ السَّلَفِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَتَحْزِيبِهِ الْمَقْصُودُ بِهِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، هَكَذَا كَانَ عِلْمُ السَّلَفِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَعَلَيْهِ كَانَ عَمَلُهُمْ وَتَطْبِيقُهُمْ، أَمَّا فَهْمُ الْمُعَاصِرِينَ فَلَا أَدْرِي كَيْفَ وُجِدَ وَلَا مِنْ أَيْنَ أَتَى؟! وَالْمُشْكِلَةُ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ قَوْلَانِ، بَلْ هُمْ مُصِرُّونَ عَلَى هَذَا الْفَهْمِ وَالِاعْتِقَادِ الْخَاطِئِ، وَهِيَ مَسْأَلَةٌ كَبِيرَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى تَصْحِيحٍ وَبَيَانٍ وَتَوْضِيحٍ.

وَكَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَكُونُ لَهُ وِرْدٌ لَيْلِيٌّ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، وَوِرْدٌ يَوْمِيٌّ فِي صَلَوَاتِهِ بِالنَّهَارِ وَخَارِجَ الصَّلَاةِ.

أَمَّا الِاقْتِصَارُ عَلَى التَّحْزِيبِ خَارِجَ الصَّلَاةِ وَفِي النَّهَارِ دُونَ اللَّيْلِ، فَلَيْسَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مِنْ فِعْلِ السَّلَفِ فِي شَيْءٍ.

المسألة الرابعة: لماذا التحزيب كل أسبوع؟

التَّحْزِيبُ كُلَّ أُسْبُوعٍ مِنْ أَجْلِ تَقَارُبِ وَقْتِ الْقِرَاءَةِ لِيَتَحَقَّقَ قُوَّةُ حِفْظِ اللَّفْظِ وَحِفْظِ الْمَعْنَى، وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ يَتَحَقَّقُ حِفْظُ الْعَمَلِ وَالتَّطْبِيقُ، فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ كُلَّمَا تَقَارَبَتْ أَوْقَاتُ الْقِرَاءَةِ كُلَّمَا قَوِيَ الْحِفْظُ، وَقَدْ وُجِدَ بِالتَّجْرِبَةِ أَنَّ مَا يُكَرَّرُ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ فَإِنَّهُ يَرْسَخُ وَيَثْبُتُ، وَكُلَّمَا زَادَتِ الْأَيَّامُ كُلَّمَا ضَعُفَ الْحِفْظُ؛ عَلَاقَةٌ مُطَّرِدَةٌ.

لِمَاذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَخْتِمُونَ الْقُرْآنَ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ؟ أَوْ كُلَّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْمُدَّةِ يُؤَدِّي إِلَى نِسْيَانِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، وَمِنْ ثَمَّ نَقْصُ قُوَّةِ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ، وَذَهَابُ الْأُنْسِ بِاللهِ تَعَالَى، يُحِسُّونَ بِالْوَحْشَةِ وَالْغُرْبَةِ إِنْ زَادَتْ مُدَّةُ الْخَتْمِ عَنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ.

إِنَّ حِفْظَ الْمَعَانِي يَخْتَلِفُ عَنْ حِفْظِ الْأَلْفَاظِ، فَحِفْظُ الْأَلْفَاظِ قَدْ يَكْفِيهِ شَهْرٌ أَوْ أُسْبُوعَانِ، لَكِنَّ حِفْظَ الْمَعَانِي لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّقَارُبِ الشَّدِيدِ لِيَحْصُلَ الضَّبْطُ وَالتَّمَاسُكُ وَالْعُمْقُ.

إِنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْ كَوْنِ التَّحْزِيبِ كُلَّ عَشَرَةِ أَيَّامٍ، أَوْ خَمْسَةَ عَشَرَ، أَوْ عِشْرِينَ، لَكِنْ عَلَيْكَ التَّنَبُّهُ لِهَذِهِ الْقَاعِدَةِ الَّتِي اهْتَدَى إِلَيْهَا السَّلَفُ مِنْ قَبْلِنَا وَطَبَّقُوهَا فِي تَعَامُلِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَانْتَفَعُوا بِهَا غَايَةَ الِانْتِفَاعِ.

إِنَّ مَا تُكَرِّرُهُ مِنَ الْقُرْآنِ كُلَّ أُسْبُوعٍ يَسْهُلُ عَلَى الْقَلْبِ قِرَاءَتُهُ وَتَدَبُّرُهُ، وَهَذَا يُحَقِّقُ سُهُولَةَ الْإِنْجَازِ وَغَزَارَتَهُ، وَيُحَقِّقُ سُهُولَةَ السَّيْرِ وَسُرْعَتَهُ دُونَ إِخْلَالٍ بِالْجَوْدَةِ، وَهَذَا يُفَسِّرُ مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ فِي حَالِهِمْ مَعَ الْقُرْآنِ، وَحِينَ نُرِيدُ اللَّحَاقَ بِهِمْ نَعْجِزُ عَنْهُ، فَالْمُتَمَكِّنُ مِنَ الْقُرْآنِ يَخْتَلِفُ كَثِيراً عَنِ الْمُبْتَدِئِ فِي لِيَاقَةِ الْقَلْبِ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالتَّدَبُّرِ.

المسألة الخامسة: أن يكون التحزيب بالسور

الْأَوْلَى أَنْ يَكُونَ تَحْزِيبُ الْقُرْآنِ وَتَقْسِيمُهُ عَلَى السُّوَرِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ؛ بِمَعْنَى أَنْ تُقْرَأَ السُّورَةُ فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ كَامِلَةً، وَأَنْ يَكُونَ التَّقْسِيمُ وَالتَّوْزِيعُ مُتَوَافِقًا مَعَ نِهَايَاتِ السُّوَرِ، وَهَذَا هُوَ السُّنَّةُ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، أَمَّا الْأَحْزَابُ وَالْأَجْزَاءُ وَالْأَثْمَانُ الْمَعْرُوفَةُ الْيَوْمَ فَلَمْ تَأْتِ إِلَّا مُتَأَخِّرَةً، عِلَاوَةً عَلَى مَا فِيهَا مِنْ بَتْرٍ لِلْمَعَانِي وَتَقْطِيعٍ لِلسُّوَرِ، وَمَنْ أَرَادَ تَفْصِيلَ الْقَوْلِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَلْيُرَاجِعْ مَا كَتَبَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي الْفَتَاوَى، الْجُزْءِ الثَّالِثَ عَشَرَ.

المسألة السادسة: التدرج في تطبيق هذا المفتاح

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ كَامِلاً كُلَّ أُسْبُوعٍ حِفْظًا فِي صَلَاةٍ وَفِي لَيْلٍ وَجَهْرٍ وَتَرْتِيلٍ وَتَوَقُّفٍ؛ يَحْتَاجُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَى التَّدَرُّجِ، وَالتَّدْرِيبِ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَمِنْ ذَلِكَ تَطْبِيقُ قَاعِدَةِ: (أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ).

فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ الْبِدَايَةُ بِالْمَفْصَّلِ يُحَزِّبُهُ سَبْعَةَ أَحْزَابٍ لِكُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ حِزْبٌ.

أَوْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ تَكُونَ الْبِدَايَةُ بِجُزْءِ (عَمَّ) يُقَسِّمُهُ سَبْعَةَ أَقْسَامٍ، وَكُلَّ لَيْلَةٍ يَقْرَأُ بِقِسْمٍ.

يُكَرِّرُ هَذَا كُلَّ أُسْبُوعٍ، ثُمَّ يَنْظُرُ النَّتِيجَةَ كَيْفَ تَكُونُ؟

وَعِنْدَمَا يَرَى الْأَثَرَ وَالْفَائِدَةَ فَإِنَّ هَذَا سَيَدْفَعُهُ إِلَى الزِّيَادَةِ، وَلْتَكُنْ بِالتَّدْرِيجِ، فَيَزِيدُ

الْمِقْدَارَ وَبِنَفْسِ الطَّرِيقَةِ يَتِمُّ تَوْزِيعُ الْمِقْدَارِ الْجَدِيدِ إِلَى سَبْعَةِ أَقْسَامٍ، كُلُّ قِسْمٍ مِنْهَا يُقْرَأُ فِي لَيْلَةٍ؛ بِحَيْثُ يَخْتِمُ الْمِقْدَارَ كُلَّ أُسْبُوعٍ حَتَّى يُرَسَّخَ، حَتَّى تَثْبُتَ الْآيَاتُ فِي الْقَلْبِ بِصُورَةٍ قَوِيَّةٍ يَسْهُلُ اسْتِدْعَاؤُهَا فِي مَوَاقِفِ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ.

المسألة السابعة: كم من الوقت تعطي للقرآن كل يوم؟

يَجِبُ أَنْ تَسْأَلَ نَفْسَكَ يَوْمِيًّا هَذَا السُّؤَالَ، وَتُقَارِنَ مَا تُخَصِّصُهُ مِنَ الْوَقْتِ لِلْقُرْآنِ بِأُمُورِ حَيَاتِكَ الْأُخْرَى، وَتَنْظُرَ: هَلْ هِيَ قِسْمَةٌ عَادِلَةٌ؟ وَهَلْ أَعْطَيْتَ الْقُرْآنَ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْوَقْتِ؟ إِنَّ التَّفْكِيرَ الْيَوْمِيَّ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يَكْشِفُ لَكَ عَنْ حَقَائِقَ مُهِمَّةٍ، وَيُبَيِّنُ لَكَ اتِّجَاهَكَ فِي الْحَيَاةِ.

إِنَّ الْإِجَابَةَ الصَّحِيحَةَ وَالْمَنْهَجِيَّةَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ جَاءَتْ فِي ثَانِي سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَهِيَ سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ؛ إِذْ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً**﴾؛ أَيْ كَثِيراً مِنَ اللَّيْلِ، وَمَا حَدُّ هَذَا الْكَثِيرِ؟ ﴿**نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ**﴾، ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ**﴾، وَاللَّيْلُ فِي الْمُتَوَسِّطِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، فَنِصْفُهُ سِتُّ سَاعَاتٍ، وَثُلُثُهُ أَرْبَعُ سَاعَاتٍ.

المسألة الثامنة: خطوات تحزيب القرآن، كيف نبدأ التدريب؟

تَحْزِيبُ الْقُرْآنِ يَتِمُّ حِسَابُهُ كَمَا يَلِي:

أَوَّلاً: تَحْدِيدُ مِقْدَارِ الْوَقْتِ الْيَوْمِيِّ الَّذِي تَمْنَحُهُ لِلْقُرْآنِ، هَلْ سَاعَةٌ؟ أَوْ سَاعَتَانِ؟ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ؟

ثَانِيًا: مَعْرِفَةُ مَا يُمْكِنُ قِرَاءَتُهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ؛ فَيَتَحَدَّدُ مِقْدَارُ الْحِزْبِ الْيَوْمِيِّ: هَلْ آيَةٌ؟ أَوْ مِئَةُ آيَةٍ؟ هَلْ وَجْهٌ؟ أَوْ عَشَرَةُ أَوْجُهٍ؟ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ؟ مَعَ مُرَاعَاةِ مِفْتَاحِ التَّرْتِيلِ.

ثَالِثًا: بِنَاءً عَلَى مَا سَبَقَ تَتَحَدَّدُ الْمُدَّةُ الَّتِي تَخْتِمُ بِهَا كُلَّ الْقُرْآنِ، أَوْ تَخْتِمُ مَا تَحْفَظُهُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ هَلْ أُسْبُوعٌ؟ أَوْ شَهْرٌ؟ أَوْ أَقَلُّ أَوْ أَكْثَرُ؟

رَابِعًا: يَتِمُّ تَحْدِيدُ مَوَاعِيدَ تَنْفِيذِيَّةٍ يَوْمِيَّةٍ لِمَا تَمَّ تَحْدِيدُهُ.

إِنَّ مِقْيَاسَ التَّرَقِّي وَالصُّعُودِ هُوَ مِقْدَارُ الْوَقْتِ الَّذِي تَمْنَحُهُ لِلْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ خِلَالَ الْأَرْبَعِ

وَالْعِشْرِينَ سَاعَةً، فَكُلَّمَا زَادَ دَلَّ هَذَا عَلَى التَّرْقِيَةِ وَارْتِفَاعِ الْمَرْتَبَةِ، إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ.

فَكُنْ مَعَ إِخْوَانِكَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَابْدَأْ رِحْلَةَ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ مَعَ الْقُرْآنِ، وَكُنْ مِنَ السَّائِرِينَ عَلَى الطَّرِيقِ، لَأَنْ تَرْحَلَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تُجَاهِدُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْتَهِيَ حَيَاتُكَ وَأَنْتَ قَانِعٌ بِالْجَهْلِ وَالنَّقْصِ وَالْحِرْمَانِ.

المسألة التاسعة: نماذج تطبيقية لتحزيب القرآن؟

هَذِهِ نَمَاذِجُ تَطْبِيقِيَّةٌ مُتَنَوِّعَةٌ تُوَضِّحُ كَيْفِيَّةَ تَطْبِيقِ خَمْسَةٍ مِنْ مَفَاتِيحِ التَّدَبُّرِ الْعَمَلِيَّةِ؛ وَهِيَ: الْحِفْظُ، وَالْقِيَامُ، وَالتَّرْتِيلُ، وَالتَّوَقُّفُ، وَالتَّحْزِيبُ. وَلِكُلٍّ مِنْ هَذِهِ الْمَفَاتِيحِ أَثَرُهُ فِي نَوْعِيَّةِ الْقِرَاءَةِ، وَتَأْثِيرُهَا عَلَى الْقَارِئِ.

تَنْبِيهَاتٌ:

١- لَمْ يَدْخُلْ فِي حِسَابَاتِ هَذَا الْجَدْوَلِ الْوَقْتُ الَّذِي يَسْتَغْرِقُهُ بَقِيَّةُ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ فِي الْحَالَاتِ مِنَ الرَّابِعَةِ إِلَى الثَّامِنَةِ.

٢- الْأَرْقَامُ الْمَذْكُورَةُ هُنَا لِلتَّمْثِيلِ وَلَيْسَ لِلتَّحْدِيدِ وَالتَّأْصِيلِ.

٣- يُمَثِّلُ الْجَدْوَلُ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَ الْقُرْآنِ؛ فَانْظُرْ أَيْنَ أَنْتَ. وَإِنْ لَمْ تَجِدْ لَكَ مَكَانًا فِي هَذَا الْجَدْوَلِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ عَلَى خَطَرٍ فَتَدَارَكْ أَمْرَكَ.

م	مقدار الحزب الكلي (وجه)	القراءة حفظًا	القراءة في صلاة	مقياس الترتيل (دقيقة / وجه)	مقدار الحزب اليومي	الوقت اليومي (دقيقة)	مدة الختم (يومًا)	عدد التكرار كل شهر	الوقت الشهري (دقيقة)	الوقت الشهري (ساعة)
١	٦٠٠	لا	لا	١.٥	٢٠	٣٠	٣٠	١	٩٠٠	١٥
٢	٦٠٠	لا	لا	٣	٢٠	٦٠	٣٠	١	١٨٠٠	٣٠
٣	٦٠٠	نعم	لا	٣	٢٠	٦٠	٣٠	١	١٨٠٠	٣٠
٤	٦٠٠	نعم	نعم	٥	٢٠	١٠٠	٣٠	١	٣٠٠٠	٥٠

٥	٦٠٠	نعم	نعم	٥	٨٦	٤٣٠	٧	٤	١٢٩٠٠	٢١٥
٦	٨٤	نعم	نعم	٥	١٢	٦٠	٧	٤	١٨٠٠	٣٠
٧	٢٠	نعم	نعم	١٠	٣	٣٠	٧	٤	٩٠٠	١٥
٨	١٠	نعم	نعم	١٠	٥،١	١٥	٧	٤	٤٥٠	٥،٧
مَا سَبَقَ أَمْثِلَةٌ، وَيَتَفَرَّعُ عَنْ ذَلِكَ صُوَرٌ أُخْرَى كَثِيرَةٌ.										

تَحْلِيلُ الْجَدْوَلِ:

١- الصُّورَةُ السَّابِعَةُ أَفْضَلُ بِكَثِيرٍ مِنَ الصُّورَةِ الْأُولَى، وَأَثَرُهَا فِي تَحْقِيقِ الْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ كَبِيرٌ جِدّاً، وَلَسْتُ مُبَالِغاً إِنْ قُلْتُ: إِنَّ الصُّورَةَ الثَّامِنَةَ أَيْضاً أَفْضَلُ مِنَ الصُّورَةِ الْأُولَى.

٢- الصُّورَةُ الْأُولَى هِيَ حَالُ مَنْ يَعْتَبِرُ نَفْسَهُ مِنَ الْمُشَمِّرِينَ فِي الْعِنَايَةِ بِالْقُرْآنِ: لَا حِفْظَ، وَلَا قِيَامَ بِالْقُرْآنِ، وَلَا تَرْتِيلَ، وَلَا تَوَقُّفَ!! فَأَيْنَ الْعَجَبُ مِنْ عَدَمِ التَّأَثُّرِ بِالْقُرْآنِ وَتَحْقِيقِ الشِّفَاءِ وَالْهُدَى وَالرَّحْمَةِ؟!

٣- الصُّورَةُ الْخَامِسَةُ هِيَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمِمَّنْ جَاءَ النَّقْلُ الصَّرِيحُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ؛ ابْنُ عُمَرَ، وَعَائِشَةُ، وَابْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَحَدِيثُ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ الثَّقَفِيِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا هُوَ هَدْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكَثِيرٍ مِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ، مِنْهُمْ أَئِمَّةُ الْفِقْهِ الْأَرْبَعَةُ، وَأَصْحَابُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ، وَكَثِيرٌ مِمَّنْ عُرِفُوا بِالزُّهْدِ وَالْوَرَعِ، وَعَدَدٌ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرِهِمْ.

٤- الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ لَا تُمْكِنُ إِلَّا لِمَنْ أَتْقَنَ حِفْظَ الْقُرْآنِ تَمَاماً، وَهَذَا لَا يُنَاسِبُ الْمُبْتَدِئِينَ فِي مَشْرُوعِ النَّجَاحِ مَعَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٥- الْعُمْقُ الْحَاصِلُ فِي الصُّورَةِ السَّادِسَةِ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ أَضْعَافِ الصُّورَةِ الرَّابِعَةِ، وَهَذَا أَمْرٌ مُهِمٌّ جِدّاً فِي تَحْصِيلِ الْقُوَّةِ وَالصِّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ.

٦- الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ هِيَ حَالُ كَثِيرٍ مِمَّنْ يُحْسَبُونَ مِنْ حَفَظَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُمْ

مَا زَالُوا فِي بِدَايَةِ الطَّرِيقِ.

المسألة العاشرة: التحزيب تربية على النجاح في تحقيق الأهداف

إِنَّ تَحْدِيدَ مَوَاعِيدَ لِلْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ، وَالتَّدْرِيبَ عَلَى تَنْفِيذِهَا بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ، أَيْ تَحْدِيدَ أَهْدَافٍ صَغِيرَةٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ إِنْجَازُهَا بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ، هَذَا يُكْسِبُ الْإِنْسَانَ مَهَارَةَ التَّحْدِيدِ وَاتِّخَاذِ الْقَرَارِ، وَمِنْ ثَمَّ التَّنْفِيذُ وَالْإِنْجَازُ، وَهِيَ مِنْ أَهَمِّ الْمَهَارَاتِ لِلنَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ، فَجَدْوَلُ التَّحْزِيبِ الَّذِي تُوَاظِبَ عَلَى إِنْجَازِهِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ تَرْبِيَةٌ عَلَى النَّجَاحِ فِي كُلِّ شُؤُونِ الْحَيَاةِ وَمَجَالَاتِهَا.

فَالنَّجَاحُ يُولَدُ صَغِيراً ثُمَّ يَكْبُرُ مَعَ الْأَيَّامِ إِنْ تَعَاهَدَهُ صَاحِبُهُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيبِ وَلَوْ كَانَ بِكَمِّيَّاتٍ قَلِيلَةٍ.

إِنَّ إِنْجَازَ الْهَدَفِ الصَّغِيرِ يُشْبِهُ إِنْجَازَ الْمَشْرُوعِ الْكَبِيرِ، الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فِي الْحَجْمِ فَقَطْ، أَمَّا الْمَهَارَاتُ وَالْمَعَانِي وَالْأَدَوَاتُ فَهِيَ مُشْتَرَكَةٌ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ، وَفِي الْوَاقِعِ نُلَاحِظُ أَنَّ الْكَثِيرَ يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْجَازَاتِ الْيَسِيرَةِ، وَيَعْجِزُ عَنِ الْكَبِيرَةِ، وَالسَّبَبُ أَنَّهُ لَمْ يَكْتَسِبِ اللِّيَاقَةَ اللَّازِمَةَ لِذَلِكَ.

فَالْمُتَدَرِّبُ يَكْتَسِبُ مِنْ تَدْرِيبِهِ عَلَى تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ هَذِهِ الْمَهَارَةَ الْمُهِمَّةَ لِإِنْجَازِ وَتَحْقِيقِ الْأَهْدَافِ فِي الْحَيَاةِ، وَهَذَا مِنَ الْمَكَاسِبِ الْإِضَافِيَّةِ، أَمَّا الْمَكْسَبُ الْأَصْلِيُّ فَهُوَ النَّجَاحُ فِي الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي بِهِ يَحْصُلُ النَّجَاحُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

المفتاح العاشر: الربط

المسألة الأولى: معنى الربط

الْمُرَادُ بِالرَّبْطِ هُوَ الْحِفْظُ أَوِ الذِّكْرُ؛ بِحَيْثُ يَتِمُّ الِاقْتِرَانُ الْقَوِيُّ بَيْنَ اللَّفْظِ وَبَيْنَ الْمَعْنَى فِي الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى، ثُمَّ يَتِمُّ الِاقْتِرَانُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْوَاقِعِ وَالتَّطْبِيقِ.

وَهَذَا الرَّبْطُ يُعْرَفُ عِنْدَ عُلَمَاءِ النَّفْسِ بِالِاقْتِرَانِ الشُّرْطِيِّ، وَيُعْرَفُ بِالْوَقْتِ الْحَاضِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَرْمَجَةِ بِالْإِرْسَاءِ، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِالذِّكْرِ أَوِ التَّذَكُّرِ، وَهُوَ يَعْنِي تَدَاعِيَ الْمَعَانِي، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ**﴾.

المسألة الثانية: أنواعه

الرَّبْطُ أَوِ التَّدَاعِي نَوْعَانِ بِاعْتِبَارِ مَصْدَرِهِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: عَفْوِيٌّ، وَهُوَ إِلْهَامَاتٌ وَفُتُوحَاتٌ يَفْتَحُهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: قَصْدِيٌّ؛ وَهُوَ أَنْ تَقُومَ بِرَبْطِ الْمَعْنَى بِاللَّفْظِ ثُمَّ التَّكْرَارِ حَتَّى يَرْسُخَ وَيَثْبُتَ؛ أَيْ شَحْنُ الْأَلْفَاظِ بِالْمَعَانِي.

المسألة الثالثة: أقسامه:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: رَبْطُ الْمَعْنَى بِاللَّفْظِ؛ أَيْ: حِفْظُ الْمَعَانِي.

الْقِسْمُ الثَّانِي: رَبْطُ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ؛ أَيْ حِفْظُ الْعَمَلِ، أَوْ حِفْظُ الْحُدُودِ، أَيْ رَبْطُ الْمَعْنَى الَّذِي تَمَّ حِفْظُهُ بِالْوَاقِعِ وَالتَّطْبِيقِ، وَتَنْزِيلُ الْآيَةِ عَلَى الْمَوَاقِفِ وَالْأَحْوَالِ الْيَوْمِيَّةِ الَّتِي تَمُرُّ بِالشَّخْصِ، هُوَ التَّمَثُّلُ بِالْقُرْآنِ فِي كُلِّ حَدَثٍ يَحْصُلُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ بِحَيْثُ يَبْقَى الْقُرْآنُ حَيًّا فِي الْقَلْبِ، تُؤْخَذُ مِنْهُ الْإِجَابَاتُ وَالتَّفْسِيرَاتُ لِلْحَيَاةِ، وَتُؤْخَذُ مِنْهُ التَّوْجِيهَاتُ وَالْأَنْظِمَةُ

فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ.

المسألة الرابعة: كيفية الربط

أَنْ تُكَرِّرَ اللَّفْظَ مَعَ اسْتِحْضَارِ مَعْنىً جَدِيدٍ فِي كُلِّ مَرَّةٍ، حَتَّى تَمُرَّ عَلَى كُلِّ الْمَعَانِي الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَتَذَكَّرَهَا مِنَ النَّصِّ أَوِ اللَّفْظِ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ كَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ حِينَ قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ يُكَرِّرُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ قَالَ: إِنَّ فِيهَا مُعْتَبَراً مَا نَرْفَعُ طَرْفاً وَلَا نَرُدُّهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَى نِعْمَةٍ.

وَالتَّكْرَارُ الَّذِي يُحَقِّقُ الرَّبْطَ نَوْعَانِ:

الْأَوَّلُ: التَّكْرَارُ الْآنِيُّ.

الثَّانِي: التَّكْرَارُ الْأُسْبُوعِيُّ.

أَمَّا التَّكْرَارُ الْآنِيُّ فَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي مِفْتَاحِ التَّكْرَارِ وَالتَّوَقُّفِ، وَأَمَّا التَّكْرَارُ الْأُسْبُوعِيُّ فَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي مِفْتَاحِ التَّحْزِيبِ.

المسألة الخامسة: حسابات الألفاظ والكلمات

الْأَلْفَاظُ قَوَالِبُ الْمَعَانِي وَحِسَابَاتُهَا الْبَنْكِيَّةُ، فَكَلِمَةٌ عِنْدَ شَخْصٍ لَهَا خَمْسَةُ مَعَانٍ، وَعِنْدَ آخَرَ سَبْعَةُ مَعَانٍ، وَعِنْدَ ثَالِثٍ: صِفْرٌ خَالِيَةٌ لَا تَعْنِي لَهُ شَيْئًا.

إِنَّ إِدْرَاكَ وَوَعْيَ النَّاسِ لَآيَاتِ الْقُرْآنِ يَتَفَاوَتُ تَفَاوُتًا كَبِيراً، مَعَ أَنَّ الْآيَةَ هِيَ الْآيَةُ يَقْرَؤُهَا هَذَا وَيَقْرَؤُهَا هَذَا، وَإِنَّ مَا بَيْنَهُمَا فِي عُمْقِ فَهْمِ الْآيَةِ أَوِ الْجُمْلَةِ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقَيْنِ.

خاتمة الكتاب

أَخِي الْمُسْلِمَ: بِفِعْلِكَ لِمَا سَبَقَ ذِكْرُهُ مِنْ مَفَاتِحِ التَّدَبُّرِ تَكُونُ كَمَنِ اسْتَعْمَلَ مِنْظَاراً لِتَقْرِيبِ وَتَكْبِيرِ الصُّوَرِ، وَهَذَا مَا يَحْصُلُ تَمَاماً لِقَارِئِ الْقُرْآنِ بِهَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ تَكْبُرُ فِي نَظَرِهِ الْمَعَانِي، وَتَزْدَادُ عُمْقاً، وَيَغْزُرُ فَهْمُهُ لِمَضَامِينِهَا حَتَّى إِنَّهُ لَيَنْتَبِهُ إِلَى مَعَانٍ لَمْ يَكُنْ يُدْرِكُهَا مِنْ قَبْلُ، وَأَلْفَاظٍ كَانَ يَمُرُّ بِهَا دُونَ أَنْ يَشْعُرَ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ! لَقَدْ كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ، أَوِ الْآيَةَ مُنْذُ سَنَوَاتٍ؛ لَكِنْ لَمْ أَفْهَمْهَا كَمَا فَهِمْتُهَا الْيَوْمَ؟

إِنَّ الْبَعْضَ مِنَّا يُرِيدُ أَنْ يَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ، وَيَتَأَثَّرَ بِهِ، وَهُوَ لَمْ يُهَيِّئِ الْأَسْبَابَ وَالْوَسَائِلَ الْمُسَاعِدَةَ عَلَى فَهْمِهِ وَفِقْهِهِ، حَتَّى أَدْنَى دَرَجَاتِ التَّرْكِيزِ وَالْهُدُوءِ لَا يَحْرِصُ عَلَيْهَا حِينَ قِرَاءَتِهِ لِلْقُرْآنِ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ قَصَرَ هِمَّتَهُ عَلَى نُطْقِ الْأَلْفَاظِ، وَمَا يَحْصُلُ مِنْ حَسَنَاتٍ مُقَابِلَ ذَلِكَ.

إِنَّ مَنْ يُوَاظِبُ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كَمَا تَمَّ بَيَانُهُ وَوَصْفُهُ مِنْ حَالِ السَّلَفِ فَإِنَّ هَذَا سَيُؤَدِّي إِلَى حَيَاةِ قَلْبِهِ، وَقُوَّةِ ذَاكِرَتِهِ، وَصِحَّةِ نَفْسِهِ، وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وَقُوَّةِ إِرَادَتِهِ، وَهَذِهِ هِيَ مُرْتَكَزَاتُ النَّجَاحِ الْحَقِيقِيَّةُ، ذَلِكُمُ النَّجَاحُ الشَّامِلُ الْمُتَكَامِلُ الثَّابِتُ فِي حَالِ الشِّدَّةِ، كَمَا هُوَ حَاصِلٌ فِي حَالِ الرَّخَاءِ.

إِنَّ مَنْ يُطَبِّقُ هَذِهِ الْمَفَاتِيحَ الْعَشَرَةَ فَبِإِذْنِ اللهِ سَيَرَى بِأُمِّ قَلْبِهِ نُورَ الْقُرْآنِ، وَيُصْبِحُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**﴾.

نَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ وَالْهَادِي إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

ملحق (١): رحلتي مع الكتاب

بَدَأَتْ رِحْلَتِي مَعَ هَذَا الْكِتَابِ مُنْذُ أَنْ عَقَلْتُ وَأَدْرَكْتُ أَنَّ الْحَيَاةَ مُجَاهَدَةٌ وَمُصَابَرَةٌ، وَصِرَاعٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَنَّ الثَّبَاتَ عَلَى الْحَقِّ وَتَحْصِيلَ الْخَيْرِ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جُهْدٍ، وَمِنْ عَمَلٍ.

كَانَتِ الْبِدَايَةُ مَعَ كِتَابِ (الْجَوَابِ الْكَافِي) أَقْرَؤُهُ كُلَّمَا أَحْسَسْتُ بِضَعْفِ السَّيْطَرَةِ عَلَى النَّفْسِ، وَضَعْفِ الْإِرَادَةِ وَالْوُقُوعِ فِي النَّقَائِصِ، فَكُنْتُ أَجِدُ فِيهِ الْعِلَاجَ وَأَنْتَفِعُ بِهِ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ، ثُمَّ انْتَقَلْتُ إِلَى كُتُبِ الْمُثَقَّفِينَ وَالْمُفَكِّرِينَ الْمُعَاصِرِينَ؛ أَمْثَالَ: (قَوَارِبِ النَّجَاةِ)، وَ(حَدِيثِ الشَّيْخِ)، وَ(تَرْبِيَتِنَا الرُّوحِيَّةِ)، وَ(جَدِّدْ حَيَاتَكَ)، وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبٍ جَعَلْتُهَا قَرِيبَةً مِنِّي أَقْرَؤُهَا بِاسْتِمْرَارٍ.

ثُمَّ جَاءَتْ فَتْرَةٌ تَعَلَّقْتُ بِكِتَابِ (إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ) لِلْغَزَالِيِّ، وَمُخْتَصَرِهِ؛ (مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ) لِابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَ(مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ) لِابْنِ قُدَامَةَ.

وَفِي الْمَرْحَلَةِ الْجَامِعِيَّةِ كَانَ التَّوَجُّهُ نَحْوَ كُتُبِ الْغَرْبِ الَّتِي بَدَأَتْ تَغْزُو الْأَسْوَاقَ، مِنْ ذَلِكَ: (كَيْفَ تَكْسِبُ الْأَصْدِقَاءَ)، (دَعِ الْقَلَقَ وَابْدَأِ الْحَيَاةَ)، (سَيْطِرْ عَلَى نَفْسِكَ)، (سُلْطَانُ الْإِرَادَةِ)، وَغَيْرُهَا، فَكُنْتُ أَرْجِعُ إِلَيْهَا كُلَّمَا حَصَلَتْ مُشْكِلَةٌ أَوِ احْتَجْتُ لِعِلَاجِ مَسْأَلَةٍ، وَكُنْتُ قَرَأْتُهَا أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَلَخَّصْتُ مَا فِيهَا عَلَى شَكْلِ قَوَاعِدَ وَأُصُولٍ، وَفِي حِينِهَا كَانَ يَتَرَدَّدُ عَلَى خَاطِرِي سُؤَالٌ مُحَيِّرٌ: كَيْفَ يَكُونُ الْعِلَاجُ وَالتَّغْيِيرُ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْكُتُبِ وَلَا يَكُونُ فِي الْقُرْآنِ؟

ثُمَّ تَلَتْهَا مَرْحَلَةٌ أُخْرَى تَعَلَّقْتُ بِكِتَابِ (مَدَارِجِ السَّالِكِينَ)، وَخَاصَّةً بَعْدَمَا طُبِعَ تَهْذِيبُهُ فِي مُجَلَّدٍ وَاحِدٍ؛ فَكَانَ رَفِيقِي فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، أَقْرَأُ فِيهِ بِهَدَفِ تَقْوِيَةِ الْعَزِيمَةِ وَمُجَاهَدَةِ النَّفْسِ.

ثُمَّ جَاءَتْ مَرْحَلَةٌ لَمْ يَمْضِ عَلَيْهَا سِوَى سَنَوَاتٍ (١٤٢٠هـ) اتَّجَهْتُ إِلَى كُتُبِ وَأَشْرِطَةِ الْقُوَّةِ وَتَطْوِيرِ الذَّاتِ الَّتِي بَدَأَتْ تَتَنَافَسُ فِي جَذْبِ النَّاسِ، فَاشْتَغَلْتُ بِالْكَثِيرِ مِنْهَا؛ طَلَبًا لِلتَّطْوِيرِ وَالتَّرْقِيَةِ، مِنْ ذَلِكَ: كِتَابُ (الْعَادَاتِ السَّبْعِ)، (أَيْقِظْ قِوَاكَ الْخَفِيَّةَ)، (إِدَارَةُ

الْأَوْلَوِيَّاتِ)، (الْقِرَاءَةُ السَّرِيعَةِ)، (كَيْفَ تُضَاعِفُ ذَكَاءَكَ)، (الْمَفَاتِيحُ الْعَشَرَةُ لِلنَّجَاحِ)، (الْبَرْمَجَةُ اللُّغَوِيَّةُ الْعَصَبِيَّةُ)، (كَيْفَ تُقَوِّي ذَاكِرَتَكَ)، (كُنْ مُطَمْئِنًّا)، (السَّعَادَةُ فِي ثَلَاثَةِ شُهُورٍ)، (كَيْفَ تُصْبِحُ مُتَفَائِلاً)، (أَيْقِظِ الْعِمْلَاقَ)... إِلَخْ مِنْ قَائِمَةٍ لَا تَنْتَهِي، كُنْتُ أَقْرَؤُهَا، أَوْ أَسْمَعُهَا بِكُلِّ دِقَّةٍ وَأَنَاةٍ بَاحِثًا فِيهَا عَمَّا عَسَاهُ يُغَيِّرُ مِنَ الْوَاقِعِ شَيْئًا، وَيَحْصُلُ بِهِ الِانْطِلَاقُ وَالتَّخَلُّصُ مِنْ نِقَاطِ الضَّعْفِ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى، وَأَحْمَدُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ جَدْوَى، وَأَنِّي نَجَوْتُ مِنَ الْفِتْنَةِ بِهَذِهِ الْمَصَادِرِ الْبَشَرِيَّةِ لِلنَّجَاحِ، فَكَيْفَ سَيَكُونُ حَالِي لَوْ كُنْتُ حَصَلْتُ عَلَى النَّجَاحِ مِنْ تِلْكَ الْكُتُبِ وَنَسِيتُ كِتَابَ رَبِّي إِلَى أَنْ فَارَقْتُ الْحَيَاةَ؟

إِنَّ السُّؤَالَ الْمُحَيِّرَ، الَّذِي يَدْعُو لِلْعَجَبِ وَالِاسْتِغْرَابِ: هَلْ كَانَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْغَفْلَةِ عَنْ أَثَرِ الْقُرْآنِ فِي تَحْقِيقِ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ حَصَلَتْ مِنْ شَخْصٍ يَعِيشُ فِي مَجَاهِلِ أَفْرِيقْيَا؟ أَوْ أَدْغَالِ آسْيَا وَلَمْ يَبْلُغْهُ الْقُرْآنُ؟ أَوْ أَنَّهُ حَصَلَ مِنْ شَخْصٍ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ وَهُوَ فِي الْمَرْحَلَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ؛ لِأَنَّهُ نَسِيَ هَذِهِ الْمَفَاتِيحَ.

هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الْمُحَيِّرُ الَّذِي كُنْتُ أَبْحَثُ عَنْ إِجَابَتِهِ، فَوَجَدْتُهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَضَمَّنْتُهَا هَذَا الْكِتَابَ، فَإِيَّاكَ أَخِي الْمُسْلِمَ أَنْ تَرْحَلَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَذُقْ أَلَذَّ وَأَطْيَبَ مَا فِيهَا؛ إِنَّهُ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ، الَّذِي لَا يُشْبِهُ التَّنَعُّمُ بِهِ أَيَّ نَعِيمٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَهُوَ حَاصِلٌ -بِإِذْنِ اللهِ- تَعَالَى لِمَنْ أَخَذَ بِهَذِهِ الْمَفَاتِيحِ الَّتِي هُدِيَ إِلَيْهَا سَلَفُنَا الصَّالِحُ، فَفُتِحَتْ لَهُمْ كُنُوزُ الْقُرْآنِ، وَبِهَا فُتِحَتْ لَهُمْ كُنُوزُ الْأَرْضِ وَخَيْرَاتُهَا فَكَانُوا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ.

ملحق (٢): أفضل هدية يقدمها والد إلى ولده

إِنَّ أَعْظَمَ هَدِيَّةٍ يُقَدِّمُهَا وَالِدٌ إِلَى وَلَدِهِ، وَأَعْظَمَ إِحْسَانٍ يُسْدِيهِ إِلَيْهِ؛ أَنْ يُرَبِّيَهُ عَلَى مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنَ -الَّتِي ذَكَرْتُهَا عَنِ السَّلَفِ- مُنْذُ الصِّغَرِ حَتَّى يَتَسَلَّحَ بِالْقُرْآنِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ الْفِتَنُ، وَانْتَشَرَ فِيهِ الْقَلَقُ وَالْمَلَلُ، وَزَادَتِ الْأَمْرَاضُ النَّفْسِيَّةُ، وَضَعُفَتِ النُّفُوسُ عَنْ تَحَمُّلِ الْمَصَائِبِ، وَصَارَ النَّاسُ يَبْحَثُونَ عَنِ التَّرْفِيهِ وَالتَّسْلِيَةِ وَالتَّرْوِيحِ عَنِ النَّفْسِ بِوَسَائِلَ شَتَّى، حَتَّى أَرْهَقَتْهُمْ بَدَنِيًّا وَمَالِيًّا، وَوَصَلُوا مَعَهَا إِلَى طَرِيقٍ مَسْدُودٍ، وَصَدَقَ عَلَيْهِمْ قَوْلُ

الشَّاعِرِ:

وَكَـــأْسٍ شَـــرِبْتُ عَلَـــى لَـــذَّةٍ وَأُخْـــرَى تَـــدَاوَيْتُ مِنْهَـــا بِهَـــا

إِنَّ مَنْ يَنْشَأُ عَلَى الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ، يَقْرَؤُهُ كَمَا وَصَفْتُ، فَإِنَّهُ يَنْشَأُ قَوِيَّ النَّفْسِ، قَوِيَّ الْبَدَنِ، ثَابِتَ الْخُطَى، يَشُقُّ طَرِيقَهُ فِي الْحَيَاةِ بِلَا مَخَاوِفَ، وَلَا مَشَاكِلَ -بِإِذْنِ اللهِ- تَعَالَى، لِأَنَّهُ يَجِدُ التَّفْسِيرَ الْوَاضِحَ الثَّابِتَ لِكُلِّ الْمَوَاقِفِ الَّتِي يَمُرُّ بِهَا فِي الْحَيَاةِ، وَلِكُلِّ الْمَنَاهِجِ وَالْأُطْرُوحَاتِ الَّتِي تَتَنَافَسُ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِهَا.

وَمَا زِلْنَا نَسْمَعُ وَنَرَى صُوَراً وَمَآسِيَ لِانْحِرَافَاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَخُلُقِيَّةٍ تَحْصُلُ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا بِسَبَبِ التَّفْرِيطِ فِي الرَّبْطِ بِالْقُرْآنِ حَبْلِ اللهِ الْمَتِينِ، الَّذِي مَا ضَلَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَالتَّمَسُّكُ بِهِ لَا يَكُونُ أَبَداً إِلَّا بِمَا سَبَقَ بَيَانُهُ مِنْ وَسَائِلَ وَمَفَاتِيحَ.

إِنَّ هَذَا أَسْهَلُ وَأَخْصَرُ الطُّرُقِ فِي تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ، لِمَنْ وُفِّقَ إِلَيْهِ وَقَدَرَ عَلَيْهِ، أَمَّا مَنْ حُرِمَهُ فَإِنَّهُ سَيَظَلُّ حَبِيسَ تَجَارِبَ وَطُرُقٍ وَأَفْكَارٍ لَا أَوَّلَ لَهَا وَلَا آخِرَ، تَجَارِبَ وَوَسَائِلَ مُتَبَايِنَةٍ وَمُكَلِّفَةٍ وَصَعْبَةِ التَّطْبِيقِ، وَضَعِيفَةِ النَّتَائِجِ، وَهَشَّةِ الْبِنَاءِ، لَا تَصْمُدُ لِلْمَوَاقِفِ الصَّعْبَةِ وَاللَّحَظَاتِ الْحَرِجَةِ.

تَذَكَّرْ أَنَّكَ حِينَ تُرَبِّي ابْنَكَ مُنْذُ الصِّغَرِ عَلَى مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ فَإِنَّكَ تُثَبِّتُ فِي قَلْبِهِ رَقِيباً يَصْحَبُهُ أَيْنَمَا ذَهَبَ، وَفِي كُلِّ وَقْتٍ، وَحِينَهَا لَا تَحْتَاجُ أَبَداً إِلَى مُرَاقَبَتِهِ وَمُتَابَعَتِهِ؛ لِأَنَّ رَقِيبَهُ مُثَبَّتٌ فِي صَدْرِهِ وَبِقُوَّةٍ؛ فَتَنَامُ بِذَلِكَ قَرِيرَ الْعَيْنِ، وَتَجْنِي ثَمَرَةَ مَا زَرَعْتَهُ فِي قَلْبِهِ فِي سَنَوَاتِ حَيَاتِهِ الْأُولَى.

إِنَّ تَرْبِيَةَ الطِّفْلِ عَلَى النَّجَاحِ بِالْقُرْآنِ يَكُونُ حَسْبَ الْخُطُوَاتِ التَّالِيَةِ:

١-الْحِفْظُ التَّرْبَوِيُّ لِلْفَاتِحَةِ، وَدُعَاءُ حُبِّ الْقُرْآنِ.

٢-الْحِفْظُ التَّرْبَوِيُّ لِمِقْدَارٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلَوْ كَانَ قَلِيلاً.

٣-الْحِفْظُ التَّرْبَوِيُّ لِلنُّصُوصِ الَّتِي تُبَيِّنُ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَنْهَجَ التَّعَامُلِ مَعَهُ بِالتَّدْرِيجِ

وَالتَّكْرَارِ.

٤- التَّدْرِيبُ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي صَلَاةٍ بِالتَّدْرِيجِ وَالتَّشْجِيعِ، حَتَّى تَسْهُلَ عَلَيْهِ وَيَتَعَوَّدَ عَلَيْهَا.

وَيُمْكِنُ فِي الْأُسْرَةِ أَوِ الْحَلْقَةِ أَنْ يُدْعَمَ هَذَا الْأَمْرُ بِكَثْرَةِ الْمُدَارَسَةِ لِمِثْلِ هَذِهِ النُّصُوصِ بِشَكْلِ حَلَقَاتِ نِقَاشٍ تُنَاسِبُ صِغَارَ السِّنِّ، أَوْ مُسَابَقَةٍ، بِحَيْثُ تَسْأَلُ: مَنْ يَحْفَظُ حَدِيثَ كَذَا؟ مَا مَعْنَى كَذَا؟ مَاذَا نَسْتَنْبِطُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ؟ مَاذَا نَفْهَمُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ؟ وَهَكَذَا فِي عَمَلِيَّةٍ إِعْلَامِيَّةٍ مُسْتَمِرَّةٍ لَا تَهْدَأُ حَتَّى تُورِقَ الْأَشْجَارُ، وَتَنْضُجَ الثِّمَارُ.

قَدْ يُوَاجِهُ الْمُرَبِّي صُعُوبَةً فِي تَطْبِيقِ مَا ذُكِرَ مَعَ بَعْضِ النَّاشِئَةِ، وَهَذَا مُتَوَقَّعٌ لِأَنَّ مَا يَقُومُ بِهِ هُوَ أَمْضَى وَأَقْوَى بِنَاءٍ تَرْبَوِيٍّ، وَهُنَاكَ عَدُوٌّ مُتَرَبِّصٌ بِمَنْ يَسْلُكُ هَذَا الطَّرِيقَ، كَمَا أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى عَنْهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، فَعَلَى الْمُرَبِّي الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ حَتَّى يَحْصُلَ النَّصْرُ، وَعَلَيْهِ بِكَثْرَةِ التَّضَرُّعِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يُيَسِّرَ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ، وَعَلَيْهِ بِكَثْرَةِ الرُّقْيَةِ بِالْقُرْآنِ لِمَنْ كَانَ هَذَا شَأْنَهُ حَتَّى يَلِينَ وَيَنْقَادَ، -بِإِذْنِ اللهِ- تَعَالَى.

إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ مَوْعِظَةً لِلنَّاسِ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةً، فَارْحَمُوا أَوْلَادَكُمْ بِتَرْبِيَتِهِمْ عَلَى الْقُرْآنِ، إِنَّهُ لَتَقْصِيرٌ عَظِيمٌ أَنْ نَنْظُرَ إِلَى أَوْلَادِنَا يَكْبَرُونَ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْحَيَاةِ وَهُمْ فَارِغُونَ مِنَ الْقُرْآنِ لَا يَعْرِفُونَ قَدْرَهُ، وَلَا كَيْفَ يَتَعَامَلُونَ مَعَهُ، وَلَا يَحْفَظُونَ مِنْهُ شَيْئًا، وَلَمْ يَتَدَرَّبُوا عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، إِنَّهُمْ -فِي صِغَرِهِمْ- مُطِيعُونَ، سَهْلٌ قِيَادُهُمْ، فَهَلْ نُهْمِلُهُمْ حَتَّى إِذَا كَبِرُوا وَبَدَأَتْ تَظْهَرُ مِنْهُمْ ثِمَارُ إِهْمَالِنَا وَتَقْصِيرِنَا ذَهَبْنَا نُفَتِّشُ عَنِ الْحُلُولِ، وَنَبْحَثُ عَمَّنْ يُسْعِفُنَا، وَذَلِكَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ.

ارْحَمُوا أَطْفَالَكُمْ بِتَرْبِيَتِهِمْ عَلَى الْقُرْآنِ، عَلَى الْهُدَى الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ رَحْمَةً وَهِدَايَةً لَهُمْ؛ لِكَيْ يَفْهَمُوا الْحَيَاةَ فَهْمًا سَدِيداً صَحِيحًا؛ فَلَا يُضِلُّوا وَلَا يَشْقَوْا وَلَا يَتْعَبُوا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ يَكْبَرُوا.

ملحق (٣): رسالة إلى كل معلم ومعلمة في العالم

أَخِي الْمُعَلِّمَ، أُخْتِي الْمُعَلِّمَةَ: يَا مَنْ يَسَّرَ اللهُ لَكُمْ قُلُوبَ النَّاشِئَةِ، تَسْمَعُ لَكُمْ وَتُطِيعُ، وَتُقَدِّسُ كَلَامَكُمْ، وَتَرَى فِيكُمُ الْقُدْوَةَ الْحَسَنَةَ، وَالْمَثَلَ الَّذِي يُحْتَذَى، إِلَيْكُمْ أُوَجِّهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ؛ وَهِيَ أَنْ تَسْعَوْا جَاهِدِينَ فِي تَوْصِيلِ مَا تَضَمَّنَهُ هَذَا الْكِتَابُ مِنْ أُمُورٍ عِلْمِيَّةٍ وَعَمَلِيَّةٍ بِأُسْلُوبِكُمْ وَطَرِيقَتِكُمُ الْخَاصَّةِ، بِحَيْثُ يَتَرَسَّخُ لَدَى النَّاشِئَةِ -عِلْماً وَعَمَلاً- أَنَّ نَجَاحَهُمْ وَسَعَادَتَهُمْ وَقُوَّتَهُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَجِّهُوهُمْ إِلَى كَيْفِيَّةِ الْقِيَامِ بِالْقُرْآنِ، وَعَلِّمُوهُمْ أَنَّهُ الطَّرِيقُ لِتَثْبِيتِ مَعَانِيهِ الْعَظِيمَةِ فِي الْقُلُوبِ، عَلِّمُوهُمْ كَيْفَ يَدْعُونَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُمْ حُبَّ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَهُ، وَأَنْ يُضِيءَ لَهُمْ أَنْوَارَهُ، وَضِّحُوا لَهُمْ -بِتَفْصِيلٍ وَاسْتِمْرَارٍ- أَنَّ الْحَيَاةَ بِدُونِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ شَقَاءٌ وَضَلَالٌ وَضَيَاعٌ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَحْمَةً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ.

احْتَوَى الْكِتَابُ عَلَى عَدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ، وَالْأَحَادِيثِ، وَأَقْوَالِ السَّلَفِ، مِمَّا يُبَيِّنُ كَيْفِيَّةَ التَّعَامُلِ مَعَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالِانْتِفَاعِ بِهِ، فَسِّرُوهَا وَاشْرَحُوهَا لَهُمْ، وَاجْعَلُوهُمْ يَحْفَظُونَ مِنْهَا مَا يَسْتَطِيعُونَ؛ لِيَكُونَ حَافِزاً لَهُمْ لِلْعَمَلِ بِهَا.

تَفَقَّدُوهُمْ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ، وَرَاقِبُوا تَفَاعُلَهُمْ مَعَ مَا تُعَلِّمُونَهُمْ إِيَّاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْمُهِمِّ فِي حَيَاتِهِمْ؛ إِنَّهُمْ -بِذَلِكَ- يَكُونُونَ حَسَنَةً مِنْ حَسَنَاتِكُمْ، وَغَرْساً مِنْ غِرَاسِكُمْ، تَسْعَدُوا وَتُسَرُّوا حِينَ تَرَوْنَهُمْ سُعَدَاءَ، تَرَوْنَهُمْ نَافِعِينَ مُؤَثِّرِينَ فِي أُمَّتِهِمْ.

أَرْجُو مِنْكُمُ الِاحْتِسَابَ فِي تَوْصِيلِ مَادَّةِ الْكِتَابِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ مِنْ فِلْذَاتِ أَكْبَادِنَا، الَّذِينَ يُؤْلِمُنَا وَاقِعُهُمُ الْمَأْسَاوِيُّ، وَمَا يُعَانِيهِ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ مِنْ قَلَقٍ، وَضَيَاعٍ فِكْرِيٍّ وَخُلُقِيٍّ، فِي زَمَنٍ كَثُرَ فِيهِ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ، وَتَنَوَّعَتْ أَطْمَاعُ الطَّامِعِينَ وَوَسَائِلُهُمْ، وَتَخَبَّطَ الْكَثِيرُونَ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْقُوَّةِ وَالتَّطْوِيرِ وَتَحْقِيقِ النَّجَاحِ فِي الْحَيَاةِ، وَهُوَ فِي أَيْدِيهِمْ؛ فِي هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

إِنَّ الْكِتَابَ يَرْسُمُ الطَّرِيقَ الْمُخْتَصَرَ وَالْآمِنَ وَالْقَوِيَّ لِلتَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْضِيحٍ وَبَيَانٍ لِمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ذَلِكَ.

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ أَنْ يَجْعَلَكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى فِي تَحْقِيقِ الْقُوَّةِ وَالنَّجَاحِ لِلْأُمَّةِ، وَأَنْ يُحَقِّقَ عَلَى أَيْدِيكُمُ النَّصْرَ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

ملحق (٤): الصيام

المسألة الأولى: العلاقة بين التدبر والصوم

أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَالْحَاكِمُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ». [قَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي التَّرْغِيبِ، وَصَحَّحَهُ شَاكِرٌ فِي الْمُسْنَدِ].

إِنَّ الْجَمْعَ بَيْنَ الصِّيَامِ وَالْقِيَامِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ مَشْرُوعِيَّةُ صَوْمِ رَمَضَانَ مَعَ قِيَامِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ عَلَاقَةً وَطِيدَةً بَيْنَهُمَا، فَمِنْ أَعْظَمِ وَأَهَمِّ الْحِكَمِ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ صِيَامِ نَهَارِ رَمَضَانَ تَهْيِئَةُ الْقَلْبِ لِتَدَبُّرِ الْقُرْآنِ حِينَ الْقِيَامِ بِهِ فِي اللَّيْلِ، وَالْمُشَاهَدُ أَنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ يُفَوِّتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ هَذِهِ الْمَصْلَحَةَ الْعَظِيمَةَ حِينَمَا يُسْرِفُونَ فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَقْتَ الْإِفْطَارِ وَالْعَشَاءِ.

لَقَدْ أَثْبَتَ الطِّبُّ الْحَدِيثُ، وَالطِّبُّ الْبَدِيلُ أَهَمِّيَّةَ الصِّيَامِ لِصَفَاءِ الْقَلْبِ وَقِيَامِهِ بِوَظَائِفِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَلَيْسَ هَذَا مَقَامَ التَّفْصِيلِ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَى يَقِينٍ مِنْ حِكْمَةِ تَشْرِيعِ الصِّيَامِ دُونَ عَنَاءِ الرُّجُوعِ إِلَى مَا كُتِبَ فِيهَا، وَصَرْفِ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ فِي قِرَاءَتِهَا، يَكْفِينَا فِي هَذَا قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿**وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾.

إِنَّهَا رِسَالَةٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَحْمِلُ الْكَثِيرَ وَالْكَثِيرَ مِنَ الْإِشَارَاتِ وَالْإِرْشَادَاتِ.

إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُقَرِّرُ لَنَا هَذِهِ الْقَاعِدَةَ الْعَظِيمَةَ: أَنَّ الصِّيَامَ خَيْرٌ لَنَا، وَإِنَّ مِنْ بَعْضِ خَيْرِهِ مَا

تَمَّ إِثْبَاتُهُ بِالتَّجَارِبِ الْمَخْبَرِيَّةِ، وَمِنْ تَجَارِبِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُؤَكِّدُونَ عَلَى أَهَمِّيَّةِ هَذِهِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الصِّيَامِ وَبَيْنَ التَّفْكِيرِ وَالْفَهْمِ وَالتَّدَبُّرِ، إِنَّ شَوَاهِدَ صِحَّتِهَا وَأَقْوَالَ أَهْلِ التَّجْرِبَةِ وَأَحْوَالَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَتَّسِعُ لَهُ كِتَابٌ، وَمَا لَمْ يُنْقَلْ عَنْهُمْ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَحْوَالٍ أَكْثَرُ وَأَكْثَرُ، فَالْقَلِيلُ مِنْهُمْ عَبَّرَ عَنْ حَالِهِ، وَذَكَرَ مَا وَجَدَ، وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ وَجَدَ وَلَمْ يَذْكُرْ.

فَإِنْ أَرَدْتَ حَقًّا تَدَبُّرَ الْقُرْآنِ، وَالتَّأَثُّرَ بِهِ، فَعَلَيْكَ بِهَذَا الْمِفْتَاحِ الْعَجِيبِ، وَخَاصَّةً فِي رَمَضَانَ؛ إِنَّهُ الصِّيَامُ، الصِّيَامُ الصَّحِيحُ الَّذِي يَحْرِصُ فِيهِ الصَّائِمُ عَلَى تَطْبِيقِ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ». [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ]، وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ جَامِعٌ لِأُصُولِ الطِّبِّ كُلِّهَا، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ ابْنَ أَبِي مَاسَوَيْهِ الطَّبِيبَ لَمَّا قَرَأَ هَذَا الْحَدِيثَ فِي كِتَابِ أَبِي خَيْثَمَةَ قَالَ: «لَوِ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ لَسَلِمُوا مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ، وَلَتَعَطَّلَتِ الْمَارْشَايَاتُ؛ (أَيِ الْمُسْتَشْفَيَاتُ) وَدَكَاكِينُ الصَّيَادِلَةِ» [جَامِعُ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ].

المسألة الثانية: معنى الصوم

لَيْسَ مَعْنَى الصَّوْمِ أَنْ تُمْسِكَ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مُدَّةً ثُمَّ تَلْتَهِمُ أَضْعَافَ مَا أَمْسَكْتَ عَنْهُ؛ هَذَا -بِكُلِّ تَأْكِيدٍ- لَيْسَ صَوْمًا نَافِعًا، إِنَّ الصَّوْمَ الَّذِي يَنْفَعُ صَاحِبَهُ هُوَ مَا يَقْتَرِنُ مَعَهُ عَدَمُ الشِّبَعِ حَالَ الْإِفْطَارِ.

إِنَّ بَعْضَ الشَّبَابِ يَقُولُ: قَدْ صُمْتُ فَمَا وَجَدْتُ الْوِجَاءَ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ نَقُولُ: نَعَمْ، إِنْ كُنْتَ فِي وَقْتِ فِطْرِكَ تَتَقَاضَى مِنْ وَقْتِ صَوْمِكَ فَهَذَا لَيْسَ بِصَوْمٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بَلْ هُوَ إِرْهَاقٌ لِلْبَدَنِ وَتَعْذِيبٌ لَهُ، لِأَنَّ الْهَدَفَ مِنَ الصَّوْمِ حِمَايَةُ الْجَسَدِ عَامَّةً وَالْقَلْبِ خَاصَّةً مِنْ سُمُومِ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»؛ ذَلِكَ أَنَّ الْقَلْبَ إِذَا اسْتَرَاحَ مِنْ سُمُومِ الْأَطْعِمَةِ صَفَا وَرَقَّ.

المسألة الثالثة: أقوال السلف في أهمية الصوم

ذَكَرَ ابْنُ رَجَبٍ فِي كِتَابِهِ (جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ) أَقْوَالَ السَّلَفِ فِي أَهَمِّيَّةِ الصَّوْمِ؛ مِنْ ذَلِكَ مَا يَلِي:

١-عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ أَسْلَمْتُ».

٢-وَقَالَ الْمَرْوَزِيُّ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ -يَعْنِي الْإِمَامَ أَحْمَدَ-: «يَجِدُ الرَّجُلُ مِنْ قَلْبِهِ رِقَّةً وَهُوَ شِبَعٌ؟ قَالَ: مَا أَرَى».

٣- وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ قَالَ: «مَنْ قَلَّ طُعْمُهُ فَهِمَ وَأَفْهَمَ، وَصَفَا وَرَقَّ، وَإِنَّ كَثْرَةَ الطَّعَامِ لَيُثْقِلُ صَاحِبَهُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يُرِيدُ».

٤-وَعَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ قَالَ: «إِذَا أَرَدْتَ حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَا تَأْكُلْ حَتَّى تَقْضِيَهَا، فَإِنَّ الْأَكْلَ يُغَيِّرُ الْعَقْلَ».

٥-وَعَنْ قُثَمَ الْعَابِدِ قَالَ: «كَانَ يُقَالُ: مَا قَلَّ طُعْمُ امْرِئٍ قَطُّ إِلَّا رَقَّ قَلْبُهُ وَنَدِيَتْ عَيْنَاهُ».

٦-وَعَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ قَالَ: «كَانَ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنَوِّرَ قَلْبَهُ فَلْيُقِلَّ طُعْمَهُ».

٧-وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ قَالَ: «كَتَبَ إِلَيَّ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَصِحَّ جِسْمُكَ وَيَقِلَّ نَوْمُكَ فَأَقْلِلْ مِنَ الْأَكْلِ».

٨-وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ قَالَ: «مَنْ ضَبَطَ بَطْنَهُ ضَبَطَ دِينَهُ، وَمَنْ مَلَكَ جُوعَهُ مَلَكَ الْأَخْلَاقَ الصَّالِحَةَ».

٩-وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى الْخُشَنِيُّ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَغْزُرَ دُمُوعُهُ، وَيَرِقَّ قَلْبُهُ فَلْيَأْكُلْ وَلْيَشْرَبْ فِي نِصْفِ بَطْنِهِ»، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْحَوَارِيِّ: «فَحَدَّثْتُ بِهَذَا أَبَا سُلَيْمَانَ فَقَالَ: إِنَّمَا جَاءَ الْحَدِيثُ: «ثُلُثٌ طَعَامٌ وَثُلُثٌ شَرَابٌ»، وَأَرَى هَؤُلَاءِ قَدْ حَاسَبُوا أَنْفُسَهُمْ فَرَبِحُوا سُدُسًا».

١٠-وَعَنِ الشَّافِعِيِّ قَالَ: «مَا شَبِعْتُ مُنْذُ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا إِلَّا شِبْعَةً أَطْرَحُهَا، لِأَنَّ الشِّبَعَ يُثْقِلُ الْبَدَنَ، وَيُزِيلُ الْفِطْنَةَ، وَيَجْلِبُ النَّوْمَ، وَيُضْعِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْعِبَادَةِ».

١١-وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَثَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الشِّبَعُ، إِنَّ الْقَوْمَ لَمَّا شَبِعَتْ بُطُونُهُمْ جَمَحَتْ بِهَا نُفُوسُهُمْ إِلَى الدُّنْيَا».

□

ملحق (٥): علامات النجاح في تدبر القرآن

كَيْفَ أَعْرِفُ إِنْ كُنْتُ نَجَحْتُ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، أَوْ لَا؟ وَمَا دَرَجَةُ نَجَاحِي؟ وَمَا تَقْدِيرِي فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ مَوَادِّ الْحَيَاةِ التَّرْبَوِيَّةِ؟

الْجَوَابُ: لِلنَّجَاحِ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ عَلَامَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ؛ مِنْهَا:

١- الْمُحَافَظَةُ عَلَى تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ، وَأَلَّا يُقَدَّمَ عَلَيْهِ أَيُّ عَمَلٍ مَهْمَا كَانَ.

٢- التَّرَقِّي وَالصُّعُودُ فِي تَحْزِيبِ الْقُرْآنِ حَتَّى يَصِلَ آخِرَ مُسْتَوىً؛ وَهُوَ أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ حِفْظًا كُلَّ أُسْبُوعٍ، فِي صَلَاةٍ، فِي لَيْلٍ، بِتَرْتِيلٍ، وَتَكْرَارٍ وَتَوَقُّفٍ، وَجَهْرٍ وَتَغَنٍّ. وَهَذِهِ هِيَ الْمَفَاتِيحُ السَّبْعَةُ الْعَمَلِيَّةُ.

٣- تَوَارُدُ آيَاتِ الْقُرْآنِ عَلَى الْقَلْبِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِعَفْوِيَّةٍ وَتِلْقَائِيَّةٍ، كَمَا قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ: «إِنِّي لَأَسْتَلْقِي مِنَ اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي فَأَتَدَبَّرُ الْقُرْآنَ وَأَعْرِضُ عَمَلِي عَلَى عَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ» اهـ.

٤- الْقِرَاءَةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ وَذَلِكَ بِأَنْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَجْمَعَ ذِهْنِيًّا آيَاتِ كُلِّ مَوْضُوعٍ يُرِيدُهُ وَيَسْتَشْهِدُ بِهَا دُونَ عَنَاءٍ، وَأَنْ يُوجَدَ لَدَيْهِ الِانْتِبَاهُ الدَّقِيقُ لِمُفْرَدَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ بِحَيْثُ يَحْصُلُ لَدَيْهِ الرَّبْطُ بَيْنَهَا بِعَفْوِيَّةٍ وَتِلْقَائِيَّةٍ تَامَّةٍ، مَهْمَا تَعَدَّدَتْ أَوْ تَبَاعَدَتْ مَوَاضِعُهَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٥- أَنْ يَكُونَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ، وَأَخْلَاقُ الْقُرْآنِ كَثِيرَةٌ وَعَظِيمَةٌ؛ فَمِنْهَا مَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ (الْمُؤْمِنُونَ)، وَفِي سُورَةِ (الْمَعَارِجِ)، وَالْآيَةِ (٣٥) مِنْ سُورَةِ (الْأَحْزَابِ)، وَفِي أَوَّلِ سُورَةِ (الْبَقَرَةِ)، وَفِي آخِرِ سُورَةِ (الْفُرْقَانِ)، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ، وَهِيَ مَطَالِبُ وَأُمْنِيَاتٌ وَأَهْدَافٌ، تَحْقِيقُ أَيِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا يُعْتَبَرُ نِعْمَةً عَظِيمَةً وَفَتْحًا

مُبِينًا، الْكَثِيرُ مِنَّا يَتَمَنَّى الْحُصُولَ عَلَى هَدَفِ: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، وَهَدَفِ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الَّذِينَ ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾، وَغَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي جَاهَدَ الصَّالِحُونَ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهَا، وَاجْتَهَدَ النَّاجِحُونَ فِي تَحْقِيقِهَا.

إِنَّ التَّدْرِيبَ عَلَى مَفَاتِيحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَالسَّيْرَ فِي طَرِيقِهَا يُحَقِّقُ لَكَ بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى كُلَّ مَا تُرِيدُ مِنْ تِلْكَ الْمَكَاسِبِ الْعَظِيمَةِ مِنْ أَخْلَاقِ الْقُرْآنِ، إِلَى أَنْ تُوَصِّلَكَ إِلَى الْهَدَفِ الْمَنْشُودِ وَالْغَايَةِ الْمَقْصُودَةِ: ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

٦- دَعْوَةُ الْآخَرِينَ لِلنَّجَاحِ فِي تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ وَخَاصَّةً الْأَقْرَبِينَ، لِأَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ، فَحَمَاسُهُ وَنَشَاطُهُ فِي دَعْوَةِ الْآخَرِينَ عَلَامَةٌ عَلَى أَنَّهُ -فِعْلاً- ذَاقَ طَعْمَ النَّجَاحِ، وَيَتَمَنَّى لِأَهْلِهِ وَإِخْوَانِهِ مَا وَجَدَ، أَمَّا مَنْ لَمْ يُحَصِّلْ هَذِهِ الْعَلَامَةَ فَنَجَاحُهُ بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مُؤَكَّدٍ.

ملحق (٦) أركان حياة القلب بالقرآن (الخلاصة العملية للكتاب)

تمهيد:

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

فَمَنْ يُرِيدُ إِصْلَاحَ جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَإِصْلَاحَ جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَشُؤُونِهِ، فَعَلَيْهِ بِإِصْلَاحِ قَلْبِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَخْتَصِرُ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَيُوَفِّرُ عَلَيْهِ الْوَقْتَ وَالْجُهْدَ، وَيُحَقِّقُ لَهُ أَعْلَى اسْتِثْمَارٍ لِلْوَقْتِ وَالْحَيَاةِ، ويمنحه أَعْظَمَ الثَّوَابِ وَأَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَخَاصَّةً فِي مَوَاسِمِ الْخَيْرِ الَّتِي تُضَاعَفُ فِيهَا الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ.

إِنَّ عِلاَجَ الْقَلْبِ وَحَيَاتَهُ يَكُونُ بِـ: (الْقُرْآنِ) كَلاَمِ اللهِ تَعَالَى، الذِّكْرِ الْمُبَارَكِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى عِبَادِهِ رَحْمَةً لَهُمْ وَهُدىً وَنُوراً وَرُوحاً وَبُشْرَى وَمَوْعِظَةً وَشِفَاءً وَثَبَاتاً وَنَصْراً...

إِنَّ حَيَاةَ الْقَلْبِ فِيْ اِقْرَأْ ، أَيْ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ وَتَكْرَارِه ، وَحِفْظِهُ فِيْ الْقَلْبِ لِيُؤَثَّرَ فِيْهِ ، وَالْعِلْمُ هُوَ الْقُرْآنُ ، وَمُذَاكَرَةُ الْقُرْآنِ وَقِرَاءَتُهُ لَهَا قَوَاعِدُ وَأُصُوْلٌ يَجِبُ تَطْبِيْقُهَا لِكَيْ تُحَقِّقَ حَيَاةَ الْقَلْبِ، لاَ بُدَّ أَنْ نَتَّبِعَ فِيْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ هَدْيَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَنْهَجَ سَلَفِنَا الْصَّالِحِ لِنَصِلَ إِلَى مَا وَصَلُوْا إِلَيْهِ ، وَنَسِيْرَ عَلَى صِرَاطِهُم الْمُسْتَقِيْمِ.

أَرْكَانُ حَيَاةِ الْقَلْبِ بِالْقُرْآنِ خَمْسَةٌ مَجْمُوعَةٌ فِيْ قَوْلِكَ: (الْقُرْآنُ بِدُعَاءٍ دَوْمًا كَثِيرًا جَهْرًا ، لا هَذًّا وَلاَ سَهْوَاً وَلاَ صَمْتًا).

الركن الأول: تعظيم القرآن

مِنْ الْضَرُورِيِّ جِدّاً دَوَامُ الْقِرَاءَةِ عَنْ عَظَمَةِ الْقُرْآنِ ، وَدَوَامُ حُضُوْرِ هَذَا الْعِلْمِ فِيْ الْقَلْبِ ، وَذَلِكَ يُكُوْنُ بِأَمْرَيْنِ:

الْأَوَّلُ: الْقِرَاءَةُ الْأُسْبُوْعِيَّةُ لِأَحَادِيْثِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ وَآدَابِ قِرَاءَتِهِ فِيْ مُعْجَمِ السُّنَّةِ التَّرْبَوْيِّ، بِحَيْثُ تُخَصِّصُ مَوْعِداً أُسْبُوْعِيّاً ؛ عَصْرَ أَوْ مَغْرِبَ أَحَدِ أَيَّامِ الْأُسْبُوعِ تَقْرَأُ فِيْهَا بَابَ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ كَامِلاً .

الْثَّانِيْ: الْقِرَاءَةُ الْمُسْتَمِرَّةُ لِكِتَابِ مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ كُلَّ شَهْرٍ أَوْ شَهْرَيْنِ تُخَصِّصُ جَلْسَةً مُدَّتُهَا سَاعَةً أَوْ سَاعَتَيْنِ تَقْرَأُ الْكِتَابَ كَامِلاً، فَمِثْلُ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ تَجْعَلُكَ دَائِمَ الْتَّذَكُّرِ لِمَا فِيْ الْكِتَابِ مِنْ مَادَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تُبَيِّنُ أَهَمِّيَّةَ وَكَيْفِيَّةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

نُحْنُ بِأَمَسِّ الْحَاجَةِ لِدَوْرَاتٍ مُسْتَمِرَّةٍ لِلتَّذْكِيْرِ بِآدَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَطَرِيْقَةِ قِرَاءَتِهِ وَتَحْقِيْقِ الْنَّجَاحِ بِهِ فِيْ الْحَيَاةِ .

وَمَهْمَا كُنْتَ مَشْغُوْلاً فَلاَ أَقَلَّ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ مَرَّةً كُلَّ سَنَةٍ وَسَتُلاَحِظُ الْفَرْقَ قَبْلَ قِرَاءَتِهِ وَبَعْدَهَا.

الركن الثاني: أن تكون قراءة القرآن بدعاء

مسألة ١ : الإيمان والإسلام شرط لتحقيق حياة القلب بالقرآن

قَدْ أَكَّدَ الله تَعَالَى هَذَا الْأَمْرَ وَجَعَلَهُ شَرْطًا لِلْحَيَاةِ بِالْقُرْآنِ وَالْانْتِفَاعِ بِهِ ، وَذَلِكَ فِيْ مَوْاضِعَ كَثِيْرَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ مِنْهَا : قَوْلُه تَعَالَى : ﴿هُدَىً وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ ، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِيْنَ آمَنُوْا هُدَىً وَشِفَاءٌ﴾ ، ﴿يَاْ أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكِمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِيْ الْصُّدُوْرِ وَهُدَىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ﴾ ، ﴿هَدُىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴾، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِيْنَ﴾ ، ﴿هُدَىً وَرَحْمَةٌ وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِيْنَ ﴾، ﴿إِنَّ فِيْ ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ ﴾، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِيْنَ إِذَا ذُكِّرُوْا بِهَا خَرُّوْا سُجَّداً وَسَبَّحُوْا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴾، فَجَعَلَ الله الإِيْمَانَ وَالإِسْلاَمَ وَالْخُضُوْعَ شَرْطًا لِحُصُوْلِ الْهُدَى وَالْبُشْرَى وَالشِّفَاءِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْرَّحْمَةِ بِالْقُرْآنِ.

وَأَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَصْرِفُ عَنْ الْقُرْآنِ مَنْ لاَ يُؤْمِنُ وَلاَ يُسْلِمُ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِيْنَ يَتَكَبَّرُونَ فِيْ الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

وَالآيَاتُ فِيْ بَيَانِ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ كَثِيْرَةٌ كُلُّهَا تُؤَكِّدُ هَذَا الْأَمْرَ وَتُحُضُّ عَلَى ضَرُورَةِ تَحْصِيْلِهِ وَرِعَايَتِهِ ، فَمَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ بِدُونِ إِيْمَانٍ وَإِسْلاَمٍ وَخُضُوعٍ فَإِنَّهُ لاَ تَحْصُلُ لَهُ الْحَيَاةُ.

وَأَكَّدَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ لِلعَبْدِ أَنْ يَذْكُرَ الْقُرْآنَ وَيَنْتَفِعَ بِهِ إِلاَّ بِمَشِيْئَتِهِ سُبْحَانَهُ : ﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيْلاً * وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيْمًا حَكِيْمًا ﴾ ﴿ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيْمَ * وَمَا تَشَاءَونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ ، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾

مسألة ٢: معنى الدعاء

الْدُّعَاءُ هُوَ: الْتَّوَكُّلُ وَالْتَّفْوِيضُ وَإِسْلاَمُ الْوَجْهِ للهِ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الدِّيْنَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ ، الدعاء هُوَ : الْإِيْمَانُ وَالْتَّوْحِيْدُ وَالْدِّيْنُ وَالْإِخْلاَصُ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿ فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الْدِّيْنَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُوْنَ ﴾ ، ﴿ دَعَا رَبَّهُ مُنِيْبًا إِلَيْهِ﴾ ، فَالْدُّعَاءُ عِلْمٌ وَمَعَنَى يَقُومُ بِالْقَلْبِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ عَمَلاً أَوْ لَفْظًا.

وَانْظُرْ بيان هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِيْ كِتَابِ (تَأْسِيْسِ الْتَّوْحِيْدِ) ، فَهِيَ مَسْأَلَةٌ مُهِمَّةٌ يَتَوَقَّفُ عَلَى فِقْهِهَا تَحْقِيْقُ حَيَاةِ الْقَلْبِ بِالْقُرْآنِ .

وَمَنْ أَجْلِ تَوْضِيْحِ مَعَنَى الْدُّعَاءِ أُوْصِيْ بِقِرَاءَةِ مَقَالِ: (الْحَمْدُ وَالإِسْلاَمُ) ، وَمَقَالِ: (اِهْدِنَا الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ) فِيْ كِتَابِ: (مَقَالاَتٌ لِتَحْقِيْقِ الْنَّجَاحِ فِيْ الْحَيَاةِ).

مسألة ٣ : أنواع الدُّعَاءُ أثْنَاءَ قِرَاءَةِ الْقُرآن

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: التَّسْبِيحُ وَالتَّمْجِيدُ وَالتَّقْدِيسُ عِنْدَ الْآيَاتِ الَّتِي تَضَمَّنَتْ صِفَاتِ اللهِ وَأَسْمَاءَهُ وَأَفْعَالَهُ وَآيَاتِهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: السُّؤَالُ عِنْدَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا التَّبْشِيرُ وَجَزَاءُ الْمُتَّقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَالْوَعْدُ بِرَحْمَةِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَجَنَّتِهِ.

النَّوْعُ الثَّالِثُ: التَّعَوُّذُ عِنْدَ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا الْوَعِيدُ وَالتَّخْوِيفُ، وَجَزَاءُ الْمُكَذِّبِينَ وَالْكَافِرِينَ.

وَهَذِهِ الْأَنْوَاعُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَرْكَانُ الْعِبَادَةِ: الْحُبُّ والرَّجَاءُ والْخَوْفُ.

وَمِنْ أَنْوَاعِ مُنَاجَاةِ الله تَعَالَى بِكَلاَمِهِ أَنَّهُ إِذَا سَأَلَكَ فَأَجِبْ ، وَإِذَا أَمَرَكَ فَامْتَثِلْ ، فَإِذَا قَالَ لَكَ: هَلْ أَتَاكَ؟ فَقُلْ: نَعَمْ أَتَانِيْ ، وَإِذَا قَالَ لَكَ : أَلَمْ تَرَ ؟ فَقُلْ: نَعَمْ أَرَى يَا رَبْ ، وَإِذَا قَالَ لَكَ سَبِّحْ؛ فَقُلْ: سُبْحَانَكَ يَا رَبْ وَبِحَمْدِكَ ، وَإِذَا قَالَ لَكُمْ: صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا؛ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّد، وَإِذَا قَالَ لَكُمْ : فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ؟ فَقُولُوا: لاَ نُكَذِّبُ بِشَيءٍ مِنْ آلائِكَ بَلْ الْحَمْدُ كُلُّهُ لَكَ سُبْحَانَكَ.

مسألة ٤ : كيفية قراءة القرآن بدعاء

تَتَطَلَّبُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِدُعَاءٍ ثَلاَثَةَ أُمُورٍ :

الأَمْرُ الأَوَّلُ : حُضُورُ الْقَلْبِ وَالاَنْتِبَاهِ وَعَدَمُ السَّهْوِ ، وَاسْتِحْضَارُ أَنَّكَ تُنَاجِي اللهَ تَعَالَى وَأَنْتَ تَقْرَأُ؛ أَيْ تَتَذَكَّرُ أَنَّ اللهَ يَرَاكَ وَيَسْمَعُكَ حَيْنَ تَقْرَأُ.

الأَمْرُ الثَّانِيْ : الْتَّوَقُفُ لِلدُّعَاءِ ، وَعَدَمُ الاسْتِعْجَالِ أَوْ الْهَذِّ، قِفْ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ وَانْظُرْ مَا فِيْهَا مِنْ دُعَاءٍ فَادْعُ بِهِ، فَإِمَّا ثَنَاءٌ وَتَقْدِيْسٌ للهِ تَعَالَى فَاجْتَهِدْ فِيْ مَدْحِ اللهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَوْ نِعْمَةٌ يَمْتَنُّ اللهُ تَعَالَى فِيْهَا عَلَى عِبَادِهِ فَقِفْ وَاحْمَدْ رَبَكَ حَمْدَاً كَثِيْرَاً ، أَوْ عَذَابٌ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ تَعَالَى مِنْهُ ، أَوْ نَعِيْمٌ وَرَحْمَةٌ فَاسْأَلْ اللهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ .

الْأَمْرُ الْثَّالِثُ : الْتَّكْرَارُ ، أَنْ تُكَرِّرَ قِرَاءَةَ الآيَةِ ؛ وَتَسْأَلَ نَفْسَكَ مَا مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ ؟

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾، فَأَيُّ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا بِدُونِ حُضُورِ قَلْبٍ وَإِنْصَاتٍ فَأَعِدْهَا وَلَوْ عِشْرِيْنَ مَرَّةً ،لاَ تَسْمَحْ لِنَفْسِكَ أَبَدَاً أَنْ تَقْرَأَ كَلاَمَ رَبِكَ الْعَظِيْمِ وَقَلْبُكَ مَشْغُوْلٌ بِغَيْرِهِ، عَظِّمْ هَذِهِ الْمُنَاجَاةَ وَاقْرَأْ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ مُقْبِلٍ، أَنْصِتْ لِخِطَابِ رَبِّكَ.

إِنَّ قِرَاءَةَ السَّرْدِ وَالْهَذِّ ، أَوْ قِرَاءَةَ السَّهْوِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا حُضُوْرٌ لِلقَلْبِ ، وَلَيْسَ فِيْهَا تَوَقُّفٌ لَلدُّعَاءِ لَا تُحَقِّقُ حَيَاةَ الْقَلْبِ أَبَدًا.

الْبَعْضُ قَدْ يُوْقِعُهُ طَلَبُ الْكَثْرَةِ فِيْ الْعَجَلَةِ وَتَرْكِ الْدُّعَاءِ فَلاَ تُحَقِّقُ لَهُ قِرَاءَةُ الْهَذِّ وَالاِسْتِعْجَالِ حَيَاةَ الْقَلْبِ ، فَيَنْبَغِيْ الْتَّوَازُنُ وَضَبْطُ مَوَازِيْنِ وَأَرْكَانِ الْقِرَاءَةِ الْخَمْسَةِ بِكِلِّ دِقَّةٍ ، فَلَا يَصِحُّ تَضْيِيْعُ أَحَدِهَا عَلَى حِسَابِ الْآخَرِ ، فَكُلُّهَا ضَرُورِيَّةٌ وِلاَزِمَةٌ لِتَحْقِيْقِ حَيَاةِ الْقَلْبِ.

الركن الثالث: دوام قراءة القرآن بدعاء

مسألة ١ : أهمية دوام قراءة القرآن :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ خُزَيْمَةَ، وَالْحَاكِمُ، عَنِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «إِنَّ اللهَ

يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَؤُوا الْكِتَابَ، وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ قَوْمٍ فِي حِصْنِهِمْ صَارَ إِلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ وَقَدْ أَعَدُّوا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْحِصْنِ قَوْمًا فَلَيْسَ يَأْتِيهِمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْحِصْنِ إِلَّا وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ مَنْ يَدْرَؤُهُمْ عَنِ الْحِصْنِ؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ لَا يَزَالُ فِي أَحْصَنِ حِصْنٍ» [قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: الْحَدِيثُ عَلَى شَرْطِ الْأَئِمَّةِ صَحِيحٌ مَحْفُوظٌ].

فَهَذَا الْحَدِيثُ وَغَيْرُهُ مِمَّا وَرَدَ فِي مَعْنَاهُ يُؤَكِّدُ دَوَامَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ، وَأَنَّ ذَلِكَ ضَرُورِيٌّ لِحِفْظِ الْقَلْبِ وَحِرَاسَتِهِ مِنْ وَسَاوِسِ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

مسألة٢ : أنواع دَوَامِ قِرَاءَةِ الْقُرْآن

النوع الأول: دوام قراءة الفاتحة بدعاء

الْفَاتِحَةُ أُمُّ الْقُرْآنِ تَضَمَّنَتْ كُلَّ الْمَعَانِيْ الَّتِيْ ذُكِرَتْ فِيْ الْقُرْآنِ ، فَمَنْ يَقْرَؤُهَا فَكَأَنَّمَا قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ.

اقْرَأْ الْفَاتِحَةَ بِدُعَاءٍ وَذَلِكَ فِيْ كُلِّ رَكْعَةٍ تُصَلِّيْهَا عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْرَأَهَا بِسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ عَمَّا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ الْمَعَانِيْ الْعَظِيْمِةِ .

تَذَكَّرْ وَأَنْتَ تَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ أَنَّكَ تُنَاجِيْ رَبَّكَ وَتُكَلِّمُهُ فَتَحْمَدَهُ وَتُثْنِيْ عَلَيْهِ وَتُمَجِّدَهُ ، ثُمَّ تُقِرُّ بِعُبُودِيَّتِكَ وَفَقْرِكَ إِلَيْهِ ثُمَّ تَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيْكَ إِلَى صِرَاطِهِ الْمُسْتَقِيْمِ وَيُثَبِّتَكَ عَلَيْهِ وَأَنْ يُعِيْذَكَ مِنْ صِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَمِنْ صِرَاطِ الضَّالِّيْنَ ، وَتَذَكَّرْ سِرَّ مَشْرُوعِيَّةِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِيْ كُلِّ رَكْعَةٍ وَأَنَّ ذَلِكَ مَا شُرِعَ إِلاَّ لِدَوَامِ حَاجَةِ الْعَبْدِ إِلَى ذَلِكَ لاَ يَنْفَكُ عَنْهُ، بَلْ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ.

اقْرَأْ الْفَاتِحَةَ جُمْلَةً جُمْلَةً بِانْتِبَاهٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ ، الْفَاتِحَةُ نِصْفَانِ ، نِصْفٌ لِلهِ ، وَنِصْفٌ لِلْعَبْدِ ، وَكُلُّ نِصْفٍ خَمْسُ جُمَلٍ ، وَكُلُّ جُمْلَةٍ تُعْتَبَرُ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ الْقُرْآنِ ، وَبَيَانُهَا كَمَا يَلِيْ:

النِّصْفُ الأَوَّلُ: ١- الْحَمْدُ للهِ ، ٢- رَبِّ الْعَالَمِيْنَ ، ٣- الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ ، ٤- مَالِكَ يَوْمِ الدِّيْنِ ، ٥- إِيَّاكَ نَعْبُدُ .

الْنِّصْفُ الْثَّانِيْ: ٦- وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ، ٧- اهْدِنَا الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيْمَ ، ٨- صِرَاطَ الْذِّيْنَ أَنْعَمَتَ عَلَيْهِمْ ، ٩- غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، ١٠- وَلاَ الْضَّالِّيْنَ .

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِيْ كِتَابِ (مَفَاتِحُ ذِكْرِ اللهِ) كَيْفَ تَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ بِدُعَاءٍ فَيُمْكِنُ الاِسْتِفَادَةُ مِنْهُ.

النوع الثاني: دوام الصلاة

مَا شُرِعَتْ الْصَّلاَةُ إِلاَّ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَمُذَاكَرَتِهِ ، وَقَدْ سَمَّى اللهُ تَعَالَى الْصَّلاَةَ قُرْآنًا كَمَا فِي سُورَةِ الإِسْرَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ ، وَكَذَلِكَ فِيْ سُورَةِ الْمُزَّمِلِ قَالَ اللهُ تَعَالَى : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْ الْقُرْآنِ﴾

الْصَّلاَةُ دُخُولٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَوُقُوفٌ بَيْنَ يَدَيْهِ

قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِيْ الْصَّلاَةِ هِيَ مُذَاكَرَتُهُ وَتَعَلُّمُهُ وَحِفْظُهُ ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِالْلَّيْلِ وَالْنَّهَارِ ذَكَرَهُ وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»

الْصَّلاَةُ نِصْفَانِ، نِصْفُهَا قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ فِيْ الْقِيَامِ ، وَنِصْفُهَا الْدُّعَاءُ وَهُوَ الْعَمَلُ بِالْقُرْآنِ ، فَصَارَتْ الْصَّلاَةُ هِيَ الْقُرْآنُ عِلْمًا وَعَمَلاً ، (نَظَرِيْ وَعَمَلِيْ) فَلْيَنْتَبِهْ الْعَبْدُ لِهَذَا الْمَعْنَى الْمُهِمِ وَلاَ يُظُنُّ أَحَدٌ أَنَّ الْصَّلاَةَ وَالْقُرْآنَ عَمَلاَنِ مُنْفَصِلاَنِ ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَسْتَحْضِرَ الْعَبْدُ إِذَا قَامَ يُصَلِّيْ أَنَّهُ قَامَ يَتَعَلَّمُ الْقُرْآنَ وَيَذَاكِرُهُ وَيَعْمَلُ بِهِ ، وَمَتَى وُجِدَ هَذَا الْفَهْمُ كَانَتْ الْصَّلاَةُ حَقًّا صَلاَةً .

وَقَدْ فَصَّلْتُ الْكَلاَمَ عَلَى (مَقَاصِدِ الْصَّلاَةِ) ، و (دَوَامِ الْصَّلاَةِ) فِيْ كِتَابِ (مَفَاتِحِ إِقَامَةِ الْصَّلاَةِ).

النوع الثالث : دوام صلاة الليل

صَلاَةُ الْلَّيْلِ هِيَ الأَسَاسُ فِيْ مُذَاكَرَةِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِ مَعَانِيْهِ كَمَا قَالَ الْحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَانُوْا يَتَدَبَّرُوْنَهَا بِالْلَّيْلِ وَيَتَفَقَدُونَهَا فِيْ النَّهَارِ» .

وَالْلَّيْلُ هُوَ الْوَقْتُ الْمُخَصَّصُ لِمُذَاكَرَةِ الْقُرْآنِ كَمَا أَمَرَ اللهُ بِذَلَكَ فِيْ كِتَابِهِ فَقَالَ : ﴿يَا

أَيُّهَا الْمُزَّمِلُ قُمْ الْلَّيْلَ إِلاَّ قَلِيْلاً﴾ ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ الْلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيْلاً﴾، فَلاَ بُدَّ مَنْ دَوَامِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِيْ صَلاَةِ الْلَّيْلِ كَمًّا وَكَيْفًا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيْقِ حَيَاةِ الْقَلْبِ.

وَسَبَقَ تَفْصِيْلُ هَذِه الْمَسْأَلَةِ فِيْ الْمِفْتَاحِ الْخَامِسِ مِنْ مَفَاتِحِ تَدَبَّرِ الْقُرْآنِ .

النوع الرابع: تتابع قراءة القرآن

وَذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الْأَوْقَاتِ وَالسَّاعَاتِ، وَفِي ذَلِكَ تَحْصِينٌ لِلْقَلْبِ وَحِرَاسَةٌ لَهُ مِنَ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ.

إِنَّ ذَهَابَ السَّاعَاتِ وَالْأَوْقَاتِ فِي الْهَوَاجِسِ وَالْأَفْكَارِ وَالْقِيلِ وَالْقَالِ أَكْبَرُ خَسَارَةٍ فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ أَكْبَرُ سَبَبٍ فِي مَرَضِ الْقَلْبِ وَقَسْوَتِهِ.

فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَنْتَ بَيْنَ خِيَارَيْنِ، إِمَّا أَنْ تَضِيعَ أَنْفَاسُ عُمُرِكَ فِي سَرَابٍ وَأَوْهَامٍ، أَوْ أَنْ تَكْسِبَ تِلْكَ الدَّقَائِقَ وَالْأَنْفَاسَ فِي ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كَلِمَاتِ اللهِ تَعَالَى وَنُورِهِ وَرُوحِهِ، الَّذِي مَا سَكَنَ قَلْبَ عَبْدٍ إِلَّا حُفِظَ وَعُصِمَ مِنَ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ.

احْفَظْ مَا تَيَسَّرَ مِنْ كَلَامِ رَبِّكَ، جُزْءاً أَوْ جُزْأَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، وَكَرِّرْ مَا تَحْفَظُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، كُلَّمَا خَتَمْتَهُ تُعِيدُهُ مَرَّةً أُخْرَى، بِحَيْثُ يَكُونُ الْقُرْآنُ هُوَ شُغْلَ قَلْبِكَ عَلَى الدَّوَامِ.

قَدْ يَقُولُ الْبَعْضُ: إِنَّ هَذَا أَمْرٌ صَعْبٌ وَعَسِيرٌ، فَنَقُولُ: نَعَمْ هُوَ كَذَلِكَ عَلَى الْمُبْتَدِئِينَ، لَكِنْ إِذَا اسْتَعَنْتَ بِاللهِ تَعَالَى وَجَاهَدْتَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ فَإِنَّ الْأَمْرَ سَيَكُونُ سَهْلًا مُيَسَّرًا، بَلْ سَيَكُونُ عَادَةً لَا تَسْتَطِيعُ الِانْفِكَاكَ مِنْهَا بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، وَمِنَّتِهِ وَفَضْلِهِ.

أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ عَلَى مَدَارِ السَّاعَةِ لَا تَتَوَقَّفُ أَبَدًا، مُوَزَّعَةً عَلَى سَاعَاتِ الْيَوْمِ، مِنَ الِاسْتِيقَاظِ إِلَى النَّوْمِ، بِتَتَابُعٍ مُسْتَمِرٍّ لَا يَتَوَقَّفُ هَذَا أَهَمُّ وَأَخْطَرُ أَمْرٍ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ فِي أَيِّ سَاعَةٍ تَوَقَّفَ الْقُرْآنُ عَنِ الْقَلْبِ فَإِنَّ هَذَا يُؤَدِّي لِنَقْصِ نُورِهِ وَحَيَاتِهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَصْعُبُ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْعَوْدَةَ إِلَى الْقُرْآنِ إِلَّا بِجُهْدٍ مُضَاعَفٍ إِنْ تَيَسَّرَ لَهُ ذَلِكَ.

الركن الرابع: أن تعطي القرآن وقتا كثيرا

فَلَا يَقِلُّ الْمِقْدَارُ الْيَوْمِيُّ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَإِنْ تَيَسَّرَ

أَرْبَعَةُ أَجْزَاءٍ أَوْ خَمْسَةٌ كَانَ أَقْوَى فِي تَحْقِيقِ الْحَيَاةِ وَأَفْضَلَ، أَمَّا الْمِقْدَارُ الْقَلِيلُ فَلَا يُحَقِّقُ حَيَاةَ الْقَلْبِ أَبَدًا

عُشْرُ أَوْ سُبْعُ الْقُرْآنِ كُلَّ يَوْمٍ، هَذَا هُوَ الْحَدُّ الْأَدْنَى لِحَيَاةِ الْقَلْبِ، وَهُوَ الْحَدُّ الْأَدْنَى لِفِعْلِ السَّلَفِ، وَأَمَّا الْحَدُّ الْأَعْلَى الَّذِي أَقَرَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فَهُوَ ثُلُثُ الْقُرْآنِ كُلَّ يَوْمٍ. فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ هَذَا وَلاَ هَذَا فَعَلَيْكَ بِثُلُثِ عُشْرِ الْقُرْآنِ وَهَوَ جُزْءٌ كُلَّ يَوْمٍ .

وَكَثْرَةُ الْقِرَاءةِ تَحْصُلُ بِالتَّكْرَارِ فَمَنْ يُكَرِّرُ جُزْءً ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَهُوَ كَمَنْ قَرَأَ ثَلاَثَةَ أَجْزَاءٍ ، وَمَنْ كَرَّرَ الآيَةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَهُوَ كَمَنْ قَرأَ ثَلاَثَ آيَاتٍ.

الركن الخامس: أن تكون قراءة القرآن جهرا

لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ الصَّامِتَةَ أَوِ الضَّعِيفَةَ لَا تُحَقِّقُ انْتِبَاهَ الْقَلْبِ وَحُضُورَهُ، بَلْ يَكْثُرُ فِيهَا السَّهْوُ وَالْغَفْلَةُ فَلِذَلِكَ لَا يَنْتَفِعُ الْقَلْبُ بِهَا، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا**﴾، وَيَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ سَأَلَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَاذَا يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ؟ قَالَ: أُوقِظُ الْوَسْنَانَ، وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ.

الْجَهْرُ ضَرُورِيٌّ جِدًّا لِحَيَاةِ الْقَلْبِ، لَا يَصِحُّ نِسْيَانُهُ أَوِ الْغَفْلَةُ عَنْهُ، أَوِ التَّقْلِيلُ مِنْ شَأْنِهِ، فَسُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقَوْلِيَّةُ وَالْعَمَلِيَّةُ تُؤَكِّدُ أَهَمِّيَّتَهُ وَضَرُورَتَهُ لِحَيَاةِ الْقَلْبِ، فَانْتَبِهْ أَنْ تُفَرِّطَ بِهَذَا الْأَمْرِ الْمُهِمِّ وَالْكَبِيرِ مِنْ أُمُورِ حَيَاةِ الْقَلْبِ.

هذه الأركان الخمسة

لَا بُدَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَذِهِ الأَرْكَانِ الْخَمْسَةِ لِكَيْ تُحَقِّقَ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ حَيَاةَ الْقَلْبِ: (**الْقُرْآنُ بِدُعَاءٍ جَهْرًا كَثِيرًا دَوْمًا ، لاَ هَذًّا وَلاَ سَهْواً وَلاَ صَمْتًا**).

لاَ بُدَّ أَوَّلاً مِنْ الْقِرَاءَةِ عَنْ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ وَفَضَائِلِهِ بَدَوَامٍ وَاسْتِمْرَارٍ دُونَ انْقِطَاعٍ.

ثُمَّ أَنْ تَكُونَ الْقِرَاءَةُ بِتَوَقُّفٍ مِنْ أَجْلِ الدُّعَاءِ بِقَلْبٍ حَاضِرٍ .

وَلَا بد من دوام القراءة فلا يَكْفِي لتحقيق الحياة أن تكون القراءة فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، أَوْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ فَقَطْ، ثُمَّ تَتْرُكُ بَقِيَّةَ الْوَقْتِ دُونَ قِرَاءَةٍ

وإذا كانت الْقِرَاءَةُ قَلِيلَةً فإنها لا تكفي لتحقيق الحياة

وَالْجَهْرُ مُهِمٌّ جِدًّا فِي حُضُورِ الْقَلْبِ، وَضَرُورِيٌّ لِتَحْقِيقِ الْحَيَاةِ.

فَهَذِهِ خَمْسَةُ أَرْكَانٍ مَنْ يُرَكِّزُ عَلَيْهَا مُجْتَمِعَةً بِمَنْهَجِيَّةٍ وَيَقَظَةٍ وَمُتَابَعَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ فَيُرْجَى أَنْ يُشْرِقَ قَلْبُهُ بِنُورِ الْقُرْآنِ، وَأَنْ يَحْيَا قَلْبُهُ بِرُوحِ الْقُرْآنِ، فَتَصْلُحَ جَمِيعُ أُمُورِهِ وَأَحْوَالِهُ، وَأَنْ يَنْتَفِعَ بِالْقُرْآنِ غَايَةَ الِانْتِفَاعِ وَيَسْعَدَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَفْرَحَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ.

مَنْ يُدِيمُ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بمنهجية فَإِنَّ قَلْبَهُ يَنْبِضُ بِالْحَيَاةِ، وَيُشْرِقُ بِنُورِ اللهِ، وَتَرَاهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مُسْتَيْقِظًا قَدْ ضَعُفَ سُلْطَانُ الشَّيْطَانِ عَلَى قَلْبِهِ، قَدْ حَفِظَ اللهُ قَلْبَهُ أَنْ يُوَسْوِسَ لَهُ فَيُلْهِيَهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، صَلَاتُهُ كُلُّهَا حُضُورٌ وَيَقَظَةٌ وَحَيَاةٌ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، يَخْرُجُ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ كُتِبَتْ لَهُ كَامِلَةً، وَتَكُونُ قِرَاءَتُهُ لِلْقُرْآنِ أَكْثَرَ نُورًا وَبَصِيرَةً وَتَدَبُّرًا فَيَزْدَادُ نُورًا عَلَى نُورٍ، وَيَقِينًا عَلَى يَقِينٍ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ شَأْنِهِ لَا يَزَالُ يَتَرَقَّى فِي مَرَاقِي النُّورِ وَالْحَيَاةِ، إِلَى أَنْ يَلْقَى رَبَّهُ رَاضِيًا مَرْضِيًّا فَيُعْطَى نُوْرَاً فِيْ قَبْرِهِ ، وَنُورَاً فِيْ حَشْرِهِ ، وَيُعْطَى نُورًا عَظِيمًا يَمُرُّ بِهِ عَلَى الصِّرَاطِ فَيَنْجُو مِنَ النَّارِ وَتُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُهَا خَالِدًا فِيهَا، بِإِذْنِ رَبِّهِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ.

توجيهات

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ:

١ -أَنَّ دَوَامَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ هُوَ هَدْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي دَاوَمَ وَوَاظَبَ عَلَيْهِ طُولَ حَيَاتِهِ مُنْذُ أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ هَذَا الذِّكْرُ الْمُبَارَكُ إِلَى أَنْ لَحِقَ بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى، وَرَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**﴾.

٢- أَنَّ هَذَا هُوَ الْمُتَوَاتِرُ عَنِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأَئِمَّةِ وَالصَّالِحِينَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

٣- أَنَّ مِمَّا يُيَسِّرُ دَوَامَ وَكَثْرَةَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَنْ تَعْرِفَ عَظَمَةَ الْقُرْآنِ، وَهَذَا هُوَ الْمِفْتَاحُ الْأَوَّلُ مِنْ مَفَاتِحِ تَدَبُّرِ الْقُرْآنَ؛ وَهُوَ الرُّكْنُ الأَوْلُ مِنْ أَرْكَانِ حَيَاةِ الْقَلْبِ بِالْقُرْآنِ ، فَيَجِبُ أَنْ نَتَفَقَّهَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ الْكَبِيرَةِ الْمُهِمَّةِ، وَأَنْ نُعْطِيَهَا مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ.

٤- أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ قَطَعَ عَلَى نَفْسِهِ الْعَهْدَ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ فَقَالَ: ﴿**لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ دَوَامَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ تَحْتَاجُ إِلَى جِهَادٍ وَمُصَابَرَةٍ؛ ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.

٥- أَنَّ الرَّخَاءَ لَا يَدُومُ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فِي دَارِ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارٍ، لَمْ يُخْلَقْ لِلَّهْوِ وَاللَّعِبِ، فَهُوَ بِأَشَدِّ الْحَاجَةِ لِدَوَامِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كَثِيرًا؛ لِيَكُونَ دَوَاءً لِقَلْبِهِ، وَشِفَاءً لِنَفْسِهِ، وَلِيَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ يَسْتَقِيمُ بِهِ عَلَى الدِّينِ الْقَوِيمِ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَقَدْ فَرَّطَ وَقَصَّرَ، إِنْ لَمْ يَشْغَلْ قَلْبَهُ بِالْقُرْآنِ وَذِكْرِ الرَّحْمَنِ شَغَلَهُ الشَّيْطَانُ بِالْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ، وَخَوَاطِرِ التَّفْرِيطِ وَالْعِصْيَانِ، خِيَارَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ مَا شِئْتَ.

٦- أَنَّ دَوَامَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَكَثْرَتَهَا مُسْتَوَيَاتٌ وَدَرَجَاتٌ، تُؤْخَذُ بِالتَّدَرُّجِ وَالتَّرْتِيبِ، وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يَصِلَ قَارِئُ الْقُرْآنِ إِلَى مَا ذُكِرَ عَنِ السَّلَفِ أَوْ مَا يَسْمَعُهُ عَنِ الْمُوَفَّقِينَ مِنَ الْمُعَاصِرِينَ؛ أَنَّ ذَلِكَ يَأْتِي فَجْأَةً وَطَفْرَةً؛ بَلِ الْأَمْرُ يَحْتَاجُ إِلَى مُعَالَجَةٍ وَتَرْبِيَةٍ وَتَدَرُّجٍ، الْمُهِمُّ أَنْ يَكُونَ لَدَى الْإِنْسَانِ بَصِيرَةٌ وَعِلْمٌ بِأَهَمِّيَّةِ وَضَرُورَةِ مَا يَطْلُبُ، ثُمَّ ثَبَاتُ هَذَا الْعِلْمِ وَحُضُورُهُ بِاسْتِمْرَارٍ، وَأَمَّا التَّطْبِيقُ وَالتَّنْفِيذُ وَالْبِنَاءُ فَيَكُونُ عَلَى مَهْلٍ وَحَسَبَ الْقُدْرَةِ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّنْفِيذُ عَلَى مَرَاحِلَ مُتَتَابِعَةٍ بِمَنْهَجِيَّةٍ تَسْتَغِلُّ سَنَوَاتِ الْعُمْرِ فِي الْبِنَاءِ وَالتَّكْوِينِ، حَتَّى إِذَا مَضَى شَطْرُ عُمْرِهِ فَإِذَا لَدَيْهِ حَصِيلَةٌ عِلْمِيَّةٌ عَمَلِيَّةٌ رَاسِخَةٌ ثَابِتَةٌ تُنِيرُ لَهُ الطَّرِيقَ وَتُصْلِحُ جَوَانِبَ حَيَاتِهِ.

بَادِرْ عُمْرَكَ، وَاغْتَنِمْ أَيَّامَكَ، وَابْدَأْ بِنَاءَ هَذَا الْمَشْرُوعِ الْكَبِيرِ، مَشْرُوعِ حَيَاةِ الْقَلْبِ

بِالْقُرْآنِ، اسْأَلْ مَنْ سَبَقَكَ مِنْ أَهْلِ الْخِبْرَةِ وَالتَّجْرِبَةِ، بَلِ اقْرَأْ مَا نُقِلَ عَنِ السَّلَفِ فِي هَذَا الْأَمْرِ الْخَطِيرِ؛ لِتَزْدَادَ عِلْمًا وَيَقِينًا، وَيَشْرَحَ اللهُ صَدْرَكَ لِلِانْطِلَاقِ فِي هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

انْتَبِهْ أَنْ تَقُولَ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ: ﴿**يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾، أَوْ تَقُولَ: ﴿**لَوْ أَنَّ اللهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾.

اسْتَعِنْ بِاللهِ تَعَالَى، اسْأَلِ اللهَ بِصِدْقٍ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ أَبْوَابَ كِتَابِهِ الْعَظِيمِ، أَلِحَّ عَلَى اللهِ تَعَالَى وَكَرِّرِ السُّؤَالَ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، تَوَكَّلْ عَلَى اللهِ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى رَبِّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ، يَكْفِيهِ وَيُعْطِيهِ؛ ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ وَعْدٌ صَادِقٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا**﴾.

من النظري إلى العملي

مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ كَلَامٌ نَظَرِيٌّ لَا بُدَّ أَنْ يُتَرْجَمَ إِلَى وَاقِعٍ عَمَلِيٍّ، وَيَكُونَ ذَلِكَ بِتَطْبِيقِ مَفَاتِيحِ الْإِنْجَازِ السَّبْعَةِ، وَهِيَ مُفَصَّلَةٌ فِي كِتَابِ (مَفَاتِيحِ إِنْجَازِ الْأَهْدَافِ)، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالتَّحْدِيدِ وَالتَّنْفِيذِ وَالْمُتَابَعَةِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: أَنْ تُحَدِّدَ بَعْدَ الْفَجْرِ عِشْرِينَ وَجْهًا، وَبَعْدَ الْعَصْرِ عِشْرِينَ وَجْهًا، وَفِي صَلَاةِ اللَّيْلِ عِشْرِينَ وَجْهًا، أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

فَهَذِهِ وَجَبَاتُ حَيَاةِ الْقَلْبِ لَا يَصِحُّ وَلَا يَقْوَى بِدُونِهَا، مَتَى عُدِمَتْ مَاتَ الْقَلْبُ، وَمَتَى نَقَصَ شَيْءٌ مِنْهَا نَقَصَتْ حَيَاةُ الْقَلْبِ.

فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ الْحَيَاةَ، أَوِ الْمَوْتَ.

قِرَاءَةُ الْعِشْرِينَ وَجْهًا تَحْتَاجُ أَرْبَعِينَ دَقِيقَةً أَوْ أَكْثَرَ فَيَكُونُ الْمَجْمُوعُ الْيَوْمِيُّ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً، فَهَلْ أَحَدٌ يَبْخَلُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى الْقُرْآنِ بِسَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ كُلَّ يَوْمٍ، إِنَّ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ فَقَدْ فَاتَهُ حَظٌّ عَظِيمٌ، وَرِبْحٌ كَبِيرٌ، وَتِجَارَةٌ رَابِحَةٌ تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ.

أَعِدْ حِسَابَاتِكَ وَانْظُرْ أَيْنَ يَجِبُ أَنْ تَصْرِفَ وَقْتَكَ وَسَاعَاتِكَ، وَهَلْ مَا نَشْغَلُ بِهِ أَوْقَاتَنَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ.

إِنَّنَا لَوْ أَعْطَيْنَا الْقُرْآنَ (١٢) سَاعَةً مِنْ (٢٤) سَاعَةً يَوْمِيًّا مَا كَانَ كَثِيراً، فَكَيْفَ بِسَاعَتَيْنِ فَقَطْ؟

اعْلَمْ أَنَّ الْوُصُولَ إِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى يَكُونُ بِالتَّدَرُّجِ؛ فَتَبْدَأُ بِتَحْدِيدِ وَجْهٍ أَوْ وَجْهَيْنِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ، وَتَلْتَزِمُ بِهَا، ثُمَّ بَعْدَ مُرُورِ أَشْهُرٍ تَزِيدُ... وَهَكَذَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى هَذَا الْمُسْتَوَى.

الْمُهِمُّ أَنْ تَبْدَأَ السَّيْرَ وَتُجَاهِدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ سَتَجِدُ أَنَّ تِجَارَتَكَ مَعَ الْقُرْآنِ تَنْمُو وَتَكْبُرُ مَعَ الْأَيَّامِ، وَيَعُمُّ نَفْعُهَا جَمِيعَ أُمُورِ حَيَاتِكَ.

مَعَ كُلِّ أَذَانٍ حَدِّدْ مَا سَتَقْرَؤُهُ إِلَى الْأَذَانِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَفِي نِهَايَةِ الْوَقْتِ انْظُرْ: هَلْ قَرَأْتَ كُلَّ مَا حَدَّدْتَ أَوْ نَقَصْتَ، فَإِنْ حَصَلَ نَقْصٌ فَافْرِضْ عَلَى نَفْسِكَ صَدَقَةً تُطَهِّرُكَ وَتُعَوِّضُ النَّقْصَ، وَتَذَكِّرُكَ أَلَّا يَعُودَ النَّقْصُ مَرَّةً أُخْرَى.

وَهَكَذَا مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ انْظُرْ كَمْ وَجْهاً قَرَأْتَ وَهَلِ الْتَزَمْتَ بِمَا حَدَّدْتَ، وَكُنْ صَادِقاً مَعَ نَفْسِكَ لَا تَتَنَازَلْ عَمَّا شَارَطْتَهَا عَلَيْهِ؛ لِكَيْ تَتَعَوَّدَ الْجِدَّ وَالْحَزْمَ فِي تَنْفِيذِ مَا تُحَدِّدُهُ.

وَلَا بُدَّ مِنْ قَضَاءِ مَا يَفُوتُ؛ لِئَلَّا تَتَعَوَّدَ النَّفْسُ الْكَسَلَ وَالتَّفْرِيطَ، وَلِئَلَّا يَنْقُصَ الْمِقْدَارُ الْيَوْمِيُّ الْمَطْلُوبُ لِتَحْقِيقِ الْحَيَاةِ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ التَّحْدِيدُ مُوَافِقاً لِلْقُدْرَةِ وَالِاسْتِطَاعَةِ، فَلَا تُكَلِّفْ نَفْسَكَ مَا لَا تُطِيقُ، فَمَعَ كُلِّ أَذَانٍ انْظُرْ فِي ظُرُوفِكَ الْحَاضِرَةِ وَمَاذَا يُمْكِنُكَ قِرَاءَتُهُ فِي الْفَتْرَةِ التَّالِيَةِ فَحَدِّدْهُ وَاجْتَهِدْ فِي تَنْفِيذِهِ، لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَتَى حَافَظْتَ عَلَى قَدْرٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَوَاظَبْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَنْقُلُكَ لِمُسْتَوًى أَعْلَى؛ مِثْلَ تَسَارُعِ السَّيَّارَةِ، وَكَذَلِكَ إِذَا أَهْمَلْتَ وَتَهَاوَنْتَ كُلَّمَا نَزَلَ مُسْتَوَاكَ وَصَعُبَ عَلَيْكَ مَا كَانَ

سَهْلاً، فَأَهَمُّ أَمْرٍ فِي حَيَاةِ الْقَلْبِ بِالْقُرْآنِ أَنْ تُحَافِظَ عَلَى مَا تُحَزِّبُهُ مِنَ الْقُرْآنِ بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ قَلِيلاً كَانَ أَوْ كَثِيراً.

وَتَذَكَّرْ أَنَّ مُذَاكَرَةَ الْقُرْآنِ أَوْ تَرْكَهُ هِيَ حَيَاةُ الْقَلْبِ أَوْ مَوْتُهُ.

وَفَّقَ اللهُ الْجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

مسائل بين يدي الكتاب ١
- المسألة الأولى: الطريق إلى النجاح في الحياة ٣
- المسألة الثانية: سبب الفشل في الحياة ٣
- المسألة الثالثة: معركة الحياة ٥
- المسألة الرابعة: القيام بالقرآن الطريق إلى الإيمان ٦
- المسألة الخامسة: القيام بالقرآن الطريق إلى القوة ٧
- المسألة السادسة: القرآن كتاب النجاح والسعادة ٨
- المسألة السابعة: مدارسة القرآن تزيد الإيمان ٨
- المسألة الثامنة: بداية الانطلاق ٩
- المسألة التاسعة: الطريق إلى كنوز القرآن ٩
- المسألة العاشرة: القرآن ظاهر وباطن ١٠
- المسألة الحادية عشرة: التدريب والمجاهدة ١٠
- المسألة الثانية عشرة: أتفسير أم تدبر ١١
- المسألة الثالثة عشرة: محور هذا الكتاب ١٢
- المسألة الرابعة عشرة: المفاتيح أسباب والنتائج بيد الله وحده ١٣
- المسألة الخامسة عشرة: لكل مفتاح وظيفة ١٣
- المسألة السادسة عشرة: نعيم القرآن ١٤
- المسألة السابعة عشرة: المفاتيح العشرة ١٤
- المسألة الثامنة عشرة: خلاصة الكتاب ١٥

تمهيد: مسائل في تدبر القرآن ١٦
- المسألة الأولى: معنى تدبر القرآن ١٦
- المسألة الثانية: مفهوم خاطئ لمعنى التدبر ١٦
- المسألة الثالثة: علامات التدبر ١٨

المفتاح الأول: حب القرآن ٢١
- المسألة الأولى: القلب آلة الفهم والفقه والتفكير والعقل ٢١

- المسألة الثانية: أن القلب بيد الله وحده ٢١
- المسألة الثالثة: علاقة حب القرآن بالتدبر ٢٢
- المسألة الرابعة: علامات حب القلب للقرآن ٢٢
- المسألة الخامسة: طرق تحصيل حب القرآن ٢٣

الطريق الأول: التوكل على الله تعالى والاستعانة به ٢٣
الطريق الثاني: القراءة ٢٦

المفتاح الثاني: استحضار أهداف قراءة القرآن ٢٨

- الهدف الأول: قراءة القرآن لأجل العلم ٢٩

المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد ٢٩
المسألة الثانية: العلم الذي نريده من القرآن ٣١
المسألة الثالثة: كيفية تحقيق هذا المقصد ٣٢
المسألة الرابعة: من تطبيقات مقصد العلم ٣٣
المسألة الخامسة: القرآن والبرمجة اللغوية العصبية ٣٤
المسألة السادسة: لم لا تكون الدعوة بالقرآن ٣٥
المسألة السابعة: القرآن يحيى القلوب كما يحيى الماء الأرض ٣٦
المسألة الثامنة: وقفة مع آية ٣٧

- الهدف الثاني: قراءة القرآن بقصد العمل به ٣٨

المسألة الأولى: أهمية هذا المقصد ٣٨
المسألة الثانية: مفهوم تطبيق هذا المقصد وكيفيته ٣٩

- الهدف الثالث: قراءة القرآن بقصد مناجاة الله ٤٠

المسألة الأولى: أدلة المناجاة ٤٠
المسألة الثانية: كيفية تطبيق هذا المقصد ٤١

- الهدف الرابع: قراءة القرآن بقصد الثواب ٤٢
- الهدف الخامس: قراءة القرآن بقصد الاستشفاء به ٤٥

المسألة الأولى: أدلة هذا المقصد ٤٥
المسألة الثانية: أنواع الشفاء بالقرآن ٤٦
المسألة الثالثة: كيف يحصل الشفاء بالقرآن ٤٦
المسألة الرابعة: التعامل المباشر مع القرآن ٤٧

المفتاح الثالث: أن تكون القراءة حفظا ٤٨

المسألة الأولى: العلاقة بين الحفظ والتدبر ٤٨

المسألة الثانية: أهمية حفظ القرآن ٤٨

المسألة الثالثة: كيف تحفظ القرآن..... ٥٣
أولا: نصيحة لمن يريد حفظ القرآن..... ٥٣
ثانيا: طريقة حفظ القرآن..... ٥٦
ثالثا: أرباع القرآن..... ٥٧
تنبيه:..... ٥٩
المفتاح الرابع: أن تكون القراءة في صلاة..... ٦٠
- المسألة الأولى: نصوص تؤكد أهميته..... ٦٠
- المسألة الثانية: اجتماع القرآن والصلاة هو الحياة..... ٦٢
- المسألة الثالثة: القيام بالقرآن وقيام الليل..... ٦٣
- المسألة الرابعة: ثواب قراءة القرآن في صلاة..... ٦٥
- المسألة الخامسة: الصلاة دخول على الله تعالى وقرب منه..... ٦٦
- المسألة السادسة: مقاصد الصلاة..... ٦٦
المفتاح الخامس: أن تكون القراءة في ليل..... ٦٨
مقدمة:..... ٦٨
المسألة الأولى: نصوص تؤكد أهميته..... ٦٨
المسألة الثانية: القراءة للقلب مثل السقي للنبات..... ٧٠
المفتاح السادس: الجهر والتغني بالقراءة..... ٧١
المسألة الأولى: تعريفهما..... ٧١
المسألة الثانية: أدلة مشروعيتهما..... ٧١
المسألة الثالثة: حد الجهر ومقداره..... ٧٣
المسألة الرابعة: فوائد الجهر بقراءة القرآن..... ٧٣
المسألة الخامسة: كيفية التغني..... ٧٣
المفتاح السابع: الترتيل..... ٧٥
المسألة الأولى: تعريفه..... ٧٥
المسألة الثانية: أدلة مشروعيته..... ٧٥
المسألة الثالثة: مقياس الترتيل..... ٧٧

المفتاح الثامن: التكرار والتوقف ٧٩
المسألة الأولى: بيان المراد بهما ٧٩
المسألة الثانية: بيان أهميتهما ٧٩
المسألة الثالثة: نماذج عملية ٨٠
المفتاح التاسع: التحزيب ٨٤
المسألة الأولى: أهمية تحزيب القرآن ٨٤
المسألة الثانية: أدلة التحزيب عامة ٨٦
المسألة الثالثة: أدلة التحزيب الأسبوعي ٨٧
المسألة الرابعة: لماذا التحزيب كل أسبوع؟ ٨٨
المسألة الخامسة: أن يكون التحزيب بالسور ٨٩
المسألة السادسة: التدرج في تطبيق هذا المفتاح ٨٩
المسألة السابعة: كم من الوقت تعطي للقرآن كل يوم؟ ٩٠
المسألة الثامنة: خطوات تحزيب القرآن، كيف نبدأ التدريب؟ ٩٠
المسألة التاسعة: نماذج تطبيقية لتحزيب القرآن؟ ٩١
المسألة العاشرة: التحزيب تربية على النجاح في تحقيق الأهداف ٩٣
المفتاح العاشر: الربط ٩٤
المسألة الأولى: **معنى الربط** ٩٤
المسألة الثانية: **أنواعه** ٩٤
المسألة الثالثة: **أقسامه**: ٩٤
المسألة الرابعة: كيفية **الربط** ٩٥
المسألة الخامسة: حسابات الألفاظ والكلمات ٩٥
خاتمة الكتاب ٩٦
ملحق (١): رحلتي مع الكتاب ٩٧
ملحق (٢): أفضل هدية يقدمها والد إلى ولده ٩٨
ملحق (٣): رسالة إلى كل معلم ومعلمة في العالم ١٠١

ملحق (٤): الصيام.....١٠٢
المسألة الأولى: العلاقة بين التدبر والصوم..... ١٠٢
المسألة الثانية: معنى الصوم..... ١٠٣
المسألة الثالثة: أقوال السلف في أهمية الصوم ١٠٤
ملحق (٥): علامات النجاح في تدبر القرآن.....١٠٥
ملحق (٦) أركان حياة القلب بالقرآن (الخلاصة العملية للكتاب).....١٠٦
تمهيد:..... ١٠٦
الركن الأول: تعظيم القرآن ١٠٧
الركن الثاني: أن تكون قراءة القرآن بدعاء ١٠٨
مسألة ١ : الإيمان والإسلام شرط لتحقيق حياة القلب بالقرآن..... ١٠٨
مسألة ٢: معنى الدعاء..... ١٠٩
مسألة ٣ : أنواع **الدُّعَاءُ أَثْنَاءَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**..... ١٠٩
مسألة ٤ : كيفية قراءة القرآن بدعاء..... ١١٠
الركن الثالث: دوام قراءة القرآن بدعاء ١١٠
مسألة ١ : أهمية دوام قراءة القرآن :..... ١١٠
مسألة٢ : أنواع دَوَام قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ..... ١١١
النوع الأول: دوام قراءة الفاتحة بدعاء..... ١١١
النوع الثاني: دوام الصلاة..... ١١٢
النوع الثالث : دوام صلاة الليل..... ١١٢
النوع الرابع: دوام قراءة القرآن..... ١١٣
الركن الرابع: أن تعطي القرآن وقتا كثيرا..... ١١٣
الركن الخامس: أن تكون قراءة القرآن جهرا ١١٤
هذه الأركان الخمسة ١١٤
توجيهات..... ١١٥
من النظري إلى العملي..... ١١٧